http://nj180degree.com

مستكنى عالم الذكور

للأذكياء فقط

دكتور عبد المحسن صالح

دار الشروق

http://nj180degree.com

مسكين عالم الذكور .. !!

fofoyoyo

http://nj180degree.com

دكتور عبد المحسن صالح

مسكين عالم الذكور

للأذكياء فقط

دار الشروق

الطبعة الثالثة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الطبعة الرابعة

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

© دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني هاتف: ٥١٢١٤ برقيا: شروق القاهرة
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ هاتف: ٣١٥٨٥٩ برقيا: داشروق

http://nj180degree.com

مقدمة

نكد أو دكر !

المخلوق الذكر ـ بالنسبة للحياة ـ « كالفقر الدكر .. كاللبان الدكر .. كالحظ الدكر » .. ومن السخرية والغرابة حقا أن تكون كل هذه التشبيهات « النكد » التى تجرى على السنة البشر ، قد اصبح القاسم المشترك الاعظم بينها « دكر » ، ولم تلصق بالانثى واحدة من هذه الصفات السيئة التى الصقت لصقا بالذكر .

فمن وجهة نظرنا نحن ـ التابعة أصلا من وجهة نظر الحياة ـ نستطيع أن نهتف ونقول : محظوظ عالم الاناث ومسكين عالم الذكور .. ثمين عالم الاناث ، ورخيص عالم الذكور !

لكن قبل أن نسترسل فى هذه المقدمة « النكد او الدكر » وقبل أن نندب حظنا نحن معشر الذكور ، وقبل أن تموع نفوس القراء ـ ذكورا ام اناثا ـ وقبل أن يضربوا أخماسا فى أسداس ، ثم قد ينحاز الذكر الى بنى جلدته ، والانثى الى بنات جنسها ، فتعقب احداهن على هذه المقدمة بقولها : « ياعينى علينا وعلى بختنا .. قطيعة تقطعهم وتقطع أيامهم السودة » .. وقد تستطرد أخرى لتكمل حكم زميلتها التى ربما تجهش بالبكاء ـ فتقول : « ان الرجال هم الاقوياء المتجبرون ، ونحن الضعيفات المكسورات الخاطر .. ربنا يكسر خاطرهم » ثم قد تقلد

الغلاف بريشة الفنان مصطفى حسين

http://nj180degree.com

صاحبتها ، وتنهمر من عينيها عدة دموع على الوجنات ، ربما لأن حظ هذه او تلك فى الحياة مع من احبت او تزوجت كان نكدا ، الا انه يجب علينا ان نشير الى أن هذا الكتاب سيتناول العموميات ، ولا شان له بالحالات الفردية .. ذلك ان الموضوع الذى سنناقشه هنا موضوع علمى .. والعلم دائما دراسات هادفة ، كما انه لا يستمد استنتاجاته الا عن طريق تجميع اكبر عدد ممكن من الظواهر والحقائق الطبيعية ، ثم يجرى عليها دراسات احصائية تحليلية ، ليخرج من ذلك بنتيجة واضحة ، نرتكز عليها فى حكمنا وتقديرنا للامور ، وبدون تحيز .. فالعلم لا يقبل المداهنة او الافتراء أو الخداع .

فاذا تناولنا هذا الموضوع من وجهة نظرنا ، وقصرناه على انفسنا ـ رجالا كنا أم اناثا ـ فلا شك أننا نتحيز لنوعنا الانسانى دون اعتبار للخلائق الأخرى التى تشاركنا الحياة على ذلك الكوكب .. ففيها ايضا الذكر والانثى ، ولهذا كان لابد ان ندخلها معنا فى الحلقة ، فلسنا عنها بمفصولين ، بل سيتضح لنا فيما بعد ـ ان الكثير من عاداتنا وتقاليدنا متوارثة عن تلك الكائنات التى سبقتنا فى الظهور على الارض بعشرات ومئات الملايين من السنين .

اذن ، فلتكن نظرتنا لهذا الموضوع نظرة شاملة جامعة ، فمن الخطأ ان يقيمه احد على هواه ، أو يتخذه مقياسا للحياة الفردية ، بل عليه أن يرقب المسرحية العريضة التى تقدمها الحياة على خشبة مسرح هذا الكوكب ، وعندما تنتهى فصول التمثيلية ـ التى يلعب فيها الذكر والانثى الدور الرئيسى ـ فعليه أن يحكم الحكم الصحيح ، وسيتضح له ان الحياة تتحيز لاناثها ، وتضحى بذكورها ، او كأنما هى تتعامل معنا على مبدأ « الخيار والفقوس » .. فالخيار يعنى الاناث ، أما الذكور عندها فبمثابة « الفقوس » ، أو البضاعة الرخيصة !

كأنما طعمنا نحن معشر الذكور فى « فم » الحياة قد اصبح مثل طعم اللبان « الدكر » فى افواهنا ، فهو ـ أى اللبان الدكر ـ لا يعمر بين أضراسنا طويلا ، لانه هش ، وبه مرارة ، وما أسرع ان نبصقه او نحرقه فى خلطة البخور لنستمتع برائحته التى لا يظهرها الا « الحرق بالنار » .. هذا بعكس اللبان « النتاية » ، فله بين الأسنان طراوة ، وفى المضغ حلاوة .. ومن أجل هذا كان فى الاسواق اغلى سعرا ، وفى الافواه اطول عمرا !

كذلك يكون المخلوق الذكر فى سوق الحياة .. انه ارخص من الانثى ثمنا ، واقصر عمرا .. فالانثى مرغوبة ، أما الذكر فى حياتها فليس الا بمثابة عابر سبيل ، يضع البذرة ، ويترك لها الباقى ، ولهذا فان الانثى بالنسبة للحياة اثمن واهم بيولوجيا من الذكر !

وقد تثير هذه الحقيقة بعض الاصدقاء من عالم الذكور ، فتراهم يفتلون شواربهم (ان كانت موجودة) ، ويمسكون بذقونهم ، وينفخون أوداجهم ، ويبرزون عضلاتهم ، وبصوت جهورى أجش فيه نبرة رجولة فياضة قد يقولون : كيف ذلك يكون ، وقد جعلنا الله قوامين على النساء ؟ .. ثم قد يستطردون ويقولون : ان الرجل من قديم الزمن هو سيد هذا الكوكب ، وهو الذى صنع الحضارة ، ووضع القوانين ، وطور العلوم ، واقام الدنيا واقعدها .. وبالاختصار فهو ـ لا شك ـ اهم من الانثى واحسن !

صحيح ! .. صحيح ان الرجل صانع الحضارة ، لكن المراة صانعة الاجيال ، وشتان ما بين هذا وذاك ، فالرجل قد يبيد حضارته نتيجة لتهوره ، فى حين أن المراة لا تبيد ما تحمل

http://nj180degree.com

وتضع وتصنع ، ثم اننا فى تقديمنا لهذا الموضوع لم نتعرض للذكر والانثى من وجهة نظر العلم والحضارة والسيادة ، ولكننا نتعرض لها من وجهة نظر الحياة .. فاستمرار الحياة اهم بيولوجيا من استمرار اى شىء آخر ، ولهذا كانت الانثى اغلى ، لانها هى الحاضنة الحقيقية للاجيال .. وفيها وفى الاجيال صفة الاستمرار .

لكن .. لماذا تسرعنا فى حكمنا قبل ان نقدم فصول هذا الكتاب ؟

لسنا ندرى .. فالكلام « يجر بعضه » كما يقولون ، والذى جرنا الى كتابة هذا الكتاب حوادث عدة تمر بنا فى كل آن وحين .. فلقد مررت ذات يوم على رجل ، وهو يمسك بيده فأسا ، وبه يهوى على جذع نخلة فى ضربات قاسية متلاحقة .. لم يكن فى النخلة عاهة ولا شذوذ ، بل تبدو فى منتهى الصحة والعافية ، وبدافع الفضول تقدمت وقلت : على رسلك يا صاح .. لماذا تجز نخلتك هكذا جزا ، وكأنما هى قد جاءت شيئا نكرا ؟ .. عندئذ مسح عرقه ، ونحى فأسه ، ونظر الى بألم وحسرة وقال : فقرى دكر .. حظى دكر .. النخلة دكر ، وليس لدكر النخل من فائدة تذكر ، ونحن اولى بجذعه واليافه وجريده ، ولابد ان اقطعه من جذوره ، لأزرع مكانه نخلة اخرى .. وياليته جاء انثى ، عندئذ كنت اصونها وارعاها ، لانها ستمدنى بما أهوى !

قلت وانا اجتر مرارتى وحزنى : لكن لولا الذكور ما كانت الاناث ، فهذه مكملة لتلك .. قال اعلم ذلك ، لكن ذكرا واحدا يكفى لعدد كبير من الاناث ، ولابد ان نتخلص من الذكور الزائدة لنفسح مكانا لمزيد من الاناث .. ففيها خير كثير .. دعنى وفقرى الدكر !

وتركته وانطلقت الى حال سبيلى وانا اتمتم بمرارة : مسكين عالم الذكور .. رخيص عالم الذكور !

وتكرر المشهد امامنا مرة اخرى فى عالم الحيوان ، كما تكرر قبل ذلك فى عالم النبات ، ففى حظيرة الدجاج حلت المأساة بديك شاب كان يتبختر ويتباهى مع رفيقين آخرين بين عدد كبير من الاناث ، وجىء بالسكين ، ووقع الاختيار على المسكين ، وبعد لحظات كان الديك مضرجا فى دمائه ، وأخذ يرفرف ويرتعش الى ان همد جسده ، واسلم الروح الى بارئها ، وسألت وقتها بغيظ : لماذا الديك بالذات والفراخ كثيرة ؟ !

وجاء الجواب كصفعة لعالمى الذى أنتمى اليه ـ عالم الذكور عموما ، والرجال خصوصا ـ وقيل لى : ديك واحد يكفى لكل الفراخ .. فالدجاجة احسن من الديك ، وحتى لحمها أطعم من لحم الديك (تماما كاللبان الذكر واللبان النتاية) . ثم أن الدجاجة هى واضعة البيض ، والبيضة بخمسة وثلاثين مليما .. وهى التى تحضنه ليفقس ويعطى كتاكيت ، والكتكوت يساوى خمسين مليما .. وهذا يعنى ان الدجاجة من ورائها الخير والنعمة ، أما الديك فعليه اللعنة ، ونحن أولى بلحمه .. وليحيا الدجاج ، ولتذبح الديوك !

وانطلق فى داخلى هاتف حزين : بائس حقا عالم الذكور !

ثم يجىء الانسان فى النهاية ، ويضع القوانين الوضعية على نفس المنوال الذى سارت به القوانين الطبيعية .. ولقد كان القانون الوضعى فى صالح الانثى ، وضد الذكر على خط مستقيم ، فباسم القانون الوضعى « ممنوع ذبح الاناث ، ولتذبح الذكور » ..

http://nj180degree.com

والقانون بطبيعة الحال وضع للمواشى ، ولم يوضع للبشر (١) . . يعنى فليذبح العجل او الثور وتبقى البقرة .. نذبح الارنب ، ونحافظ على الارنبة .. نضحى بالكبش ، وتحيا النعجة ، والغريب ايضا ان الله ارسل كبشا ليفدى به اسماعيل ولم يرسل نعجة ! (٢) وكأنما فى التضحية بالذكر حكمة ، وتبقى الانثى معززة مكرمة !

لكن هناك قانونا طبيعيا يتمشى تماما مع قانوننا الوضعى .. فباسم القانون الطبيعى « على الذكور أن تتصارع فيما بينها ، ولتقتل — ان امكن — بعضها بعضا فى حضرة الانثى — فمن تغلب ملكها ، ومن استسلم وجبن وضعف فالى الجحيم » !

قانون قاس ذلك الذى يضحى بالذكور ، ويعرضها لما لا تحب وترضى .. ولتبق الاناث فى مرتبة اعلى ، ودرجة أغلى ، وهكذا شاءت الحكمة الالهية من قديم الزمن .. لكن رغم أن فى ظاهر هذا القانون قسوة ، الا ان فى باطنه حكمة ، وحكمته أن يتقدم للانثى اقوى الذكور واشدها ، وهكذا تختار الحياة لاناثها افضل ما أنتجت ، اما الباقى فعليه اللعنة .. وسوف نتعرض فيما بعد لصور غريبة من هذا الصراع ، ليتبين لنا ان عالم الذكور

(١) بعد أن انتهينا من كتابة هذه المقدمة ، سمعنا وقرأنا عن احتمال إصدار عدة قوانين جديدة تحدد علاقة الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل ، وفيها — كما يقولون — مزيد من القيود والاغلال لنا معشر الذكور ، صحيح أننى لا أهتم بمثل هذه القيود ، لأننى لم أدخل إليها أصلا ، إلا أننى أرثى لحال بنى جنسى حينما أسمع أن الذكر العاصى سوف يذبح ذبحاً ، أو أنه سيمشى « على العجين مايلخبطوش » .. ولهذا فلا بد أن يؤدبوه ويحسنوا تأديبه ، فمن مفاخر الزواج أنه تأديب وتهذيب وإصلاح .. ولا بد أن يسير الذكر فى هذا الطريق القويم إلى أن يسلم الروح إلى بارئها ! .

(٢) كما سمعنا ذلك من أحد خطباء المساجد .. بارك الله لنا فى علمهم ، ونفعنا به ! .

« بريالة » .. أى أن لعابها يسيل على الانثى ، وقد تهون الحياة فى سبيلها .

لكن يبدو اننا نحن معشر ذكور البشر لسنا معزولين عما يجرى فى الطبيعة الحية من حولنا .. فصراع الذكور — او الرجال — فى هذا العالم اشد وطأة ، واعظم قسوة من صراع الاناث . كما ان تعرض الرجال من قديم الزمن لشدائد الحياة واخطارها اكبر مما تتعرض له النساء .. فعلى الرجل دائما ان يحمى الانثى ، فاذا لم يفعل كان فى عرفنا غير جدير بما وهبته الحياة من صفات ليكون كفؤا لمجابهة كل الاحتمالات ، وفى مقدمتها حماية الدار من الاخطار .. كما ان الحروب لا يثيرها الا الرجال ، والجيوش المقاتلة كان حطبها ووقودها شبابا ورجالا .. ويبدو ان نعرة الرجولة هى التى تدفعنا دفعا لكى نتطاحن ونتقاتل ويبيد بعضنا بعضا ، ربما لسبب او لغير سبب ، او قد تكون من وراء ذلك انثى .. المهم ان الرجال تروح ، وتبقى النساء ، وعندئذ قد تختل النسبة بين عدد الاناث والذكور ، وقد يؤدى ذلك الى نوع من الانهيار الاخلاقى .. لكن الشريعة قد سمحت فى هذه الحالة للرجل المقتدر أن يتزوج من النساء مثنى وثلاث ورباع ، وفى هذا حكمة باطنة .. هى المحافظة على النساء وكرامة النساء حتى لا يتعرضن لما لا يحمد عقباه ، وفى ذلك تكريم لهن على اية حال ، « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » !

لكن المآسى الحقيقية التى قد تحل بالذكور من جراء الانثى ، والتى سنتعرض لها فى هذا الكتاب ، سنراها اكثر فى عالم الحيوان ، ومن الحقائق التى سنسوقها سيظهر لنا أن الذى « اخترع » هذه التعبيرات الطريفة — اى الفقر الذكر واللبان الذكر .. الخ ، ونطق بها لاول مرة فى التاريخ كان على حق ، وربما كان حكيما من الحكماء او عالما من العلماء ، او ربما كان مجنونا ، فاحيانا ما تاتى الحكمة من افواه المجانين ، وربما يكون جنونه قد أثمر واينع على يدى انثى — وما دمنا قد تعرضنا للجنون ، فلابد أن نشير

http://nj180degree.com

هنا الى ان نسبة المجانين بين الذكور اكثر منها بين الاناث ـ فأعصاب الذكر ـ رغم قوته الجسدية ـ قد تنهار وتتحطم امام اعصاب الانثى القوية ـ رغم ضعفها الجسدى الظاهرى .. فمن ضعفها تبزغ القوة ، وبدموعها الحقيقية والصناعية ـ التى تنهمر احيانا كالمطر الطبيعى والصناعى ـ قد تحول قوتنا الى ضعف ، وشموخنا الى خنوع ، فنستجيب للانثى بما تحب وتهوى .. فهى تعرف تماما كيف تستخدم الدمعة المناسبة ، وفى الوقت المناسب ، للموقف المناسب .. وهذا ذكاء لا نقدر عليه نحن معشر ذكور البشر ـ كما أن دموع الانثى قد يحل بها السلام ، وقد يأتى منها الخراب ، ورحم الله أبانا آدم وقصته مع أمنا حواء ـ فلقد اخرجته من الجنة بمطلب ودمعة ، وفى قول آخر ضحكت عليه بدمعتين ـ ويقال انهما دمعتان صناعيتان .. لكن ليس ذلك هاما بقدر ما يهمنا ان نعرف انه ضعف امامها ، فلم يستمع لكلمات ربه ، وسمع كلامها ، واطاع رغبتها ، وخرج وخرجت وخرجنا والسلام. ولازالت الدموع متوارثة فى بنات أمنا الاولى حواء حتى يومنا هذا ، او بعد يومنا هذا بملايين الايام .

والدموع ـ لا شك ـ رحمة ، ولقد اصابت رحمة الله الانثى دون الذكر ، فهيأ لها طريق الدموع ، ويسر لها سبيل البكاء .. فى حين ان الذكر منا قد خلق عصى الدمع ، « محبوس » الدم .. فان تمرد اوبكى قيل له « اكتم امال . . خليك دكر » . . ولابد ان ينكتم ، وقد ينفجر .. وما انفجاره الا سكتة قلبية ، او نزيفا فى مخه او جلطة فى شريانه ، او ضغطا فى دمه .. وكل هذه الامراض تظهر بين الذكور اكثر من ظهورها بين الاناث ـ كما سيتبين لنا ذلك فيما بعد .

ولقد كان الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع ان يضحك ويبكى .. ولهذا عرف باسم « الضاحك الباكى » .. ولقد ظهرت فيه هذه الصفة نتيجة لتطور المراكز العليا للعاطفة فى مخه .. فاذا اثير الانسان ، ووقع فى ضنك عضوى ، واجهاد

نفسى . فان ذلك ينشأ من سلسلة من الاحداث الكيميائية الحيوية التى تؤدى فى النهاية الى افراز هرمون الأدرينالين من الغدة الكظرية او الغدة فوق الكلى ، ثم صبه فى الدم ، ليقوم بعمليات فسيولوجية كثيرة من بينها احتقان الغدد الدمعية فى عيوننا ، فتسيل الدموع على خدودنا ، او قد تندفع الدماء الى وجوهنا ، او قد نجهش بالبكاء .. كل هذا يتوقف على نوع الضنك والاثارة التى يتعرض لها الانسان او الحيوان .

لكن الحيوان اذا تعرض للاثارة ، فانه لا يبكى ولا يدمع ، ولا تندفع الدماء الى وجهه ، بل يقف شعره ، أو « ينتفش » ريشه (كما فى القطط والكلاب والطيور) ، والذى فعل ذلك هو هرمون الادرينالين العجيب . . وهو يفعل أيضا فى اجسامنا الكثير ومنها اثارة الدم والدمع والحض على البكاء ، فاذا بكى الانسان ارتاح ، ولهذا كانت الدمعة او البكاء بمثابة صمام الامان الذى يريحنا من الازمات النفسية .. ولقد استخدمت الانثى ذلك الصمام اعظم استخدام بحيث اصبح من « التكتيكات » الهامة فى حياتها ، ولهذا أصابت بدمعتها عصفورين فى وقت واحد : عصفور ينفرج به كربها ، وتستريح اعصابها ، وتهدأ نفسها ، وعصفورها الثانى ذكر يضعف امام دمعتها ، ويجيب لها مطالبها ـ تماما كما فعل من قبل الذكر آدم ، فعرفنا الحلال والحرام ، والفضيلة والرذيلة ، والقبح والجمال .. الخ ، اى اننا ادركنا كثيرا من المتناقضات بعقولنا المتطورة .

اذن فالدمعة ايضا سلاح ذو حدين : حد تذبح به الانثى ضنكها ، وتنفرج ازمتها ، وحد لتذبح به ذكرا ، او تضعف ارادة رجل ، او تستعدى ذكرا على ذكر ، او تأخذ ما ليس لها بحق .. الى آخر هذه « التكنولوجيا » الدمعية التى قد تفعل اكثر مما تفعله الاسلحة الفتاكة .. ومع ذلك فالانثى فتاكة بدموعها ، فتاكة بعيونها .. على شرط ان تكون ساحرة الطرف . جميلة الوجه .. والا فلا !

http://nj180degree.com

والواقع ان الذكر ليس هاما فى حياة الانثى الا بقدر ما يجلب ، فان لم يفعل فعليه اللعنة ، او ان شئتم تعبيرا ادق من عالمكم ـ عالم العقل والحكمة ، فعليكم بهذا القول العظيم المأثور عن عالم الحريم « الراجل عيبه جيبه » .. يعنى ان الذكر منا ليس مرغوبا فيه من اجل انه رجل فقط ، ولكن بما يستطيع ان يقدم ، فاذا كان غير ذلك .. فالى الجحيم !

لكن مما لا شك فيه ان الانثى بها شىء من ذكاء ، وان الذكر به بعض غباء ، ونسبة الذكاء والغباء فى الحقيقة متروكة لتقديرك ، وغباء الذكور عموما يقودهم رغما عنهم الى الدخول برؤوسهم راضين فى المصيدة ، وكأنما هناك طعم لذيذ فى « سنارة » ، وعندما « يشبك » الذكر فى الشص ، وتقع الفاس فى الراس ، تراه يقول بمرارة ان هذا « شر لا بد منه » . او هكذا اخبرنى من قضم الطعم وشبك فى السنارة ، ثم لا يستطيع منها فكاكا ، ولا من براثنها انطلاقا ، ولابد ان يدور فى فلكها وملكوتها الصغير ، فاذا اهمل او تمرد او اظهر العصيان ، وهرب من الميدان .. ميدانها ، فالى المحكمة .. فلقد حفظت للانثى هناك حقوقها .. فمن دخل راضيا سالما ، فانه فى اغلب الاحيان ـ لا يخرج غانما ، فليست الامور فوضى ، ولابد للذكر ان يتحمل المسئولية مع انشاه حتى نهايتها .. وليشارك بعبء محمود او غير محمود .. لسنا ندرى !

ولا شك ان الحياة حكيمة ، والطبيعة ماكرة .. فلقد ضحكت علينا نحن معشر ذكور الانسان والحيوان ، وزودتنا بمادة كيميائية يطلقون عليها اسم « تستستيرون » ، وبهذه المادة العجيبة ينقلب كياننا راسا على عقب ، فتبدو الانثى امامنا وكأنما هى الفردوس المقيم . فاذا دخلناه من بعد حرمان ، انتهى التأثير وضاعت المباهج ، وانطفأت الشعلة المتوقدة ،

ليكون من ورائها اجيال واجيال من سائر المخلوقات ، ومن هنا برزت الحكمة .. حكمة ان يعمر هذا الكوكب بطوفان دافق من سائر افراد البشر والحيوان !

ولولا هذا التستستيرون العجيب ، او الهرمون الجنسى الفريد ، لما سعت الذكور الى اناثها ، ولا توددت اليها ، ولا دخلت فى شراكها ، ولا حدث الصراع والتنافس بينها لتفوز بها .. وتتضح لنا هذه الحقيقة تماما فى ذكور الانسان والحيوان قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال او قبل ان يحل هذا الهرمون فى اجسامهم كضيف عزيز ، ففى هذه الحالة يعيش الذكر الصغير مع الانثى الصغيرة ، دون ان يفكر أحدهما فى الاخر كما يفكر فى ذلك البالغون من الجنسين ، او لو اننا ازلنا الغدد الجنسية من الذكور قبل سن البلوغ ، وتركناها حتى تبلغ ، فلن تظهر عليها اية مظاهر للرجولة ، بل سيصبح الفتى اقرب الى الفتاة صوتا وبشرة وسلوكا ، وفوق كل هذا يبدو له الجنس الاخر كشىء عادى لا يستحق الاهتمام او الاثارة ، حتى ولو برزت امامه كل مفاتنه !

لكن ان يظهر هذا الهرمون فى الذكور ، ثم يسرى فى دمائهم .. فهذا أعظم « تكتيك او تكنولوجيا » بيولوجية على درجة هائلة من الكفاءة والضحك على الذقون .. ذقوننا نحن معشر الذكور ، فما ان تظهر مفاتن الانثى امام اعيننا ، حتى يسيل لعابنا ، كما سال لعاب ابينا آدم من قديم الزمان ، فعصى امر ربه واتبع هوى حواء (وهوى كل حواء جاءت بعدها بطبيعة الحال) .. فهى بذكائها تعرف مكامن الضعف فينا ، ولا شك ان هذا الهرمون اللعين يلعب نفس اللعبة ، حتى نقع فى المصيدة .. يقول البعض انها مصيدة لذيذة ، والبعض الاخر يقول « يا ريت اللى جرى ما كان » .. ولا ندرى ايهما على حق فيما يفتى ويقول !

http://nj180degree.com

كأنما نحن معشر الرجال نجيء الى الحياة اول ما نجيء من المراة لتحضننا بأمومتها وحنانها ونحن صغار ، ثم نترعرع ، ونصبح شبابا يتدفق قوة وحيوية وجنسا ، فاذا بها تحوينا فى احضانها مرة اخرى ، وبطريقة اخرى ، وكأنما ندخل برؤوسنا فى حلقة ضيقة نصبتها لنا الطبيعة على هيئة شباك سندسية ، وفى داخلها صيد لذيذ ، او تكوين انثوى بديع ، ليجذبنا كما يجذب « الطعم » فى السنارة سمكة جائعة ، و كما يجذب الفخ بما حوى حيوانا ، فاذا بهذا السحر الانثوى او « الطعام » اللذيذ الذى يتراقص أمام اعيننا على هيئة « وجبة جنسية » يسبل لها اللعاب .. اذ به جميعا بطير من الشباك بالزواج .. حقيقة علمية نفسية معروفة ـ فالحرمان من الاشياء هو الذى يجعلها مرغوبة (١) ، فاذا امتلكناها زهدنا فيها ـ ولولا تلك الروابط الاجتماعية المقدسة ، لتغيرت الامور ولتبدل الحال !

ان غرورنا نحن معشر الرجال بقوتنا ورجولتنا هو الذى يوحى الينا باننا نحن الذين نصطاد ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فالجوع الجنسى ، او ذلك الهرمون السحرى العجيب هو الذى يحركنا .. كما يحرك الذكور فى عالم الحيوان ، وهو الدافع الاول الذى يدفعنا دفعا الى دخول هذا العش او تلك المصيدة المنصوبة ، فاذا بنا نصبح صيدا ، ويسخر الصياد الحقيقى ـ المراة ـ بما اصطاد ، ولهذا فكثيرا ما نسمع همسا من الصياد تلك العبارة المكررة « لقد اوقعته فى حبالى من اول نظرة » .. وبعدها تسير على تلك الحكمة « الحوائية » ـ نسبة الى حواء ـ

---

(١) والرمز المستتر فى قصة آدم وحواء يشير أيضاً إلى أن الشجرة الوحيدة فى الجنة التى كانت لها جاذبية لا تقاوم من بين كل الأشجار ، هى الشجرة التى حرمت عليهما أن يقربا .. وعندما كشفا عن سرها ضاعت مباهج الجنة وعاشا فى الواقع .

الشهيرة « قصقصى طيرك ، ليلوف بغيرك » .. والقصقصة تعنى هنا اشياء كثيرة تعرفها حواء ، وتحتفظ بها وكأنما هى اسرار عسكرية ، وتاكتيكات حربية لا يصح افشاؤها .. ولا حول ولا قوة الا بالله .

انا لست فى هذا ضد المراة ، فالمراة ولا شك تستهوينى .. انها حقا فردوس رائع (البعض يفضلها جحيم مقيم) ، لكننى لا اريد ان امتلكه او يمتلكنى ، حتى لا يزهد فى ، ولا ازهد فيه .. وليكن هذا الفردوس امام عينى كطعم للذيذ فى سنارة ، احيانا اقضم الطعم ، ولا اقرب السنارة .. نوع من الحرص ليس الا .. فاذا دخل الزواج من الباب ، طار الحب من الشباك .. او اذا اردت تعبيرا ادق لقلنا : طار السحر والجنس والجمال من الشباك ، او هكذا اخبرنى من قضموا الطعم والسنارة ، « فشبكوا » فيها وكثير منهم نادمون كندم ابينا آدم .. او هو « شر لابد منه » .. وكذلك يقولون !

لكن .. هكذا شاءت الحياة وقدرت من قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان ، ليكون من وراء ذلك صفة الاستمرار فى الافراد والانواع ، وعلى جميع مستويات المخلوقات .. فحيث يذهب جيل ، يحل محله جيل جديد ، والمراة او الانثى عموما هى صانعة الاجيال .. وهى الاساس .. وهى الاثمن والابقى بالنسبة للحياة ، ولهذا فقد وهبتها من المكرمات والمزايا والصفات ، ما يجعلها هى الجنس الاقوى ، ونحن الجنس الاضعف .. حتى ولو كره الرجال !

كيف ذلك يكون ، وقد قال الله فى كتابه العزيز « الرجال قوامون على النساء » ؟

هذا صحيح .. لكن عليك أن تكمل الآية .. تجدها تقول « بما فضل الله بعضهم على بعض ، وبما انفقوا من اموالهم » !

http://nj180degree.com

والتفضيل هنا متروك لتقديرك وتعمقك فى بواطن الأمور .. لكن من وجهة نظر العلم نستطيع ان نقول ان المراة افضل واثمن بيولوجيا من الرجل !

وعلينا ان نترك هذه المقدمة « النكد او الذكر » لنوضح وجهة نظرنا فى فصل وفصول آتية ، ليتبين لنا اننا التعساء ، وهن المحظوظات !

دكتور عبد المحسن صالح
استاذ الكائنات الدقيقة
كلية الهندسة . جامعة الاسكندرية

هن أطول عمراً

لا شىء فى هذا العالم يساوى الحياة

فلو ان انسانا خير بين ماله وحياته .. لتخلى عن المال والجاه والسلطان وكل ما يملك لكى توهب له الحياة .. حتى ولو لبضع سنين تعد على أصابع اليد الواحدة !

ولقد نالت المراة خاصة ، والانثى عامة هذه المكرمة .. اذ وهبتها الحياة من المهد الى اللحد حياة اطول من حياة الذكور !

الاحصائيات البيولوجية تؤكد هذه الحقيقة ، فحيث يكون متوسط عمر الرجل فى مصر ٥١ر٦ سنة ، نجد عمر المراة يصل الى ٥٣ر٨ عاما .. وفى فنلندا ٦٣ر٤ عاما للذكور و ٦٩ر٨ عاما للاناث .. وفى انجلترا ٦٨ عاما للذكور و ٧٣ر٣ للاناث ، وفى الولايات المتحدة ٦٧ و ٧٣ر٦ عاما للذكور والاناث على الترتيب ، والشىء نفسه فى الاتحاد السوفييتى .. للمراة من سنى الحياة ٧١ر٩ عاما ، وللرجل منها ٦٤ر٤ عاما ، وهكذا منحت المراة فى جميع دول العالم عددا من سنى الحياة اطول من سنى الرجل .. عدا دولتين اثنتين : هما الجزائر وكمبوديا .. لنساء الجزائر من العمر فى المتوسط ٥٢ر١ عاما ، وللرجال ٥٤ر٣ عاما ، ولنساء كمبوديا ٤٣ر٣ عاما ولرجالها ٤٤ر٢ عاما .. وفى هاتين الدولتين شذوذ على القاعدة ، ولا حكم على الأمور الشاذة !

فماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

http://nj180degree.com

قد يقفز هنا فصيح ويقول معللا دون الاستناد الى دليل مدروس : ان عمر الرجال اقصر ، لانهم معرضون لمسئوليات الحياة واخطارها اكبر .. وهم الذين تقع عليهم اعباء الحروب ، وتشييد الدول ، وبالاختصار فهم بناة الحياة ، وهم عمدها .. اما النساء فليس لهن من كل ذلك نصيب محمود ، ولهذا طالت اعمارهن اكثر من الرجال

وذلك ـ فى الواقع ـ استنتاج غير صحيح ، ومردود عليه باحصائيات علمية شتى .. فالنساء والرجال الذين يقومون بالاعمال نفسها ، او حتى هؤلاء الذين لا يقومون بأعمال تذكر من كلا الجنسين ، وفى الاعمار ذاتها ، نجد ان الحياة تتحيز للانثى وتمنحها عمرا اطول من عمر الرجال !

ولكى نوضح ذلك ، دعنا نقدم دراسة واحدة من هذه الدراسات .. فلقد قام الاب الراهب فرانسيس ماديجان بدراسة على متوسط اعمار الراهبات والرهبان ، وهؤلاء ـ بطبيعة حياتهم ـ متساوون فى سلوك الحياة ، ولقد تناولت الدراسة حوالى ٣٠ الف راهبة ، واكثر من عشرة آلاف راهب ، ثم تقدم ببحثه هذا الى جامعة نورث كارولينا وفيه من الاحصائيات ما يؤكد ان متوسط عمر الانثى اكبر من متوسط عمر الذكر بحوالى ست سنوات

تتضح الحقيقة اكثر واكثر عندما نتناول فرص الحياة بين الذكور والاناث فى بدايات حياة الانسان ، اى وهو لا يزال جنينا فى بطن امه

يذكر دكتور آشلى مونتاجو فى كتابه « الوراثة والبشر » اشياء مثيرة واحصاءات غريبة عن الفرق بين الرجل والمراة من المهد حتى اللحد .. فعند مجيء الذرية الى الحياة نجد ان كل مائة مولود

انثى يقابله ١٠٥ مواليد ذكور .. وهذا يعنى ان عدد الذكور الذين يفدون على هذا الكوكب أكثر من عدد الاناث الوافدات .. ومع ذلك فان الآية تنعكس عندما يصل هؤلاءوهؤلاء الى سنى الشيخوخة فمن سن الستين حتى الرابعة والستين نجد أن عدد النساء اكبر من عدد الرجال بحوالى ٢٣ ٪ .. وفى سن الخامسة والسبعين فما فوق ترتفع النسبة ويصبح عدد النساء اكبر من عدد الرجال مرتين .. اى أن كل حيتين منهما يقابلهما حى واحد منا !

لكن ماساتنا نحن معشر الذكور تتضح اكثر عندما تبدا بدايتنا الحقيقية فى الحياة ، والبداية ليست من يوم الولادة ، ولكنها من يوم اخصاب بويضة بحيوان منوى ، ولهذا فان الصينيين هنا على حق عندما يضيفون اشهرا تسعة الى عمر المولود هى الفترة التى يمكثها الجنين فى الرحم من يوم الاخصاب حتى الولادة.

المفروض ان تكون فرص مجيء الذكور والاناث الى الحياة فرصا متساوية .. بمعنى أن يكون عدد المواليد من البنات مساويا لعدد المواليد من الاولاد .. لكل منها نسبة ٥٠ ٪ .. فالذى يحدد نوع المولود هو الرجل لا المراة .. ذلك أن ٥٠ ٪ من حيواناتنا المنوية « حريمى » ، و ٥٠ ٪ منها رجالى .. اى أن تكويننا الوراثى نحن معشر الرجال ليس « رجالى » صرفا .. ففى كل خلية من خلايانا الجسدية « أشرطة » ميكروسكوبية دقيقة يطلقون عليه اسم « كروموسومات » .. والكروموسوم بمثابة خريطة كيميائية وراثية ، وفيه تتراص مواقع حيوية استراتيجية نعرفها باسم المورثات أو الجينات .. والمورثات هى خطة العمل التى تترجمها الخلية الى مخلوق أيا كان شكله وحجمه ونوعه وجنسه

لكن موضوع الكروموسومات والمورثات موضوع متشعب وطويل ، وهو يفرض هنا نفسه مادمنا قد ذكرنا أن جزءا من مكوناتنا الوراثية نحن معشر الذكور حريمى ، وجزءا آخر رجالى .. ولكى نوضح هذا الامر لغير المتخصصين ـ وهم غالبية عظمى ـ

http://nj180degree.com

يكفى ان نذكر باختصار ان فى كل خلية من خلايانا الجسدية نواة .. وفى النواة ٤٦ كروموسوما .. او ٢٣ زوجا من الكروموسومات .. ٢٢ زوجا منها متشابهة ومكررة .. لكن الزوج الاخير – اى رقم ٢٣ يختلف عن الازواج الأخرى .. هذا الزوج من الكروموسومات يتكون من كروموسوم حريمى يسمونه « س » (او اكس X) . وكروموسوم رجالى يسمونه ص (او واى Y) .. فى فجرنا الجنسية (الخصى) نحن معشر الذكور تنفصل الازواج بالتساوى ، ويرحل نصفها الى قطب الخلية الجنسية ، والنصف الاخر الى القطب الاخر ، ثم يقام بينهما جدار حى رقيق ، وبعد هذا ينفصلان ليصبحا حيوانين منويين .. حيوان منوى منهما يحمل الكروموسوم س (حريمى) ، والاخر يحمل الكروموسوم ص (رجالى) !

فى عملية الاخصاب ينساب من الرجل حوالى ٢٠٠ مليون حيوان منوى – ينقص هذا العدد او يزيد على حسب فحولة الذكر وعمره وتكوينه الجسمانى – لكن ليس ذلك مهما الآن بقدر ما يهمنا ان نعرف ان نصف الحيوانات المنوية فى السائل المنوى تحمل الكروموسوم س ، ونصفها الاخر يحمل الكروموسوم ص – فلو كان فى المقذوف ٢٠٠ مليون حيوان منوى ، نجد ان مائة مليون منها حريمى ، ومائة مليون رجالى !

ومن هذا يتضح ان فرصة المواليد الاناث كفرصة المواليد الذكور .. فاذا سبق الحيوان المنوى السينى ولقح البويضة ، كانت المولودة انثى ، واذ سبق « ص » ودخل ، جاء المولود ذكرا .. وعلى حسب قوانين الاحتمالات ، وما دام نصف الحيوانات المنوية تحمل معها الصفات الوراثية الحريمى ، ونصفها الثانى يحمل الصفات الرجالى ، فانه من المتوقع ان يكون عدد حالات الاخصاب التى تؤدى الى مجىء بنات مساوية لعدد حالات الاخصاب التى تؤدى الى مجىء صبيان !

وقد يبرز هنا تساؤل : ولكن هناك حالات تلد فيها النساء ذكورا صرفا ، او اناثا صرفا .. والجواب ان العلم لا ينظر الى الحالات الفردية ، ولو اتخذها مقياسا لكان ذلك مدعاة الى الخطأ ، ولكنه فى تحليله لاى أمر من الامور يرتكز على احصائيات تتناول قطاعات كبيرة من السكان ، او حتى دولا باكملها .. تماما كما يحدث فى الميزانيات والدخل والمنصرف وانتاج الثروات الزراعية والحيوانية والصناعية .. فدائما ما نذكر ان متوسط الدخل كذا جنيها ومتوسط محصول الفدان كذا اردبا او قنطارا .. الخ

دعنا نعود الى تحليل موضوعنا الذى يهمنا لنقول : ان التقديرات الحسابية والرياضية توضح ان عمليات الاخصاب التى تتم ستؤدى الى تكوين اجنة من الذكور والاناث بالتساوى !

لكن الانثى قد لعبت بحساباتنا وتقديراتنا ، كما لعبت من قبل بعقولنا .. فالحيوان المنوى الذى يحمل الكروموسوم الرجالى او الصادى يؤدى الى اخصاب اكثر (١) ، وسيقود ذلك حتما الى انتاج عدد من الذكور اكبر .. ولهذا تشير الاحصائيات البيولوجية الى ان عدد البويضات المخصبة التى ستؤدى الى مجىء مواليد من الذكور تقع فى حدود ١٢٠ – ١٥٠ بويضة ، يقابلها مائة بويضة مخصبة بالحيوان المنوى الحريمى لتاتى منها البنات

ولماذا كانت هذه التفرقة من البداية ؟

الواقع ان احدا من العلماء لم يستطع ان يقدم تعليلا مقبولا

(١) يعتقد العلماء أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن الحيوان المنوى ص . أخف قليلا من الحيوان المنوى س (الأنثوى) ، لهذا كان الأول أبطأ فى الحركة نسبياً من الصادى ، ولا بد والحال كذلك أن تكون فرصة الاخصاب بالذكرى أكبر ؛ وعلى أساس ذلك ، فإن فرصة تكوين أجنة من الذكور أكبر من نسبة تكوين أجنة من الإناث بنسبة تتراوح ما بين ٢٠ – ٥٠ ٪ .

http://nj180degree.com

لمثل هذه الظاهرة الغريبة .. لكن ذلك سيتضح من مجريات الاحداث التى تتم بعد الاخصاب ، وسيتبين لنا أن الجنين الذكر هو الأضعف من ناحية التكوين الوراثى ، ولابد أن يعوض هذا الضعف بزيادة فى عدد حالات الاخصاب ، لتصبح الأجنة الذكور اكثر من الاجنة الاناث ، حتى اذا ما تعرضت الاولى لعوامل ومصائب ليست فى الحسبان ، فان عددها الزائد عن الاناث ، سوف يتوازن عند الولادة وما بعدها !

ولكى نوضح ذلك بالارقام نقول : فى سجلات المواليد يتبين ان كل مائة مولودة انثى يقابلها ١٠٥ مواليد ذكور . . ولو قارنا هذين الرقمين مع عدد حالات الاخصاب التى ستؤدى الى صبيان وبنات ، لوجدنا أن عددا من الاجنة الذكور يتواجد ما بين ١٥ و ٤٥ جنينا قد اختصروا الطريق الى الحياة الاخرة وهم لا يزالون فى الارحام .. ذلك أن عدد البويضات المخصبة التى ستؤدى الى ذكور يتراوح ما بين ١٢٠ ـ ١٥٠ حالة ، مقابل مائة بويضة فقط تؤدى الى اناث .. فاين ذهبت البقية ؟ .. الجواب : ماتت قبل أن تخرج الى الحياة .. لكن هذا لا يعنى أن كل الاجنة البناتى تعيش ، فلا شك أن هناك نسبة منها ستختصر الطريق الى الآخرة وهى لازالت فى الارحام .. لكن الاحصائيات تشير الى أن ما يموت من الاجنة الذكور أعلى من الاجنة البنات !

يؤكد مونتاجو ذلك فى كتابه فيقول « فى كل مرحلة من مراحل تكوين الجنين ، وفى كل مرحلة من مراحل الطفولة ، يكون معدل الوفيات فى الذكور اكبر من الاناث .. والشىء نفسه صحيح بالنسبة لمراحل العمر المختلفة » !

ثم يسوق بعد ذلك ارقاما ، فيذكر :

* ان ما يموت من الاجنة الذكور أعلى مما يموت من الاجنة الاناث بحوالى ٥٠ ٪ !

* فى الشهر الاول من عمر الطفل ترتفع معدلات الوفيات بين الذكور عنها فى الاناث بنسبة تصل الى ٤٠ ٪ !

* عندما يصل المواليد الى مرحلة من العمر تقدر بسنة واحدة ، نجد أن ما مات من الذكور أكبر بحوالى ٣٣ ٪ مما مات من الاناث !

* ما بين سن الخامسة الى التاسعة من مراحل الطفولة ترتفع نسبة الوفيات بين الذكور عنها فى الاناث ، فالذين يموتون فى هذه المرحلة من الذكور اكثر بنسبة ٤٤ ٪ من الاناث !

* ترتفع نسبة الوفيات مرة اخرى فيما بين سن العاشرة والرابعة عشرة ، ليصبح ما مات من الصبيان اكثر بحوالى ٧٠ ٪ مما مات من البنات !

* ترتفع النسبة بشكل يدعو للفزع فيما بين سن ١٥ ـ ١٩ عاما ، فتصبح نسبة عدد الضحايا من الذكور ١٧٠ ٪ منها فى الاناث ، ثم تنخفض النسبة قليلا الى ١٣٠ ٪ حتى سن الواحدة والعشرين !

* تنقص نسبة الوفيات تدريجيا بين الجنسين حتى يحدث التوازن بينهما عند سن ٣٠ ـ ٣٤ عاما ، وبعدها يقصف من اعمار الرجال اكثر مما يقصف من اعمار النساء .. وفى نهاية رحلة الحياة يزيد عدد الحيات عن عدد الاحياء بضعفين .. واحد منا لكل اثنتين منهن .. ويا قلب لا تحزن ، فهن اهم منا واثمن !

هل يعنى هذا أن الحياة تتحيز للانثى ، وتحافظ عليها ، فى حين انها تضحى بنسبة معينة من الذكور ؟ .. وما هو السر الكامن فى ذلك ؟ .

http://nj180degree.com

الاناث بلا شك اغلى وارفع منزلة من الذكور .. لكن هذه الحقيقة ستضح لنا اكثر فى عالم الحيوان والنبات ، وسوف نتعرض لذلك فيما بعد .

ان موت الذكور من البشر بهذه النسبة المحزنة ليس كارثة تدق لها الحياة طبول الخطر ، ولكن الكارثة الحقيقية هى موت الاناث ، خصوصا عندما كانت الحياة تشق طريقها بالانسان فى العصور البالغة القدم .. فلكى يترعرع النوع الانسانى وتزيد اعداده من بعد اضمحلال ، كان اعتماد الحياة على الاناث اكثر من اعتمادها على الذكور .. فذكرواحديكفى لقبيلةمن النساء ،ولكن بقاء انثى واحدة يشكل امام الحياة مشكلة خطيرة للغاية حتى ولو كثر الذكور ! .

ولكى نوضح ذلك لابد ان نشير الى ان غريزة الجنس هى المسئولة عن استمرار الحياة ، ولهذا فهى اهم من غريزة الطعام . صحيح ان الغريزتين هامتان واساسيتان لاستمرار الطوفان الحى ، لكن غريزة الطعام فيها استمرار لحياة الأفراد ، وغريزة الجنس فيها استمرار للانواع ، والنوع بالنسبة للطبيعة اهم بيولوجيا من الفرد .. فالفرد قد يموت ، ولابد ان يظهر غيره عن طريق الجنس، لكن ان يموت النوع ، فان ذلك يعنى انقراض كل افراده من هذا الكوكب .. والمسئول الأول عن انتاج « بضاعة » الحياة هى عملية الجنس التى اصبحت بمثابة العملة البيولوجية المتداولة بين كل انواع الخلق .

ان الجنس بالنسبة للانثى بداية ـ اعظم بداية ، وبالنسبة لنا نحن معشر الذكور نهاية .. ابسط نهاية .. !

يعنى ان عمليـــة الاتصـال الجنسى لا تعمـر الا دقـــائق تعد على اصابع اليد الواحدة ، او اذا اردت ، فلنقـل اصابع اليدين والرجلين .. ولقد كان هدف الذكور من ذلك

اساسا أن تحصل على لذة عارمة ودت انها تدوم ، لكن ليس هذا هو هدف الحياة ، بل اتخذت من اللذة وسيلة فعالة لكى يقذف الذكر بالملايين من خلاياه الجنسية ليحدث التلقيح ، وهذا ـ فى الواقع ـ هو الهدف الحقيقى الهام .. وكأنما الطبيعة قد ضحكت علينا ضحكة ازلية ، وصورت لنا الجنس الآخر كجنة نتغنى بجمالها وسحرها وحبها .. وما اكثر الاغانى والآهات وكلمات الغرام والهيام التى نسمعها ليل نهار ، وكأنما هذا الكوكب قد خلق لذلك ، وهو فعلا كذلك ، فالنتيجة الوحيدة لذلك ان يحصل المحب على من يحب او لا يحصل ، فاذا بالحب يتحول الى عيال ومسئوليات جسام ، وهكذا تأتى الأجيال ، وتستمر الحياة بمخلوقاتها .

وعندما ينتهى الذكر من لذته بعد دقائق ثم يخمد وينام ، نرى البداية العظيمة لهذا التاكتيك الهرمونى الجنسى وهى تبدأ فى الانثى بعد ان يحدث الاخصاب ، وعندئذ تنقسم البويضة الملقحة الى عشرات ومئات وآلاف الملايين من الخلايا التى تتشكل فى جنين لن يأتى الى الحياة الا اذا عاشت من تحمله فى بطنها على الاقل اشهر تسعة ، ومن هنا كانت حياتها اهم من حياة الذكر .

بمعنى آخر نقول : ان دور الرجل فى انجاب الذرية لا يستغرق وقتا مذكورا ، فى حين ان الدور الرئيسى يقع على عاتق المراة ، ولا بد ان تحافظ الحياة عليها غالبا حتى تضع مولودها ، ثم لا بد ان تقف بجوارها لترضعه وتحميه وتحتضنه لسنوات قادمة .. وموتها فى هذه الفترة سيكون كارثة على الحياة ، لكن ان يموت الذكر بعد عمليات الاخصاب ، فلن يقدم ولن يؤخر ، وتتضح هذه الحقيقة اكثر فى عالم الحيوان ، فمعظم ذكورها تقوم بتلقيحها ثم تذهب الى حال سبيلها ، وعلى الانثى تقع كل المسئولية ، اذ لابد ان تسعى لاطعام نفسها واطعام ما فى بطنها من دمها ، وبعد الولادة ترعاها وترضعها وتقف بجوارها حتى يعتمد أولادها على

http://nj180degree.com

انفسهم ، ويذهبون الى حال سبيلهم ، والذكر عن كل ذلك لاه عن رسالة كبرى حملتها الانثى ، وبها شقت طريقها .

ولو فرضنا أن هذا الذكر كان الوحيد فى قبيلة من النساء ، فانه يستطيع أن يقوم باخصابهن جميعا فى شهور قليلة ، ولو مات بعد هذه الشهور فلن تحدث المأساة ، ذلك أن الذرية القادمة من هؤلاء النساء ستؤدى الى جيل جديد من الاولاد والبنات ، وعندما يبلغون ، فسوف يتناكحون ويتناسلون ، وبهذا تستمر الحياة ، لكن أن تكون هناك امرأة وحيدة بين قبيلة من الرجال ، فليس لهؤلاء الذكور من فائدة ، ولاشك أن الانثى هنا بالنسبة لاستمرار الحياة ـ اغلى بكثير من كل الذكور اذ لو ماتت بعد التلقيح او قبل الولادة ، لتوقفت الحياة فى القبيلة ، ولانقرضت من الوجود .

طبيعى أن ذلك لا يحدث الآن ، فلقد طفح الكيل من كثرة الذرية والتناسل ، لكن اهمية الانثى قد بزغت منذ بزوغ النوع الانسانى فى فجر التاريخ .. ولكى تكثر الذرية ـ اى نوع تشاء من اى مخلوق تشاء ـ كان لابد من الاعتماد على الانثى اولا ، ثم يأتى الذكر فى المرتبة الثانية .. ومن اجل هذا فقد ضحت الحياة بذكورها ، وحافظت على اناثها .. ويكفى أن نشير هنا مثلا الى تلك القصة الرمزية او الحقيقية التى سجلها قدماء المصريين على قبورهم ، فلقد خرج جميع الشبان والرجال الى الحرب ، وغابوا لعدة سنوات عن نسائهم ، ولم يعد منهم الا عدد جد قليل ، وكانت دهشتهم بالغة عندما وجدوا أن انتاج الذرية لم يتوقف فى النساء ، رغم غياب الرجال ، فلقد كان هناك رجل لا يصلح للحرب ولهذا تركوه وراءهم ، فاذا به يخصب معظم الاناث ، فأعاد للدولة مجدها من بعد اضمحلال فى عدد الذرية ، وهكذا يتبين لنا أن من لا يصلح فى الابادة والقتل والحرب ، يصلح فى امور أخرى تقوم عليها اعمدة الحياة .. ليكون استمرار الاجيال .

لكن ليس ذلك كل ما فى الموضوع .. فلا زالت للقصة بقية .

فمن الحقائق المعروفة أن الفترة الخصيبة فى المرأة اقصر من الرجل ـ فحيث تبدأ فى الجنسين عند سن ١٤ ـ ١٦ عاما فى المتوسط عند البلوغ ، نراها تمتد فى المرأة الى سن الخمسين فى المتوسط .. حيث ينقطع الطمث الشهرى ، وهذا يعنى أن المبيضين قد توقفا عن افراز البويضات لاصابتهما بالشيخوخة المبكرة نسبيا ، وفى ذلك دليل على أن المرأة قد احيلت الى « المعاش» اخصابيا ، مع أنها لازالت تمارس كل حقوقها فى الحياة بما فى ذلك الجنس طبعا ، ولكن بدون ذرية ! .

والواقع أن ذلك ليس حال الذكور . . اذ قد تمتد فترة الاخصاب فينا الى اكثر من ٦٠ عاما .. وهذا يعنى أن الذكر منا قد يحال الى المعاش وظيفيا ، ولكن يبقى خصيبا بعد هذه السن جنسيا .. فهناك حالات من الرجال المسنين جدا (ربما فى الثمانين او اكثر) قد تزوجوا من نساء صغيرات نسبيا ، واستطاعوا أن ينجبوا منهن ذرية فى هذه السن المتأخرة .. وبمعنى آخر نقول : أن الفترة الخصيبة فينا نحن معشر الذكور قد تمتد الى ٦٠ أو ٧٠ عاما ، فى حين أنها فى النساء قد لا تزيد عن ٣٥ عاما ! .

وهذا ايضا كان فى صالح الجنس البشرى عند بداية ظهوره على هذا الكوكب .. فلقد كانت النساء وقتها تلوذ بالكهوف ، ولا يتعرضن بذلك للاخطار التى يتعرض لها الرجال الذين يخرجون للقنص والصيد بطرق بدائية ، فلا تنغمهم عضلاتهم امام الوحوش المفترسة ، وكانوا ينقرضون واحدا بعد الآخر ، ولا شك أن وجود بعض المسنين فى القبائل البدائية القديمة مع النساء الشابات كان بمثابة تعويض لما يضيع ويموت من الشباب والرجال ،والمسن يستطيع أن ينجب ذرية من امراة او شابة مات زوجها .. فلا زالت غدده الجنسية صالحة لافراز حيوانات منوية خصيبة ،

http://nj180degree.com

حتى ولو امتد به العمر .. فمن مفارقات الحياة الغريبة ان كل خلايانا الجسدية يحل بها الضعف ، وتزحف عليها الشيخوخة كلما تقدم بنا السن ، ولكننا لا نرى ذلك فى الخلايا الجنسية .. فهى دائما ابدا تمتاز بالحيوية والنشاط حتى ولو كان الذى افرزها قد وصل الى أرذل العمر .

ويذكر بعض العلماء ان المراة فى العصور القديمة جدا كانت تختلف عن المراة فى العصور الحديثة .. فمنذ مائة الف عام تقريبا كانت الانثى تتميز بفترات اخصاب اطول ، بمعنى انها كانت تستطيع ان تنجب اطفالا وهى فوق سن الخمسين أو الستين، وفى ذلك تعويض عن عددهن القليل جدا فى بداية نشوء النوع الانسانى .. فلكى تكثر الذرية وتنتشر ، كان لابد من الاعتماد اساسا على المراة .. وعندما اشتد عضد النوع الانسانى ونشأ وترعرع وبدأ ينتشر على الأرض ، بدأت الفترات الخصيبة للمراة تتناقص تدريجيا بمرور عشرات الالوف من السنين .. وربما كانت هناك علاقة بين عدد سكان الارض من البشر وبين الفترات الخصيبة للنساء .. فكلما زاد تكدس السكان ، تناقص لديهن معدل الاخصاب .. لكن ذلك لا يظهر بوضوح فى الانسان ، ولا نستطيع أن نلحظه فى فترات تقدر بالوف السنين .. كما اننا لا نستطيع أن نجرى التجارب المعملية على النساء والفتيات لسبب بسيط .. ذلك انهن لسن بحيوانات تجارب ، ولكن التجارب التى اجراها العلماء على اناث الحيوان تؤكد هذه الحقيقة الغريبة .. ولنذكر هنا تجربة واحدة اجريت على « حريم » الفئران ! .

عندما تتكدس اناث الفئران فى اقفاص لفترات طويلة ، تظهر عليها العصبية وتوتر الامزجة ، وهذا بدوره ينعكس على درجات اخصابها .. فأحيانا ما تصاب بعقم كاذب ، واحيانا أخرى لا ترغب فى الجنس ، وقد يحدث لديها اجهاض ، وقد تتكاسل مبايضها عن افراز البويضات .. الخ ، المهم فى الموضوع أن اناث

الفئران المزدحمة فى اقفاصها أو جحورها تحدد نسلها بطريقة طبيعية .. لكن المسئول عن ذلك مادة كيميائية خاصة اسمها « فيرومون » ، وهذه تنتشر منها كما تنتشر العطور من نسائنا ، وكلما زادت اعداد اناث الفئران ، كلما زاد تركيز الفيرومون .. وهذا بدوره يؤثر تأثيرا فعالا على اخصاب الفارة ، ويصيبها بالعقم المؤقت ، وربما يؤدى ذلك الى اختصار فترة حياتها الخصيبة ، وكأنما الفئران قد حلت مشاكلها ، وتغلبت على تحديد نسلها قبل ان يظهر البشر على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين .

الى هنا يبرز سؤال هام : هل سيؤدى ازدحام البشر على هذا الكوكب الى اختصار الفترات الخصيبة لنسائنا أكثر واكثر ؟

ربما يحدث ذلك ، وربما لا يحدث .. فعلم ذلك عند ربى ، فالامر يحتاج الى الوف من السنين قادمة !

واذا كانت الاحصائيات البيولوجية تؤكد ان المراة اطول عمرا من الرجل لاسباب سنوردها فى حينها ، الا ان هذه الحقيقة تتأكد اكثر اذا نظرنا الى طوفان الحياة ككل ، بداية من الميكروب الى النبات الى الحشرة الى الضفدعة الى الطير الى كل ما يدب على هذا الكوكب من مخلوقات شتى .. بما فى ذلك الانسان .

ونحن لا نستطيع ان نتعرض هنا لكل الوسائل والاساليب التى سارت عليها الحياة لتضع فيها مخلوقاتها تحت اختبارات قاسية لتنتقى الصالح الصامد ، وتقضى على الطالح المتواكل .. الا ان قسوة الحياة قد انصبت اساسا على ذكورها .. وكأنما هى تقدم الذكر قربانا للانثى بوسائل شتى ، ومن اجل هذا قصرت اعداد الذكور ، وزادت الاناث .. أو لو وضعنا ذلك فى احصائية علمية ، لتبين لنا أن الانثى فى عالم النبات والحيوان اطول عمرا من الذكر .. ربما باضعاف مضاعفة .

الى فصل قادم اذن ، لنعرض مأساتنا نحن معشر الذكور .

http://nj180degree.com

الأنثى أولا.. من فضلك!

الحياة لا تهتم كثيرا بالذكر قدر اهتمامها بالانثى !

حقيقة يعرفها العلماء جيدا من خلال دراساتهم الطويلة من بداية الخلق حتى نهايته . . نعنى من الميكروب والأميبا ، الى الشمبانزى والانسان .

وكثيرا ما اسقطت الطبيعة الذكر من حسابها ، واحيانا ما قدمته لنا بصورة ممسوخة تدعو الى الازدراء والاحتقار .. وكأنما هى تؤكد ان الانثى هى الاساس ، وانها هى التى نشأت اولا ، ومنها اشتق الذكر بعد ذلك وظهر !

ولو تعمقنا فى جوهر الحياة ، واسس البيولوجيا لوجدنا ان المخلوقات جميعا ليست الا بمثابة مواعين حية لتحتفظ بسر خلود النوع وانتشاره فى الزمان والمكان .. والماعون او الكائن الحى يأتى الى الحياة ضعيفا ، ثم يقوى ويشتد عوده ، ولابد ان يستهلك بعد ذلك ويبلى ويموت .. يستثنى من ذلك الخلايا الجنسية .. فهى دائما تترك مواعينها الفانيةلتتقابل فى عمليات النكاح او التزاوج او التلقيح ، وبعدها تندمج ليأتى من ورائها مواعين او مخلوقات جديدة .. وهكذا تظهر اجيال ، وتروح اخرى !

لكن الماعون الاساسى للحياة يتركز فى الانثى .. فهى التى تستقبل الخلايا الجنسية الذكرية ، وهى المسئولة عن تنشئة الاجنة وحملها وولادتها ورضاعتها ورعايتها ، ولهذا كانت اهم بيولوجيا من الذكر !

وقد يبدو لنا الذكر احيانا وكأنما هو ليس الا اداة حية من ادوات التلقيح ، وبعد ان يؤدى رسالته نحو الحياة ، فلا فائدة من وجوده بعد ذلك ، وقد يتحلل ويموت ، فى حين ان الانثى تبدأ حياتها الحقيقية بعد موت الذكر .

ولقد قدمت لنا الطبيعة امثلة كثيرة ، وكأنما هى تضع النقط فوق الحروف ، وكأنما لسان حالها يقول : فلنشطب الذكر من سجلات الحياة ، ولنبرز الاناث ، ولنهىء لها السبيل فى انتاج ذرية من وراء ذرية دون ان يشارك فيها الذكر بخلية من خلاياه الجنسية ، وكيف يشارك وهو ليس موجودا اساسا فى هذا العالم الغريب الذى ينطوى على مجتمعات كلها حريم فى حريم ؟!

نعم .. ان الانثى تستطيع ان تحمل وترزق بذرية دون ان يمسها ذكر .. اى انها تتوالد عذريا .. بمعنى انها تنجب وهى عذراء ! . ومن هنا اطلق العلماء على مثل هذه الحالات اسم « التوالد العذرى » .. Parthenogenesis (وهذه الكلمة من شقين يونانيين « بارثينوس » بمعنى عذراء وجينيسيس بمعنى توالد .. وهناك معبد البارثينون اى معبد العذارى فى اثينا القديمة .. وقد انشىء فى القرن الخامس قبل الميلاد) !

والتوالد العذرى واسع الانتشار فى رتب كثيرة من مملكة الحيوان ، وخصوصا فى الحيوانات الدنيا مثل براغيث الماء (الدافنيا والسيكلوبس Daphnia & Cyclops) ، وبعض انواع من الديدان والحشرات مثل المن والتربس والنمل والنحل والدبابير .. الخ ، لكن هذا موضوع متشعب وطويل ، ولا يهمنا منه الا ان نعرف ان للذكر دورا ثانويا مع الانثى ، او قد لا يكون له دور على الاطلاق !

فمنذ اكثر من قرنين وربع قرن من الزمان ، وبالتحديد فى عام ١٧٤٠ ، اكتشف هذه الظاهرة المثيرة شاب سويسرى ـ لم

http://nj180degree.com

يتجاوز العشرين من عمره – يدعى تشارلز بونيه .. فلقد اخذ انثى من اناث المن الحديثة الولادة وعزلها عن كل ما حولها من ابناء او بنات جنسها ، وبعد عشرة ايام اكتشف – لدهشته – ان الانثى قد ولدت « طفلا » .. وفى غضون الواحد والعشرين يوما التى تبعت ذلك وضعت الانثى نفسها اكثر من ٩٥ من ذريتها وكتب يصف مولدها « وكلها جاءت حية ، وظهرت الى الوجود امام عينى التى فى رأسى » !

ولقد اثار هذا الاكتشاف نوعا من النقاش والامتعاض وعدم التصديق .. فالاجيال لا تأتى – كما هو دائما معروف – الا اذا اجتمع ذكر بأنثى .. دودة كان ذلك او حشرة او سمكة او فأرا وارنبا وكلبا وخنزيرا وثعبانا وانسانا .. الخ ، لكن بونيه استمر فى بحوثه ، واستطاع ان يتوصل الى انتاج عشرة اجيال متتابعة دون ان تحدث بينها عملية تلقيح واحدة ، وهنا يقول بونيه « من الصعب حقا ان نبلغ هذه الحقيقة .. حقيقة ان هذا الخلف قد تم تلقيحه من اجداد اجداد سلفه » ! .. وهو يعنى بذلك ان الذكر لم يكن موجودا اساسا فى الذرية ومن بدايتها !

والواقع ان الاناث قد تتعطف وتنتج بعض الذكور بطريقة التوالد العذرى ، لكن ذلك يحدث بتوقيت معلوم .. ففى فصلى الربيع والصيف تتوالد الاناث عذريا ، لتعطى اجيالا كلها اناث فى اناث .. ودون ان يظهر بينها مخلوق ذكرى واحد .. واخيرا – وبحلول فصل الخريف – تنتج ذرية من الاناث والذكور ، ويحدث التزاوج بين هذه وتلك ، وبعدها تضع الاناث بويضاتها على اغصان النبات وبراعمها وتبقى البويضات نائمة حتى حلول الربيع لتفقس وتنتج اناثا تعرف باسم – المؤسسة – اى التى تؤسس المستعمرات الجديدة بمزيد من الاجيال ، وبعدها تعود الامور سيرتها الاولى .. اى انها تلد اجيالا متتابعة من ذرية كلها اناث فى اناث !

وهذا يعنى ان الاناث لا تضع ذكورها الا اذا حلت بها الازمات، وقست عليها الظروف الطبيعية والجوية .. ففى اواخر الخريف ومع مقدم الشتاء ، تجف النباتات وتتساقط الاوراق ، وتحل البرودة ، وتنهمر الامطار ، ولن تتخطى الاناث هذه الازمة الا بانتاج الذكور ، لتتزاوج معها ، وتضع بويضاتها ، وفيها تكمن الاجنة وتنام فى « لفتها » الطبيعية لتصحو مع مقدم الربيع على هيئة اناث تلد اجنة ولا تضع بيضا .. فالبيض لا يأتى الا بالذكور .

وقد تستغنى الاناث كلية عن الذكور لأجيال طويلة متعاقبة اذا ما هيأنا لها الظروف المناسبة ، او قد نجعلها تسرع بانتاج الذكور اذا ما عرضناها لظروف قاسية .. مثل البرودة او الجفاف او الظلام او بعض مواد كيميائية خاصة « تقرفها » ، ومن هذا « القرف » الصناعى تنتج الذكور .. صفعة جديدة لنا نحن معشر الذكور !

وتعنى هذه الامور اكثر ان الذكر فى تلك المخلوقات هو ابن امه ، لا ابن ابيه .. فليس له اب بالمعنى المتوارث فى العقول .. وهذا يؤكد ان الانثى هى الاصل ، وهى الاساس ، وان الذكر مشتق منها تحت ظروف سيئة ، واحوال غير مواتية !

تتضح هذه الحقيقة اكثر فى ممالك النمل والنحل .. فالملكة الخصبة تضع بويضات ملقحة وغير ملقحة .. الملقحة منها تنتج ملكات وشغالة (يتوقف ذلك على نوع الغذاء) .. وغير الملقحة تنتج ذكورا .. اى ان الذكر هنا ابن امه بالتاكيد ، اما الانثى (الملكة والشغالة) فهى « بنت » ابيها وامها على السواء (بويضة من الانثى تخصب بحيوان منوى من الذكر) .. اضف الى ذلك دليلا قويا نحصل عليه من حالة ملكة عذراء لم يمسها ذكر ، وعندئذ تضع بويضات لا تنتج الا ذكورا .. كما ان الملكة فى اخريات ايامها لا تنتج الا ذرية من الذكور ، والتعليل الوحيد لمثل

http://nj180degree.com

هذه الظاهرة ان الملكة قد استنفدت كل ما لديها من ارصدة الحيوانات المنوية التى حصلت عليها من الذكور .. وعندئذ تضع بويضات غير مخصبة ، لتعطى ذكورا ..

ومع ذلك فهناك انواع قليلة من الحشرات لا تعرف عن انتاج الذكور شيئا مذكورا .. من ذلك مثلا الحشرة المعروفة باسم العصا او الغصن الجاف Stick Insect .. فعندما تقف الانثى على نبات جاف ، يصعب تمييزها بالنظرة العابرة ولقد قام العلماء بتربية نوع من الانواع فى معاملهم . وحصلوا منها على مئات الالوف من الاناث التى جاءت فى اجيال متتابعة ، ونادرا ما كانوا يحصلون على ذكر ، وحتى فى هذه الحالات القليلة التى ظهر فيها شبح الذكر ، لم يكن له من فائدة تذكر ، فلا هو يستطيع ان يقوم بعمليات التلقيح ، ولا هو اساسا يمتلك اعضاء جنسية خصيبة .. والظن السائد ان « اشباه » الذكور هذه ليست الاناثا « مسخوطة » على هيئة ذكرية .. ولا فائدة فيها ولا مارب ! .. وهذا يعنى ان النوع يستطيع ان يشق طريقه فى الحياة لملايين السنين دون ما حاجة الى ذكر !

لكن دعنا من كل ذلك ، لنطرح سؤالا هاما : هل من الممكن ان تظهر حالات التوالد العذرى فى الحيوانات العليا ومنها الانسان ؟

الواقع ان الاجابة على هذا السؤال قد يطول شرحها ، وليس هذا مجالها ، ولكن يكفى ان نذكر باختصار بضع حالات غريبة ذكرتها المراجع العلمية .. ولنبدأ بحالة انثى الديك الرومى (او الرومية اذا اردت) ، فهذه تستطيع ان تنتج بعض الكتاكيت الرومى دون ان يتدخل الذكر او الديك فى ذلك !

لقد اوضح لنا العالمان اولسين ومارسدين ان نسبة صغيرة من البيض غير المخصب للفراخ الرومى بامكانها ان تفقس وتنتج

كتاكيت تواصل الحياة ، ثم تبعا ذلك بعدة تجارب عزلا فيها عددا من الاناث الصغار عن الذكور ، وبوقت كاف قبل سن البلوغ، وعندما بلغت الاناث التى لم يمسسها ذكر ، وضعت بيضها غير المخصب ، وتبين بالفحص انه يحتوى على آثار اجنة دقيقة ، وان ٢٧ من ٢٧٨ بيضة موضوعة فى حضانة بدأت بالفعل فى تكوين اجنة عادية او شبه عادية ، ولكنها لم تستطع ان تكمل المشوار وتفقس ، ومع ذلك فقد تخطى جنينان من آلاف الاجنة كل العقبات ، وظهرا الى الوجود على هيئة كتكوتين ، ثم واصلا نموهما الى ان صارا ديكين يافعين يتمتعان بالحياة كما تتمتع بها الديوك الاخرى المنسبة الى آباء ، مع فرق واحد ، ذلك ان الديكين اللذين ظهرا الى الوجود بدون اب كانا اصغر قليلا من الديوك المنسبة الى آبائها !

وجذبت هذه الظاهرة الغريبة انتباه العلماء المهتمين بمثل هذه الامور ، وبدأوا فى اجراء سلسلة هائلة من التجارب الهادفة ، وتوصلوا الى حقائق مثيرة .. من ذلك مثلا ان نسبة التوالد العذرى فى البيض الذى وضعته فراخ رومية معزولة عن ديوكها جنسيا تزيد لوانها سمعت كركرة ذكرها ، ويبدو ان صوت الذكر يثير فيها اليه حنينا وقد يؤثر ذلك على مراكزها العصبية ، وقد تتأثر الغدد تبعا لذلك ، فتجرى فى دمائها هرمونات شتى ، قد تحدث تغييرا فى كيمياء البيض ، وبهذا تزيد فيه نسبة التوالد العذرى !

وفى السنة الماضية فقط اعلن كل من دكتور ادوارد باس ، م . اولسين من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ان هناك عاملا خارجيا قد بدأ فى التدخل فى اخصاب بيض الفراخ الرومى اخصابا كاذبا ، ومع ذلك فان الاخصاب الكاذب او التوالد العذرى يؤدى الى انتاج اجنة وكتاكيت تنمو نموا عاديا حتى سن البلوغ .. لكن ما هو ذلك العامل الخارجى ؟

http://nj180degree.com

ليس بالتأكيد حيوانا منويا ، بل قد يكون فيروسا .. ولقد عرفنا الفيروس فى أمراض كثيرة تصيب النبات والحيوان والانسان .. فمن شلل اطفال الى التهاب فى المخ الى حصبة الى تيفوس الى انفلونزا الى ربما سرطان .. الخ ، وفى حالة الخلايا السرطانية يحدث شىء غريب ، فالخلية العاقلة لا تنقسم الا بحساب ، ولا تتكاثر الا بمقدار ، لكن احيانا قد يحل بها الجنون ، فتنقسم دون ما داع الى هذا الانقسام ، وتخرج بذلك على المجتمع الخلوى الذى فيه تعيش ، ولا تزال تنقسم وتنقسم حتى تنتج ملايين وبلايين الخلايا التى تظهر فى النهاية على هيئة ورم سرطانى مدمر .. ولقد اختلفت الآراء حول الاسباب الكامنة من وراء هذا الانقسام الغريب .. فمن قائل انها عوامل وراثية ، ومن قائل انها مواد كيميائية ، ومن قائل انها جرعات اشعاعية ، ومن قائل انها فيروسات .. الخ

والبويضة فى الطيور أو فى الحيوانات الثديية لا تنقسم الا اذا اندمج معها حيوان منوى وخصبها ، لكن أن تنقسم هكذا دون أن يأتيها نصفها الآخر ، فان ذلك يجعلنا ننظر اليها كما ننظر الى خلية سرطانية حل بها الجنون بعامل من العوامل التى ذكرناها أو التى لم نذكرها .. لكن جنونها ـ على اية حال ـ لن يكون خطرا ، وسوف يؤدى الى تكوين جنين طبيعى أو ممسوخ

لكن يبدو أن اصابة البويضة بفيروس أو غيره قد يغنيها عن وجود الذكر أو وجود الحيوانات المنوية التى تفرزها الذكور لتخصبها ، ويقوم العالمان المذكوران بالبحث عن سر هذه الظاهرة ـ ظاهرة التوالد العذرى بين الطيور ، وعلى الاخص بين الفراخ الرومى ، فاذا ثبت أن انقسام البويضة من ورائه فيروس ، واذا ثبت ايضا أن هذا الانقسام يؤدى الى تكوين جنين كامل فكتكوت .. اذا ثبت هذا بالفعل ، فان ذلك سيكون بمثابة صفعة هائلة على قفا الذكور ـ نقصد الديوك الرومى .. وربما

صفعات أخرى تتقبلها الذكور التى تنتمى الى انواع ارقى فى التطور من الديوك الرومى !

والواقع أن ظاهرة التوالد العذرى تختفى تدريجيا كلما اكتسب المخلوق أو النوع اجهزة اعقد ، ومخا اكبر ، ووظائف فسيولوجية اكثر تباينا من المخلوقات الدنيا .. فهى فى براغيث الماء والحشرات عادية ، وفى الاسماك محتملة ، وفى البرمائيات (كالضفادع) أقل ، وفى الطيور اقل واقل ، وفى الحيوانات الثديية نادرة ، وفى القرود والانسان اكثر من نادرة أو قد لا توجد على الاطلاق !

هل هناك اذن سخرية اكثر من استغناء البويضة عن حيوانها المنوى ، واستغناء الانثى عن ذكرها ، ليحدث الاخصاب بعامل خارجى قد يكون فيروسا لا نستطيع ان نراه ـ لضآلته ـ الا بالميكروسكوب الاليكترونى ؟ .. وهل يمكن أن يكون مقام الذكر « العظيم » من مقام فيروس حقير ضئيل ليس من ورائه الا المرض والموت والخراب ؟ .. وكيف يصل الهوان بالذكر الى هذا الحد ؟ .. لسنا فى الواقع ندرى ، ولا نستطيع أن نجيب الا كما يجيب رجل الدين الذى يقف على المنبر ويردد بوعى أو بدون وعى قوله المشهور « اللهم هذا حالنا لا يخفى عليك ، وهذا ضعفنا ظاهر بين يديك ، فعاملنا بالاحسان .. اذ الفضل منك واليك » .. وهو لا يدرى أن دعاءه هذا قد يذهب فى الهواء لاننا لو احسنا الى انفسنا ، لأحسن الله الينا .. فالله يحب الاقوياء .

وايا كانت الامور ، فبالامكان حث البويضات فى الانواع المختلفة على التكاثر والانقسام وتكوين الانسجة والاعضاء ثم الجنين المتكامل دون أن يكون للذكر أو خلاياه الجنسية دخل فى ذلك .. وطرق الحث كثيرة ومتنوعة .. فقد تكون طبيعية مثل رفع درجة الحرارة (صدمة حرارية توقظها من سباتها) أو انتزاع نسبة من محتواها المائى (تجفيف نسبى) ، أو بتعريضها لعمليات

http://nj180degree.com

احتكاك حساسة ، أو معاملتها بجرعات اشعاعية مناسبة .. الخ .. وقد تكون كيميائية كوضعها فى املاح خاصة ، أو احماض معينة ، أو قلويات محددة التركيز .. الخ ، وقد تكون طرق الحث بعوامل بيولوجية عن طريق فيروسات أو مواد ورائية أو بروتينية .. الخ

لكن دعنا نختار نوعا من الحيوانات الثديية التى أجريت على بويضاتها غير الملقحة بعض هذه التجارب .. ولتكن بويضات أرنب أو خنزير ، ولنذكر تلك التجربة التى أجراها العالم بنكاس على عدد من بويضات أرنب حصل عليها من مبايضها مباشرة بواسطة عملية جراحية ، ثم وضعها فى محلول ملحى أو تعريضها لدرجة حرارة ٤٥ درجة مئوية لبحثها على النشاط والاستجابة ، واعادها الى رحم أرنب مهيأ لاستقبال هذه البويضات وحضنها وتغذيتها .. ولقد استخدم بنكاس فى هذه التجارب ٦١٥ بويضة غير ملقحة ، واستطاعت ثلاث بويضات فقط بطريق التوالد العذرى أن تنتج ثلاثة أجنة كاملة النمو ، ولقد وضعتها الانثى كمواليد عادية فى الوقت المحدد !

صحيح أن نسبة التوالد العذرى نسبة ضئيلة ، ولكنها بلا شك تفتح طريقا رحبا وعميقا فى ساحة البحث العلمى ، ثم أن مغزى هذه التجربة قد غير المفاهيم التى سيطرت على العقول ردحا طويلا من الزمان .. فلا ولادة بدون ذكر — أو على الاقل بدون خلايا جنسية ، خصوصا فى الحيوانات الثديية .. ولا تنس اننا نحن معشر البشر من الحيوانات الثديية .. أى أن هناك حملا فى الرحم ، ورضاعة لبن من الاثداء .. لا يختلف هذا فى الكلب عن الارنب عن الخنزير عن القرد والحصان والانسان .. فالاساس واحد ، وان اختلفت الاشكال والانواع .

والتجارب فى هذا المجال كثيرة ومتنوعة ، لكن ليس لذكرها هنا مجال ، وعلينا أن نترك الارانب والفئران والكلاب ،

ولنقفز تجاه الانسان ، ولنتساءل : هل يمكن أن يسرى على الانسان ما يسرى على الحيوان من أمور التوالد العذرى ؟

مع حساسية الاجابة بصراحة على هذا التساؤل ، كان لابد أن نعرض وجهة نظر العلم مجردة .. صحيح أن العلم لم يصل الى منتهاه فى هذا المجال ، لكن النتائج الاولية المبنية على أسس بيولوجية تشير الى أن بويضة أنثى الانسان قد لا تشذ على القاعدة .. بمعنى انها لو تعرضت للعوامل التى تتعرض لها بويضات الحيوانات الثديية الاخرى ، فانها قد تستجيب لها ، وتتأثر بها دون مشاكسة أو عناد أو مقاومة .. لكن الولوج فى هذه التجارب واجراءها على البشر لم يطرق بجدية الا فى خارج الرحم .. يعنى فى أنابيب الاختبار ، فالانسان ليس حيوان تجارب ، لكنه ليس مفصولا عنها فى الاسس الكيميائية والحيوية والفسيولوجية . ولهذا فان ما ينفع فى الحيوان قد ينفع مع الانسان !

الا أن هناك ثمة ظاهرة غريبة لا يعرفها الا العلماء المتخصصون ، وفيها قد تحدث الولادة العذرية عندما تلقح البويضة بحيوان منوى تلقيحا جزئيا أو ناقصا أو كاذبا (gynogenesis) .. وفى هذه الحالة يدخل الحيوان النوى الى البويضة ، لكنه يموت دون أن يشارك مشاركة فعلية — بتكوينه الوراثى — فى التلقيح والاخصاب ، لكن مجرد ولوجه الى البويضة ثم موته وتخليه عن بعض مكوناته التى تتوزع فى المادة الحية ، يؤدى الى شحذ همة بويضته وحثها على الانقسام والتكاثر .. ولقد تعرض العالم البيولوجى ايفزد يليز لهذا الموضوع الحساس فى عام ١٩١٣ فى بحثه الذى تساءل فيه : « هل يمكن أن يحدث التوالد العذرى فى النوع الانسانى » ؟ .. ولقد بنى هذا التساؤل على عدة تجارب بين فيها أنه بالامكان تدمير الحيوانات المنوية جزئيا بمواد كيميائية مثل الكحول أو المورفين أو الكوكايين أو ربما بميكروب

http://nj180degree.com

الزهرى .. فاذا دخلت الى البويضة لم تستطع اخصابها ، لكنها تؤدى الى انقسامها وتكاثرها عذريا !

ولقد جذب هذا البحث انتباه العامة والخاصة واثار ثائرتهم ، خصوصا عندما كتب ديليج معلقا « ولما كان احتمال التوالد العذرى فى انثى الانسان ليس مستحيلا ، فان بعض الناس الذين قد يمرون امامنا فى الشارع دون ان نرتاب لحظة فى انهم قد جاءوا من ذكر وانثى ، وانما قد يكون احتمال مجيئهم عن طريق التوالد العذرى قائما دون ان تظهر عليهم اية سمات شاذة .. والطريق الوحيد لاكتشاف ذلك هو وضع تلك الحالات تحت الفحص العلمى فربما ينكشف السر ونصل الى نتيجة لحسم هذا الامر .. ان هذا الامر قد يكون ذات جاذبية خاصة وهو من الوجهة البيولوجية على قدر كبير من الاهمية والاثارة » !

ويضيف ديليج الى ذلك تلك الحالات النادرة للغاية التى يحدث فيها الاتصال الجنسى بين الانسان والحيوان .. والغريب ايضا ان هذه الظاهرة الاخيرة قد تعرض لها فيما بعد العالم البيولوجى ل . بونور واشار فيها الى تلك الحالة الغريبة التى ولدت فيها فتاة من الغجر تبلغ من العمر ١٦ عاما طفلا مشوها وبدون راس وغير مكتمل التكوين فى مستشفى فيشى للولادة بفرنسا .. ولقد كانت الفتاة تعيش فى خيمة واحدة مع والدها وبصحبة قرد من نوع الماكاك .. ومما يذكر ان الفتاة لم تتصل باى انسان غريب ، ولقد انطلقت اشاعة بين العامة الذين يقطنون فى المنطقة التى عاشت فيها الفتاة بان هناك علاقة آثمة بين البنت وابيها ، ويستبعد بونور حدوث مثل هذه العلاقة التى قامت على اشاعة ليس لها اساس من الصحة ، وهو يميل الى احتمال حدوث علاقة بين الفتاة والقرد ، وعندما « تلوثت » بويضتها بمادة غريبة من الحيوانات المنوية للقرد (اخصاب كاذب) ، بدأت البويضة

تنقسم وتتكاثر عذريا ، وانتهت بمسخة ميتة .. لا هى بشر ، ولا هى قرد !

لكن .. ماذا يعنى كل ذلك ؟ .. وما هى الخلاصة ؟

يعنى انه مادامت الانثى هى الاساس ، فان بويضاتها او خليتها الجنسية هى ايضا الاساس .. بمعنى انها تستطيع ان تؤسس اجيالا ، دون الاعتماد على خلايا جنسية ذكرية ، فى حين ان الذكر لا يستطيع ذلك على الاطلاق .. ونضيف الى ذلك تعليق جين روستاند واندريه تيترى فى كتابهما « علم الحياة » وفيه يذكران « انه لا يوجد مانع ـ نظريا على الاقل ـ فى عدم امكان اخصاب المراة وحملها دون تدخل من الرجل ، وبهذا تستطيع ان تصبح اما فى يوم من الايام ، فى حين ان الرجل لا يمكن ان يكون ابا الا اذا اعتمد على المراة .. ان مبدأ عدم المساواة من الناحية البيولوجية (بين الذكر والانثى) ينبع اساسا من عدم المساواة بين حجم الخلية الجنسية الانثوية (البويضة) وحجم الخلية الذكرية (الحيوان المنوى) .. لكن مهما تقدم العلم فى هذا المجال ، فسوف تستمر الذكور فى انتاج خلايا جنسية اصغر ، وعندئذ لا تستطيع الاعتماد على نفسها كما تفعل البويضة فى حياتها .. وهما بذلك يعنيان ان للبويضات امكانات بيولوجية شتى ، ولديها مخزون من الغذاء ، وتمتلك ميكانيكية حيوية وبها تستطيع ان تدوس على الزناد فى الوقت المناسب ، لتنطلق فيها قذيفة الانقسام والتكاثر بهدف او بغير هدف (اى تعطى اجنة سوية او ممسوخة) لكن الخلية الجنسية الذكرية عاجزة عن مجاراتها فى هذا المضمار ، ومن هنا كان لابد ان يعقد لواء السيادة البيولوجية للأنثى وبويضاتها ، وليأت الذكر وحيواناته المنوية بعد ذلك فى المرتبة الثانية !

اضف الى ذلك ان بعض العلماء يذهبون فى تصوراتهم الى

http://nj180degree.com

ابعد من هذا ، فهم يتوقعون مزيدا من الكشوفات فى المستقبل ، وهذه قد تميط اللثام عن مزيد من الاسرار ، وعندما يتقن الانسان علومه ، ويصقل معلوماته وادواته واجهزته ، فانه قد يتوصل فى المستقبل القريب او البعيد الى معاملة بويضة انثى الانسان بالطرق التى تعامل بها بويضات الحيوانات الاخرى لحثها على الانقسام ، وبعدها تزرع فى رحم المراة ، وتسحب غذاءها ، وتتكاثر وتنمو وتتشكل على هيئة جنين قد يشبه الانثى تماما او قد لا يشبهها ، لسنا فى الواقع ندرى ، لكن الذى ندريه ان قوانين الوراثة قد تقف عائقا ضد هذه الذرية التى لم تات عن الطريق الشرعى او التقليدى .. وقد يتغلب العلماء على العوائق بأفكار اخرى اكثر تطورا من افكارنا الحالية .. وما اكثر ما فى جعبة العلماء من افكار او « سهام » علمية تنطلق فى كل آن وحين ، بعضها قد يصيب ، وبعضها قد يخيب ، كل ذلك مرهون بسعيهم الجاد فى هذه السبيل !

فاليوم لا شك ارنب ، وغدا انسان .. بمعنى ان التجارب التى نجريها الان على الارانب والخنازير والفئران وتؤدى الى نسبة من النجاح (كارنب بنكاس الذى سبق ان قدمناه واستطاع ان يحصل على ثلاثة اجنة يطريق التوالد العذرى) ، قد يمكن اجراؤها فى المستقبل على انثى انسان ، ودون ان يتدخل الذكر فى ذلك على الاطلاق !

وفى زماننا هذا تستطيع المراة (او ربما الفتاة) أن تحمل وتلد دون ان يمسها ذكر .. لكن حملها لن يكون بالتاكيد عن طريق جن او عفاريت او « بساط الريح » او غير ذلك من الخرافات التى تخرج بها علينا الصحف لتحدث نكسة فى الفكر ، وردة فى العلم ، بل يأتى حملها عن طريق التلقيح الصناعى ، اذ يكفى ـ لو ارادت المراة ـ ان تستقبل جرعة من الحيوانات المنوية فى الوقت المناسب ليتم التلقيح والحمل .. صحيح انها لم تتصل بذكر من

الذكور ، الا ان هذا ليس هاما .. ذلك أن عملية النكاح او الاتصال الجنسى ـ المباشر وغير المباشر ـ وسيلة لا غاية .. فالغاية او المراد ان تتقابل الخلايا الجنسية وتتحد ، سواء كان ذلك فى البوية اختبار او فى رحم انثى ، ولهذا فهو يختلف عن بيولوجية التوالد العذرى اختلافا جوهريا ـ فالتوالد العذرى ـ كما سبق ان قدمنا ـ يتم عن طريق بويضة لم تتلقح ولم تتقابل بخلية جنسية ذكرية !

لكن التلقيح الصناعى ـ للاسف ـ قد ركن الذكر على الرف ، فمن الممكن « حلب » خلاياه الجنسية وحفظها فى كبسولات خاصة لتوزيعها على من يشئن من الاناث .. وقد تكون هذه الخلايا الجنسية لثور عظيم فى اسوان ، او حصان متين فى الشرقية ، او كبش ذى صفات وراثية محمودة فى « زريبة » باسيوط .. الخ ، ولكى تلقح بقرة فى لندن ، او فرسة بباريس ، او نعجة فى موسكو ، فان ذلك لا يستوجب شحن الذكور الى جميع انحاء العالم بالطائرات او الصواريخ او غير ذلك من سبل المواصلات .. بل يكفى ان تاخذ عدة قطرات من الحيوانات المنوية للذكور ، وتحتفظ بها تحت ظروف خاصة ، وتصدرها لمن يشاء ، وتبعث بها لمن يريد .. او قد يحدث ذلك ايضا مع الانسان ، فقد ترفض الزوجة السفر الى زوجها فى بلاد « واق الواق » على سبيل المثال ، لانها لا تحب ان تعيش معه فى هذه البلاد ، وهى تريد ان تكون اما ، عندئذ قد يرسل لها طردا صغيرا به بعض خلاياه الجنسية ، وبه يتم المراد ، وتأتى الذرية ، لكن ليس من الممكن ان يحدث العكس ، بمعنى ان ترسل الانثى بويضتها الى ذكرها ليحملها ويرعاها ويلقحها ، لان الرجال لا يمكن ان يصيروا حبالى بالاجنة ، لكن احيانا ما تراهم كالحبالى ، وما هم بحبالى ، ولكن اذلال الانثى لشديد !

http://nj180degree.com

من انثى الى ذكـر .. وبالعكس !

على ان اغرب الصور التى اكتشفها العلمـاء حديثـا توضح لنـا جزءا هامـا من سلوك الحيـاة مع اناثهـا ، وتحيزهـا لهـا تحيزا مكشوفـا ، بحيث يصبح المخلوق الذكر بين يديهـا لعبـة « كلعبة الستات » فى عالمنـا .. او ربما اكثر اثارة وشذوذا .. فالانثى التى سنقدمهـا هنا قد تتحول الى ذكر تارة ، ثـم قد تعود سيرتها الاولى وتتحول الى انثى تارة اخرى .. كل هـذا يعتمـد على الظروف « النفسية » التى تتعرض لها فى حياتها .. صحيـح انـه لا يوجد فى عالمهـا طبيب نفسانى ، او جـراح ليجـرى لهـا عمليـة جراحية ، وبها يتحول جنسهـا من انثى الى ذكر ، الا ان الصحيح يبدو لنا فى تلك الميكانيكيـة الحيويـة التى زودتهـا بهـا الحياة ، فتدوس على « الزرار » ، ويكون لها ما تريـد ، والى هنا تتضح لنا الحقيقة دون لف او غلبة او دوران .. فالانثى هى الاساس ، والذكر يأتى بعد ذلك ، ومنها يخرج ، وليؤكد لنا ان تحت جلد كل ذكر انثى كامنة .. وربمـا ظهر هذا الكمون الانثوى بعد ملايـين السنين تحت جلد بعض فتيان هذا الزمان ، فتراهـم وقـد فضلوا التحلى ببعض صفات الانثى .. لكن دعنا من هذا الآن ، وسنعود اليه فيما بعـد لنوفيه حقه ، وان كان موضوعنا الذى سنقدمـه هنـا يلقى الضـوء على بعض ما يجرى عند فتياتنـا ، ولكن بطريقـة معكوسـة !

يذكر دكتور روس روبرتسون من جامعة كوينزلاند باستراليا ، حقائق غريبة عن بعض انواع الاسماك التى تعيش فى مجموعـات صغيرة ، فلقد خرج منها بنتائج مثيرة بعد ان ظل يرقب ويـدرس ويتأمل سلوكهـا الذى يـؤدى احيانـا الى تحويـل الانثى الى ذكـر !

ولناخـذ منها النوع المعروف باسم سمك الراس The wrasse او اللبروس .. واحيانا ما يطلق عليهـا اسم سمكـة النظافـة او المنظفة ، لانهـا تنظف جلود الاسماك الاخرى الكبـيرة ، وتدخـل الى افواهها ، وتتجول بين خياشيمهـا ، وتلتقط منهـا الحيوانـات الطفيلية الصغيرة او بقايـا الطعـام ، او بعض الانسجـة الميتة ، وتتغذى عليهـا ، ومن هنا نشأت بين سمكة النظافـة الصغيـرة وبين بعض الاسماك الكبيرة علاقة منفعة متبادلة ، فالصغيرة اذا دخلت فم الكبيرة ، فان الكبيرة تحافظ عليها ، او قد تحميها من مطاردة عدو اكبر منها واقوى ، مقابل ان تقوم الصغيرة بدور « الماشطة » او المرضة او المنظفة !

وسمكة النظافة رقيقة الحجم جميلة الالوان ، ولا يزيد طولها عن عشرة سنتيمترات ، وتعيش فى مجموعات يتراوح عددها ما بين ٨ ـ ١٠ اسماك ، ويصحبها دائما ذكر وحيد مشاكس ، وقد تؤدى مشاكسته الى قصف عمره .. فحياة البحار خطرة ، ولا بد لكل مخلوق ان يأخذ حذره ، فالكبير هناك يأكل الصغير .. وصاحبنا الذكر يريد ان يحمى « حريمه » الثمانى او التسع او العشر ، وعليه ان يقوم بالدفاع عنها ، ولهذا تراه يدور حولها ليثبت لها انه نعم الذكر حامى الحمى ، وقد تقوم المعارك بينه وبين الذكور الاخرى ، او بينه وبين اكبر انثى .. وهذه تتصرف كما تتصرف « المعلمة » من النساء التى تتشبه بخصال الرجال ، وسوف يتضح لنـا ذلك فيما بعد !

لكن الظاهرة الغريبة حقا فى هذه المجموعات الصغيرة تتركز فى « المركز الاجتماعى » الذى تحتله كل انثى .. فهناك تدرج فى الحجم والعمر بين الانـاث .. فالحجم الصغير دليل على حداثـة السن ، والمتوسط على وسطه ، والكبير على الكبر .. ولكل سن احترامها ، وقد تضحكون او تمتعضون من هـذا التعبير ، او قـد تتساءلون : هل يمكن ان يحدث ذلك فى مجتمعات سمكية لا تدرك ولا تعقـل ، فيحترم صغيرها كبيرها ؟

http://nj180degree.com

وتلك هى عقدتنا نحن معشر البشر .. فلقد نظمت الامور بين مخلوقات هذا الكوكب اعظم تنظيم ، حتى قبل ان نظهر نحن بعشرات الملايين من السنين ، والواقع ان الانثى الكبيرة فى المجموعة ـ اى اكبرها حجما وسنا ـ هى سيدة الموقف ، لكنها قد توحى بطريقة غامضة للذكر بانه مخلوق مهم وشجاع « وراجل » فى المواقف التى تستحق التضحية ، وعلى هذا الذكر تقع مسئولية حماية الحريم ، فاذا تعرضت حياته للخطر او مات ، فالى الجحيم .. فمن ورائه ذكر فى انثى ، او انثى فى ذكر .. لسنا فى الواقع ندرى ، لكن الذى ندريه ان اكبر الاناث سنا وحجما تصبح الحاكمة والمسيطرة والحامية لمجموعة الاناث .. ولكى تعقد لها السيادة الحقيقية ، فلابد ان تتحول الى ذكر .. وللذكر مهام جديدة تختلف عن مهام الانثى .. اى عليه ان يدافع ويحمى ويصول ويجول ويظهر عضلاته امام الذكور الاخرى التى قد تسول لها نفسها ان تعتدى على حريمه ، وهو ـ اى الذكر ـ يفضل الموت او التحول الى انثى على ان يحنى راسه لذكر آخر يعيش معه فى ارضه ومع اناثه .. كرامة نادرة لذكر سمك لا يدرك ولا يعقل ، وما اكثر ما تمتهن كرامات البشر !

لكن .. من الذى سيقوم بتلقيح الاناث فى غياب الذكر ؟

لا تحمل لذلك هما .. فالانثى التى تحولت الى ذكر ستتكفل بالعملية .. ربما افضل من الذكر الذى جاءته مصيبة فانتقل الى رحمة مولاه !

كيف ذلك يكون ؟

ان الذكر هنا يشبه فى الشكل والحجم واللون اكبر الاناث واضخمها حجما ، بحيث يصعب عليك ان تميز الذكر من الانثى ، اللهم الا اذا لاحظت سلوك هذا او تلك ، وعندئذ سترى الذكر

وقد خلع على نفسه مظهر الشقاوة ، وسمات الاقدام والجسارة ، وحبه للسيادة .. اما بين حريمه ، واما على الذكور الاخرى التى قد تدخل فى مجاله .. اى انه يظهر عضلاته كما يظهرها ذكور الحيوان والبشر !

لكن هذا الذكر ، الذى كان من قبل انثى وتحول الى ذكر ، قد يأتيه من هو اقوى منه واشد ، فيخلعه من كرسى الرياسة ، وينتزع منه السيادة ، وعندئذ لابد ان يتخلى عن ثوب « الرجولة » الكاذب ، ويدخل من جديد فى عالم الحريم ، ويعود الى انوثته ، فيحمل البيض ، ويضع الذرية .. وكما بدا عاد !

والواقع ان سلوك هذه المجتمعات معقدة اشد التعقيد ، ولقد وضعت العلماء المهتمين فى حيص بيص ، فما هو الهدف الحقيقى من هذا التغير والتبديل ؟ .. وكيف يتم بمثل هذه البساطة دون جراحة وتخدير ومستشفيات ودواء واتعاب ؟

الاجابة على السؤال الاخير قد اتضحت من تشريح الاعضاء الجنسية لهذه الاسماك ، اذ تبين ان الاناث تحمل فى تكوينها غددا جنسية ذكرية ضامرة ، اى انها اسماك خنثى ، لكن انوثتها هى السائدة بدليل انها تحمل مبايض كاملة التكوين ، ولها جهاز لوضع البيض وتلقيحه ، كما انها تدخل مع الذكر فى عمليات اخصاب جنسية .. وكلما تقدمت الانثى فى العمر ، كلما ظهرت عليها علامات الذكورة ظاهرا .. لا باطنا ، بمعنى انها تسلك سلوك الذكر فى حركاته وشقاوته وحبه للسيادة ، وقد تنافسه فى الرياسة ، ويحاول « السيد » ان يصد « السيدة » عن تطلعاتها « البرجوازية » ، فتظهر العناد ، وتدخل معه فى عمليات نزال .. وقد تخسر الانثى المحنكة المعركة ، فتبقى على حالها ، وقد تكسبها ، ويخسرها الذكر .. وعندئذ يتحول من خسر الى انثى ، ومن كسب الى ذكر ، اى انه فى الوقت نفسه تتحول الانثى

http://nj180degree.com

الى ذكر ، والذكر الى انثى .. وسرعان ما تتولى الانثى التى اصبحت ذكرا امور الحريم والدفاع عن حرمات البيت من الفضوليين فى غضون ساعات قليلة .. والواقع انها مارست تلك السيادة ، وعركتها عندما كانت تدخل فى صراع مع الذكر الذى كان يحكم ، ولهذا لن تجد صعوبة فى ادارة دفة مجتمعها الصغير ، ولها من قوتها خير سند ومعين ، وليوفقها الله فى ادارة عالم الحريم .. فكل من فيه يتطلع الى منصب الذكورة والسيادة .. « ولا احد خير من احد » .

فاذا تركنا عالم السيادة ، ودخلنا الى عالم الجنس ، لوجدنا ان الغدد الجنسية الذكرية الضامرة التى كانت فى الانثى قد بدأت تنمو ، فى حين ان الغدد الجنسية الانثوية التى كانت ذات يوم خصيبة قد اخذت تضمر بالتدريج .. وبعد حوالى اسبوعين او ثلاثة تبدأ فى افراز حيواناتها المنوية ، وتكون بهذا ذكرا كامل التكوين ، قادرا على الاخصاب !

وقد يموت هذا الذكر الذى كان انثى ، او قد تاكله سمكة اخرى ، وعندئذ يخلو الميدان لاكبر الاناث واقواها ، وتتولى بهذه امور الزعامة ، فتضمر غددها الانثوية ، وتزدهر الذكرية وتصبح ذكرا قادرا على التلقيح والاخصاب ، وقد ياتيه ذكر متشرد من خارج ارضه ، فيستولى على حريمه ، وعندئذ يعود الذكر الذى كان انثى .. الى انثى ، فهذا خير وابقى !

ارايت اذن مجتمعات اغرب من هذه المجتمعات ؟!

لكن الشىء المثير هنا ان تعريفنا للذكر هنا تعريف نسبى .. اذ لو تعمقت فى النظرة الى مثل هذه الامور لوجدت ان الانثى هى الاساس ، وان الذكر ياتى فى مرحلة متاخرة ، او كما يعبر عنها روبرتسون فيقول « يبدو ان كل الذكور مشتقة من الاناث » .. او بمعنى اوضح نقول : ان الذرية الناتجة كانت كلها — فى البداية

اناثا فى اناث ، ولابد ان تمارس انوثتها اولا ، وتضيف الى هذه المجتمعات مزيدا من الذرية (اى ذرية الاناث) ، وعندما ترتفع درجاتها فى المجموعة ، وتحس بقوتها وسلطانها ، فلا مانع من السماح لها بالدخول الى عالم الذكور .. وقد يكون فى ذلك حتفها ، فتاتيها مصيبة تقصف عمرها اثناء الدفاع عن ارضها وحريمها !

ويبدو ان هذا الصراع الطبقى الجنسى ليس الا مظهرا من مظاهر الاختيار الطبيعى .. فالقوى هو الذى يسود ، ولابد ان يتحول الى ذكر ، ليورث قوته وعناده الى الاجيال القادمة ، فتقوى شوكتها ، ويشتد عود نوعها .. « ولكن اكثر الناس لا يفقهون »

ومع ان اسماك الراس او النظافة قد حلت مشاكلها الجنسية ، الا ان المشكلة الحقيقية — او ربما لا تكون مشكلة على الاطلاق — هى التى تجابه نوعين من الاسماك يعيشان بالقرب من سواحل المكسيك ، ولقد ظل جاك شلتز من جامعة كونيكتيكات يرقب سلوك هذه الاسماك ، ويدرس تحركاتها ، ويعيش سنوات طويلة مع مجتمعاتها ، حتى توصل الى سر غريب نشره فى العام الماضى فقط ، وفيه يذكر ان النوعين (وهما المولى وبيسيليوبسيس) لا يعرفان شيئا عن عالم الذكور ، ولا ينجبان فى ذرياتهما ذكرا واحدا ، واذا اراد اخصابا ، فانهما يسطوان على ذكور جماعات اخرى من الاسماك قريبة الشبه بنوعهما ، ويخطفان ذكرا او اكثر ، ويحتجزانه ، ليلقح بويضاتها ، ثم يخليان سبيله بعد ان ينالا ما يحقق رغبتهما فى ذرية تاتى كلها اناثا فى اناث !

صحيح ان اتصال الذكر بالانثى يؤدى غالبا الى ذرية من ذكور واناث ، لكن هذين النوعين قد ضربا بقوانين الوراثة التى نعرفها عرض الحائط .. الا اننا لو عرفنا السبب ، لبطل العجب .. او ربما زاد عجبنا ونحن نكتشف كل عام اسرارا ما كانت لتخطر لنا على بال ، ثم انها قد تنير لنا الطريق لبحوث اكثر عمقا !

http://nj180degree.com

لماذا اذن حلت لعنة هذين النوعين من الاناث بالذكر ؟ .. هل هما عدوان للذكور كارهان لهـا ، فشطبا خلفتها من ذرياتهما ؟ .. ثـم اذا كانا فى حاجة الى ذكر لاخصاب بويضاتهما ، فلماذا لا ينتجانه بدلا من السطـو على ذكور الأنواع الاخرى وخطفهـا ؟

الواقع أن السر أعمق من ذلك بكثير . . فالاخصاب هنا اخصاب كاذب .. بمعنى أن الخلايـا الجنسية لهـذه الذكـور لا تشـارك مشاركة فعالة فى عمليات التلقيح ، اذ لو شاركت ، لانتجت ذريـة من الذكـور والاناث !

كأنما السر يزداد غموضـا ، وما هو ـ فى الواقع ـ كـذلك ، فلقد سبق أن ذكرنـا أن التوالد العذرى قـد ينشأ فى البويضات غير الملقحـة عندمـا تتعرض لعوامل طبيعية وكيميائيـة وبيولوجية لتحثها على التكاثر ، وعندئذ تبـدأ فى الانقسـام والتكاثـر دون تدخل الذكور فى ذلك ، والشىء نفسه يحدث مع بويضات هذين النوعين من الأسماك ؛ فالحيوان المنوى للذكر المخطوف لا يقـوم بالتلقيح التقليدى ، ولكنه يدخل البويضة كعامـل بيـولوجى ليطلق فيهـا القذيفة الحيوية ويستحثها على التكاثر ، وفعلا تبدأ فى الانقسـام والتكاثر لتتكون منها الاجنة والموالـيد التى تحمل صفات الانثى ، ولا تحمل شيئا من صفات الذكـر .. أى انهـا بالتأكيد بنـات أمهاتهـا ، وليس للذكر فى ذلك نصيب ، ومن هنا كان لابد أن تـأتى الذريـة كلهـا اناثـا فى اناث !

وهكذا يتبين لنا أن ما كان يقـوم بـه العلمـاء فى معاملهـم لحث البويضات على التوالد العذرى ، قد اصبح لـه فى الطبيعة قرين ، ولقد اعطتنا الاسماك هذا الدليـل العظيـم ، ولا جـديد تحت الشمس ـ كما يقولون

الانثى أولا من فضلك ، وليات الذكر بعد ذلك او فليذهب الى الجحيـم !

مأساة الذكور

فليسقط الذكر .. ولتحيا الانثى !

شعار جديد من الشعـارات التى رفعت الحياة لواءهـا ، لتقـدم لنا صورا غريبـة من المآسى التى تتعرض لهـا الذكـور ، ولتجعلهـا سخرية أمـام اناث العالمين !

ولكى نوضح معنى ذلك ، دعنا نبـدأ اولا بأنفسنـا .. ليس على مستـوى الفتى والفتـاة ، أو المـرأة والرجـل ، أو الـذكر والانثى عموما .. لكن على مستوى خلايانا الجنسية !

فاذا كان عالم الذكور « بريالة » .. فان عالمها الصغير بذيول !

فما أن تظهر مفاتن الانثى أمامنـا ، حتى يسيل لهـا لعابنا ، فتشتغل الغـدد ، ويشتعل الجنس ، وغالبا ما نضعف ونستجيب ، « الا من رحم ربى » .. وهنا تبـدو لنـا المرأة كمخلـوق جميـل وبديـع وجذاب ، أو كأنمـا هى جنة الحب ، وفردوس السعادة ، فاذا ما دخلناهـا ، زهدنا فيها ، ولكن بعد أن تنسـاب منـا خلايانـا الجنسـية ، فيتحول كل شىء فى لحظات .. الرغبـة القويـة الى جمود ، والحب الى خمود ، والايجابية الى سلبيـة ، وقـد نلعن انفسنـا على « هبالتنا » ، وقد نرثى لحالنا ، ونتعجب كيف سالت « ريالتنا » ، وجرى لعابنا .. لكن هكذا شاءت الحياة وقدرت ، ومن وراء ذلك هرمون عجيب يقلب كياننـا ، ويجعل الانثى حلوة فى اعيننا ، ولهدف عظيم يتركز فى لقاء بين خلايانا وخلاياها الجنسية ، وليكون فى ذلك استمرار النوع وازدهاره عن طريق انجاب مزيد من الذريـة !

http://nj180degree.com

لكن يبدو أن فى الامر « خيارا وفقوسا » حتى لو كان ذلك على مستوى الخلايا الجنسية .. فالخيار هو بويضة الانثى ، والفقوس هى خلايانا الجنسية الذكرية ، أو حيواناتنا المنوية التى نطلقها بمئات الملايين ، فتموت دون حس أو خبر ، فى حين أن بويضة الانثى اذا ماتت دون تلقيح ، أقيم لموتها مهرجان دموى حزين ، قد يستمر لأيام اربعة أو خمسة ، أو ما فوق ذلك أو دون ذلك ، وهذا ما نعرفه بالطمث أو الدورة الشهرية عند الانثى .

كأنما خلايانا الجنسية رخيصة ، وخلايا الاناث ثمينة .. نحن نسرف ، وهن المقتصدات (ربما كان هذا هو الشىء الوحيد الذى تقتصد فيه الانثى وتقتر) .. ذلك أن الانثى تفرز ـ فى أغلب الاحيان ـ بويضة واحدة فى الشهر الواحد يقابلها عشرات البلايين من الخلايا الذكرية شهريا .. ذلك ان الذكر منا يقذف فى المرة الواحدة حوالى ٢٥٠ مليون خلية جنسية .. قدرها بعد ذلك فى شهر كامل ، تخرج بأرقام هائلة تزيد كلما زادت فحولة الذكر ، وهذا يعنى أن الاسراف قد كتب علينا ، وكان التقتير من نصيبهن .

لكن الاحداث التى تجرى فى عالمنا الكبير ـ عالم الافراد ، هى نفس الاحداث التى تجرى بين بويضة وحيوان منوى فى عالمها الصغير .. وان اختلفت بعض التفاصيل !

فالذكر منا هو الذى يسعى غالبا الى الانثى ، وهو الذى يبحث عنها بوسائله الخاصة ، وهو الذى يتودد اليها ، ويسيل لعابه عليها .. وكذلك يفعل الذكر الصغير ـ اى الحيوان المنوى الذى جاء الى الحياة براس وذيل .. وغريب أن تكون بداياتنا نحن معشر الذكور بذيول .. فالحيوان المنوى هو ممثلنا الشخصى ، وهو الذى يحمل صفاتنا الوراثية فى رأسه ، أما الذنب أو الذيل فهو الذى يحركه ، ليبحث بدوره عن أنثاه

الصغيرة .. عن بويضته الكامنة فى خدرها أو عشها الصغير .. وهى لا تخرج من بيتها (أى من المبيض) هكذا اعتباطا كما هو الحال فى خلايانا الجنسية نحن معشر الذكور ، بل نراها وكأنما هى تخرج على استحياء ، ثم تحاط بعد ذلك بصويحباتها التى تتمثل لنا فى خلايا أخرى صغيرة يطلق عليها اسم خلايا التاج أو التتويج ، ويعنى هذا انها قد جاءت الى الحياة معززة مكرمة ، تماما كما تخرج العروس من بيت أهلها أيضا معززة مكرمة ، ثم نراها ترفل بين صويحباتها فى ثياب زفافها !

وتبدأ رحلة عروسنا الصغيرة من مبيضها بطيئة للغاية .. فهى لا تجرى ولا تتهافت على عريسها أو عرسانها ـ كما يفعل ملايين المهابيل من ذوى الذيول .. فعلى هؤلاء أن يضربوا بذيولهم ، وان يجروا فى سباق مرير ، وكل حيوان منوى يمنى نفسه بلقاء الحبيبة ، ولينطلق فى رحلته ليكون أول الواصلين ، وكأنما هو الاخر « بريالة » كأى فرد فى عالم الذكور الكبار !

ويبدو أن الحياة قد وضعت قانونا أزليا للتنافس بين المخلوقات ، حتى ولو كان ذلك على مستوى الخلايا الجنسية ، وكأنما قصة ملكة النحل تتكرر مرة أخرى ، فلقد قدمت لها الحياة مئات الذكور ، ولن يصيبها منهم الا واحد ، أما البقية فالى الموت والجحيم .. وكذلك تكون بويضة انثى الانسان والحيوان ، فمن أجل خاطرها انسابت مئات الملايين من خلايانا الجنسية ، وهى تنتظر منها حيوانا منويا واحدا ، فاذا وصل وسمحت له بالدخول ، اسرعت بغلق الابواب فى وجه الملايين ، وليذهبوا أيضا الى الجحيم ، فلا شك أن الذى وصل أولا هو أقواها وأشدها ، وهو الذى عرف الطريق الى قلبها ، ولهذا فهى حلال عليه ، وحرام على الآخرين وجميل جدا الا تقبل بويضاتنا الا ذكرا واحدا ففيه الكفاية ، والا كانت الفوضى ، وما أكثر الفوضى التى يعيش فيها اصحاب العقول !

http://nj180degree.com

لكن .. لماذا هذا الاسراف فى خلايانا نحن معشر الذكور ؟

لأن هناك متاهات كثيرة فى الداخل .. فحجم رحم الانثى بالنسبة لحجم الحيوان المنوى كحجم انسان بالنسبة لمدينة كبيرة .. وقد تكون فى هذه المدينة انثى وحيدة مختبئة فى مكان أمين ، وهى لا تريد أن تظهر على الرجال ، وكلما كثر عددهم ، وانتشروا فى المدينة طولا وعرضا ، كلما كانت الفرصة متاحة فى العثور عليها فى وقت قصير .. وكذلك تكون البويضة فى داخل الانثى .. فعمرها لا يتجاوز ٤٨ ساعة ، ولابد أن تنطلق الملايين من خلايانا الجنسية لتبحث عنها فى تلك المتاهات ، حتى تهتدى اليها قبل أن تموت .. وكلما كثر العدد ، كان الاخصاب أكثر احتمالا .. ومن هنا كانت الحكمة فى افراز أعداد هائلة من خلايانا .. اذ لو اطلعت عليها وهى تسبح بذيولها ، لوجدت مهرجانا راقصا يندفع هنا وهناك ، وكأنما الدنيا قد دانت لهم ، أو كأنما قد خرجوا من ضيق الى فرج ، وانطلقوا نحو هدف محدد .. فاما موت ، واما حياة !

وحول البويضة تطوف حيواناتنا المنوية ، والكل يتنافس ليقبل « أعتابها » ، علها تسمح له بالدخول ، ولكنها لا ترق ولا تحن ، وكأنما هى وضعت على جدارها اعلانا غير مكتوب يقول « ممنوع الدخول » .. فلقد قبلت أول الواصلين ، وغلقت دون غيره الابواب !

لكن دخول عريستنا الصغير بعروسه البويضة ليس بالسهولة أو السذاجة التى يدخل بها البشر على عرائسهم .. فهناك سلسلة من الاحداث البيولوجية الهامة التى يجب أن تتم بين البويضة والحيوان المنوى .. أهمها ـ بطبيعة الحال ـ أن يبرز حيواننا المنوى « بطاقته الشخصية » التى يحملها على عمامته أو قلنسوته أو « لبدته » أو طاقيته .. تعددت الاسماء ، والشىء واحد !

لكن .. أية عمامة أو طاقية تلك التى يلبسها حيواننا المنوى ؟ .. ومن أين يحصل على بطاقته التى يثبت بها شخصيته لعروسه حتى تتكرم وتسمح له بالدخول ؟

الواقع أننا لسنا وحدنا على هذا الكوكب .. فالذين يدرسون ويتعمقون فى أصول الخلق ، تتجلى لهم العظمة الحقيقية فيما خلق الله فأبدع ، وفيما سوى فأتقن ، ليجىء كل شىء الى الحياة على حسب خطط موضوعة ، وأسس موزونة ، فلا نرى فيها خللا ولا فروجا .. وهكذا يتبين لنا ولكم « انا كل شىء خلقناه بقدر »

فالبطاقات الشخصية التى تمتلكها الخلايا الجنسية ليست مكتوبة بحبر ، ولا مخطوطة على ورق ، ولكنها معلومات مسجلة بمركبات كيميائية خاصة لتتداخل مع بعضها بطريقة فذة ، فتؤدى الى نسيج كيميائى بديع ودقيق تتفاوت طبيعته ، ويختلف تنظيمه على حسب نوع المخلوق الذى يفرز من خلاياه الجنسية ما يشاء ، ليطلقها فى الهواء أو الماء أو الطين أو فى رحم انثى ، كما هو الحال فى الحيوانات الثديية التى ننتمى اليها !

صحيح أننا نحن معشر البشر نعرف تماما كيف نفرق بين الذكر والانثى فى عالمنا ، فمجرد همسة تلتقطها الاذن من بعيد توضح لنا ان كان صاحبها ذكرا أو انثى .. كذلك يعرف القرد قردته ، والحمار حمارته ، والكبش نعجته ، والحصان فرسته ، والخنزير خنزيرته .. الخ ، لكن هناك عالما آخر لا يرى ولا يسمع ولا يتلكم ثم هو أيضا يطلق خلاياه الجنسية فى الماء أو الطين ، لتهيم على وجهها ، باحثة عن بويضاتها .. لكن البويضة قد تستقبل حيوانا منويا شاردا لا ينتمى لنوعها (كما يحدث مثلا فى الكائنات البحرية والمائية التى تطلق خلاياها الجنسية فى الماء) فتصده وتمنعه من الدخول ، فى حين انها

http://nj180degree.com

تتعرف على « عريسها » من خلال بصماته الكيميائية المنسوجة على جداره ، والتى تتوافق تماما مع بصماتها ، وهنا يحدث التفاهم والانسجام والدخول دون ضجة أو غلبة أو ضوضاء .. وهكذا نظم الخالق الأمور العظيمة لكل المخلوقات ـ صغيرها وكبيرها ، وجعل بينها لغة كيميائية تتفاهم بها ، وكأنما هى شفرات سرية لا نعرف من مضمونها الا أقل القليل .. فالظاهر غير الباطن ، « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » !

فلو أن الحيوان المنوى لانسان ، قد تقابل فى أنبوبة اختبار مع بويضة انثى قرد أو حمار ، لما سمحت له بالولوج وكأنما لسان حالها يقول « لست انت من نوعى ، ولا أنا من نوعك ، وخير لك أن تنطلق لتبحث لك عن بويضة من نفس ملتك .. قضى الامر ، وأوصدت الابواب فى وجهك » هذا يحدث بالرغم ان ذلك العالم الصغير من الخلايا الجنسية (الممثلة للذكور والاناث فى عالمها الكبير) لا تعرف شيئا عن معنى « نظرة .. فابتسامة .. فسلام .. فكلام .. فحب .. فماذون * . فزواج .. فانسجام أو خصام » .. الخ ، ومع ذلك فهى المسئولة اولا واخيرا عن انتاج « سبيكة » جديدة من الذرية ، بعملية خلط بين صفات وراثية مسجلة فى داخلها بشفرات كيميائية !

وعندما يحدث اللقاء بين الخلية الذكرية والانثوية فى عالم الانسان والحيوان ، تبدأ سلسلة من الأحداث الهامة .. فلقد جاءت العروس الصغير أو البويضة العذراء الى الحياة وهى تدثر نفسها برداء من فوق رداء من فوق رداء .. اردية ثلاثة تحافظ بها

(*) المأذون هنا ليس عنصراً بيولوجيا هاماً .. فن الميسور جداً أن يتحد الحيوان المنوى بالبويضة فى الرحم أو فى أنبوبة الاختبار دون أن يستأذنا المأذون أو القس أو الحبر فى ذلك . . فمهمة المأذون هنا أن يشهر النكاح على الملأ على حسب الشريعة .. وكل جماعة وشريعتها فى ذلك .

على مكوناتها الداخلية .. وكل رداء مطرز بجزيئات كيميائية مختلفة ، وكأنما بويضتنا كحواء الكبيرة ، تهوى الملبس ، وتحب الاقتناء ، الا أن الأردية الثلاثة لبويضتنا تبدو للعقل البشرى بمثابة ظلمات ثلاث .. لان حياكتها وتطريزها بجزيئات كيميائية تتخذ انماطا لا تستطيع عيوننا أو عيون ميكروسكوباتنا ان تراها على حقيقتها .. صحيح اننا نعرف انواع الجزيئات بطرق التحليل الكيميائى ، لكننا لا ندرك كيف بنيت وانتظمت فنظامها يقع فيما وراء حدود الميكروسكوبات الاليكترونية .. لكن الذى يهمنا هنا ان بويضة كل نوع من انواع المخلوقات قد قامت بتطريز جدرها او اردیتها الرقيقة جدا على هواها ، لتكون بمثابة علامات مميزة لتهتدى اليها الحيوانات المنوية ومن خلالها تتفاهم !

ولقد جاءت الخلايا الذكرية هى الاخرى وهى تلبس طواقى على رؤوسها ، لكن الطواقى تختلف باختلاف أنواع المخلوقات .. هى فى الحيوان المنوى للانسان مثل « لبدة » الصعيدى (طاقية مستطيلة قليلا وبيضاوية من اعلى) وفى الغزران كالمنجل ، وفى الديوك كالقرطاس او الطرطور ، وفى قنافذ البحر « الرتسا » كالرمح ، وفى الصراصير كالمخروط .. الخ ، وهكذا صممت الحياة لكل عريس طاقيته ، لا ليتعاجب بها ، أو لتتغنى بها عروسه كما نسمع ذلك فى اغانينا الساذجة التى لا طعم لها ولا معنى ، ولكن لتؤدى مهمتها فى التعارف ، ولتكون بمثابة البصمات الكيميائية التى تشتغل كلغة سرية لها معناها ومغزاها !

وعندما تقترب الحيوانات المنوية من بويضاتها ، تراها وقد استبدت بها موجة من النشاط والحيوية ، وكأنما هناك شىء قد لعب برؤوسها فأثارها ، واشعل فيها ثورة عارمة ، كالتى تحدث لنا نحن معشر الذكور الكبار عندما نجتمع بانائنا ، ويعتقد العلماء ان المسئول عن ذلك هى بويضتنا الصغيرة ، لانها عندما تحس

http://nj180degree.com

بمقدم عرسانها ، تطلق مادة او عدة مواد كيميائية بتركيزات ضئيلة للغاية ، وكانما هذه المواد بمثابة العطر الحريمى الذى يسيل له لعاب الرجال ـ مع فارق واحد ـ ذلك اننا نحن معشر الذكور ندفع ثمن العطور .. لكن عطر البويضة طبيعى ، وبه تشعل الثورة فى حيواناتنا المنوية ، لترقص حولها كالمهبولة (نفس هذا المنظر قد يحدث فى صالات الرقص والدافع له انثى لعوب) .. وهكذا يكون حال عالم الذكور على مستواه الصغير والكبير ، ولتسعد الانثى بما خططت ، ولتلعب بعقولنا تارة ، كما تلعب بويضتها بحيواناتنا المنوية تارة اخرى .. ومسكين عالم الذكور !

ولكى يدخل العريس ذو الطاقية بعروسه او بويضته ، كان لابد ان يخلع لباس راسه او « عمامته » .. ليس ذلك ـ بطبيعة الحال ـ نوعا من الذوق او « الايتيكيت » كالذى نراه مثلا فى عالمنا الكبير ، ولكن الحقيقة ان العروس الصغير هى التى تقوم بتمزيق الطاقية وهلهلتها واذابتها لكى يدخل صاحبنا الى دنياه حاسر الراس .. وهو لا يستطيع ان يدخل براسه فى عروسه الا اذا تحطمت الطاقية لتتحرر من تحتها « المفاتيح » الكيميائية (او الانزيمات او الخمائر) التى تبدا فى فتح او تمزيق اردية العروس فى الموضع المهيا للدخول ، وهنا تستجيب البويضة لحيواننا المنوى ببروز صغير يطلقون عليه اسم « مخروط التلقيح » ، ويستجيب هو لها ايضا ببروز ، وكانما البروزان بمثابة الشفاه التى تمتد وتتقابل فى قبلة طويلة ، والى هنا تظهر على مكونات بويضتنا رعشة نشوانة تستمر حوالى ٢٠ ثانية ، وكانما اللقاء قد زلزل زلزالها !

وحيث يتقابل البروزان ويلتحمان ، يتمزق الغشاءان ، ليصبح لكل غشاء طرفان متحررات ، ثم نلحظ بعد فترة لا تتعدى دقيقة واحدة ترابط اطراف الاغشية الممزقة .. الطرفان الممزقان

لغشاء البويضة يلتحمان بالطرفين الممزقين لغشاء الحيوان المنوى ، وكانما الرداءان قد حيكا فى رداء واحد ، فيصبح هذا لباسا لك ، وهنا تكون البداية فى التحام الكيانين فى كيان واحد ، واندماج الجسدين الصغيرين فى جسد واحد ، مصداقا لقوله تعالى « هن لباس لكم ، وانتم لباس لهن » ، وكانما ما يجرى فى عالم البشر له جذور اعمق واروع فى عالم الخلايا الجنسية ، لتكون بمثابة ازواج توفق بينها خطة عمل ما اعظم اسرارها ، وما اعمق الغازها !

والذكر منا نحن معشر البشر يعتبر حرا طليقا ، الى ان تحتوته الزوجة فى بيتها ، فيستقر ويستكين ، ويحمد الله على ما آتاه ، ولابد للزوجة ان تسير على حكمة مدهشة ومثيرة للمخ والاعصاب حتى لا يفلت منها طيرها (اى زوجها) .. وذلك مصداقا لقولهن « قصقصى طيرك ، ليلوف * بغيرك » .. بمعنى آخر « تنحل وبره » ان كان له وبر .. فبئست الافكار .. افكار البشر !

لكن .. ما الذى دعانا الى ذلك ونحن نتحدث عن مصير خلايا جنسية ؟

لان بويضتنا ـ او حواءنا الميكروسكوبية ـ تسير على المنوال نفسه .. فهى تقوم بقطع رقبة عريسها ، وتفصل ذيله عن راسه ، اى انها « تقصقصه » بطريقتها الخاصة ، ثم تسحب راسه ، وتحتويه فى داخلها .. اضف الى ذلك انها جاءت الى الحياة بحجم يفوق حيواننا المنوى بمئات المرات ، وهى لا يهمها منه الا الراس ، وفى الراس تتكدس خطة العمل ، وفيها كل الخير .. لانها بمثابة مخزن كيميائى يحتوى على الشفرات الوراثية التى

(*) أى يتآلف بغيرها فيهجرها .. وهذه أمثال عامية أو بلدية .. وعليك أن تهملها أو تستطعمها .. انت حر طبعا ؛

http://nj180degree.com

تضمنت بلايين المعلومات ، وهذه تندمج مع معلوماتها ، وعندئذ يحدث الاخصاب ، وتترجم الشفرات الى مخلوق ايا كان نوعه وصنفه وحجمه .. ثم يأتى الى الحياة ليلعب نفس اللعبة من جديد !

لقد امتلكت البويضة حيواننا المنوى ، واحتوته فى عشها ، تماما كما تمتلك الاناث ذكورها فى عش الزوجية .. ولقد ذاب صاحبنا فى كيانها ، وما عاد له من اثر يذكر ، وبقيت هى لتواصل الحياة بعد ان حصلت على نصفها الآخر ، وليكون من وراء ذلك بعث لحياة جديدة قادمة !

وهكذا يسعى ذكرنا الصغير الى نهايته ، لتبدأ بها بداية العروس فى الحياة ، فاذا لم يصلها العريس فى غضون يومين ، ماتت كخلية بكر لم يمسسها ذكر ، وعندئذ تصبح اردیتها الثلاثة بمثابة كفنها ، وتقام المراسم الدموية لعدة ايام ، ثم تخرج مع دماء الحيض ، فى حين ان مئات الملايين من حيواناتنا المنوية تتبعثر هنا وهناك كشىء رخيص لا ثمن ولا تسعيرة !

واذا كان ذلك يحدث فى الانسان الذى يعتبر نفسه قمة التطور والخلق على هذا الكوكب ، فان مأساة اخرى قد حلت بذكور الميكروبات التى ظهرت على الارض قبل ان نظهر نحن عليها بمئات الملايين من السنين .

ففى بعض انواع الميكروبات (البكتيريا) تتواجد خلايا وحيدة .. الخلية بمثابة كائن حى مستقل ، فهى تتغذى وتتنفس وتنمو وتنقسم وتخلفها ذرية من خلايا .. صحيح انها ضئيلة غاية الضآلة ، ولا يمكن رؤيتها الا بواسطة الميكروسكوبات ، الا انه يجب علينا الا ننسى ان بدايتنا الحقيقية كانت ايضا من خلايا ميكروسكوبية تتمثل لنا فى حيوانات منوية وبويضات تسبح وتتحرك كالميكروبات ، وعندما تنقسم البويضة بعد التلقيح ، فان

الخلايا الناتجة من انقسامها لا تنفصل كما هو الحال فى الخلايا الميكروبية ، بل تتجمع فى كتلة صغيرة ، ثم تكبر الكتلة بمزيد من الانقسام ، وتتميز الى خلايا مختلفة ، لتؤدى الى تكوين انسجة واعضاء فمخلوقات متكاملة .. منها الذكر ، ومنها الانثى .. وكذلك يكون الحال فى بعض الميكروبات ، فمنها الميكروب الذكر ، ومنها الميكروب الانثى ، الا اننا لا نستطيع ان نميز الخلية الميكروبية الذكرية عن الخلية الانثوية الا اذا حدث بينهما الاتصال والتزاوج .. فعندما ننظر تحت عدسات الميكروسكوب نلحظ خليتين متصلتين .. احداهما فارغة ، والاخرى مشحونة ، فأما الفارغة فلابد ان تكون ذكرا (فالذكر هو الذى يعطى ويقدم دائما ، وهو الذى يجب ان يفرغ من حياته ويموت اولا) ، وأما التى امتلأت واكتنزت فهى الانثى طبعا .. فلقد اعطاها الميكروب الذكر كل شىء فى جسده الدقيق ، واصبح خالى الوفاض ، محروما من الحياة .. اذ كيف يحيا بعد ان منحها كل ما يملك من مادة حياته ؟

والى هنا يتجلى لنا تحيز الحياة للانثى بأعظم معانيه .. فلقد شطبت حياة الذكر ، لتكون كلمة فى حياة الانثى .. وبهذا اختفى هو ، وبقيت هى !

فاذا تركنا عالم الميكروبات ، وصعدنا فى سلم المخلوقات ، لقابلتنا مجموعة اخرى من الكائنات تعرف باسم الطحالب الخضراء ، وهى تعيش اساسا فى الماء ، وقد تتكاثر مجموعات دقيقة منها تكاثرا سريعا ، بحيث تكسب الماء لونا اخضر ، وقد نلحظ منها بالعين المجردة نوعا خيطيا محددا يعرف باسم طحلب « سبيروجيرا » Spirogyra .. وهذا الطحلب يظهر فى الماء كخيوط خضراء تتماوج معه كما تتماوج شعور الشقراوات عندما تداعبها النسمات .. المهم ان طحلبنا الخيطى الاخضر هذا بسيط التركيب ، فهو يتكون من خلايا متراصة كما تتراص

http://nj180degree.com

« كعوب » القبصب او عقله فى اعوادهـا .. ورغـم أن هذه الخيوط الطحلبية فيها ايضا الذكر ، وفيها الانثى ، الا اننـا لا نستطيع ان نميز بينهمـا الا اذا حدث التزاوج

فاحيانـا ما نرقب تحت عدسات الميكروسكوب خيطين وقـد امتـد احدهما بجوار الآخر ، واستكان بجانبـه ، وتبـدأ الخلايـا المتراصة فى تكوين بروزات صغيرة كالحلمـة ، ثم تمتد البـروزات الى الخارج وتبرز حتى تتقابـل مع البروزات التى كونتهـا خلايـا الخيط الآخـر ، وبعد أن يذوب الحد الفاصل بين هـذا البـروز وذاك يحدث شيء غريب ، ومنه ستعـرف من هو الذكـر ومن هى الانثى

فاذا فحصت ورأيت خيطا شفافا ليس به من مكونات الحيـاة شيئـا مذكـورا ، فاعلـم انـه ذكـر ، واذا رأيت الآخـر حيـا ومكدسـا بمـادة الحيـاة ، فاعلـم انـه انثى .. فلقـد انتقـل السيتوبلازم بما حوى من الذكر ليصب فى الانثى ، كما ينتقـل مثلا كـد الرجل وخيره ليصب فى بيتـه .. بيت الانثى ، مـع الاختلاف طبعا بين سلوك طحلب وانسـان !

كانما جسم الذكر قد تحول كله الى خلايـا جنسية لتنتقـل الى جسم الانثى ، ويبقى هو على هيئة خاويـة كجلد ثعبان فارغ بعد انسلاخه ، وقد يعتـرض البعض على ذلك ويقـول ، ولمـاذا لا نفترض العكس ؟ .. بمعنى أن مكونـات الخيط الانثوى هى التى تنتقل الى الخيط الذكرى ، فيحيا هو ، وتنتهى هى ؟ .. والجواب لا يحتاج الى فراسة ، ففى الطبيعة ـ كما نراهـا وندرسهـا على مستواهـا الصغير والكبير ـ نلحظ دائمـا أن الذكـور هى التى تعطى ، والاناث هى التى تأخـذ ، ولـم يحدث أن انتقلت الخلايـا الجنسية من الانثى الى الذكر ، والا لكانت الكارثة ، ولأصبحنـا نحن معشر الذكور حيالى !

ثـم نـرتفع فى سلم المخلوقـات درجة فدرجـة ، فتقابلنـا

كائنات اعقد فاعقـد ، وفى حياتهـا امور يجب ان نحـزن لها نحن معشر الذكور .. فعندمـا يبلغ الذكـر ويصبح يافعـا ، يبـدأ فى تكوين اكياس صغيرة مكدسة بخلاياه الجنسية ، وهـذا يعنى ان اجله قد دنـا ، فبمجرد أن تنطلق خلايـاه المنويـة فى الماء بالملايين والبلايين ، نراه يضعف ويتهـاوى ويمـوت ، وتسبح الملايين التى خرجت هنا وهناك ، حيث تبحث عن انثى من نفس نوعها لتلقحها ، وطبيعى ان يتوه من الخلايا الذكرية الكثير ويضل الطـريق ، ومن ضـل ، فعليـه اللعنة .. وما اكثر الضالين ! تماما كما يحـدث ذلك ايضا مع خلايانـا الجنسية الذكرية .. لا فرق هنا بين ذكـر وانثى يسكنان بركة من مـاء وطين ، او غيرهمـا ممن ينـام على فراش وثير .. المهم أن تعيش الانثى بعد موت الذكـر ، لتحتضن الاجنة وترعاهـا ، ما لـم تأتهـا كارثة تأخذهـا بما حملت !

وعلينا بعد هذا ان ندرس حالة وردة او زهرة فى عالم النبات ، فالزهرة بمثابة عش الزوجية الذى يجتمع فيه الذكر بالانثى ـ نعنى الاعضاء الذكرية والانثوية .. فلو فحصنا زهرة فحصا دقيقا لوجدناها تتركب من تخت وفوق التخت يتواجد الكأس ، ومن داخـل الكأس وريقات زاهية الالوان ، بديعة التنسيق والجمال اسمها البتلات ، وهذه تحيط بالذكر والانثى وكانهما فى « كوشـة » كالتى يصنعهـا البشر .. صحيـح أن « الكوشة » فى حيـاة البشر لـن تقـدم ولن تؤخـر ، ولكنهـا فى حياة الزهرة قد تلعب دورا هاما .. ثـم نرى من داخل البتلات او « الكوشة » محاور صغـيرة كالخيوط ، وفى نهايتهـا العليـا تتواجـد اكياس ، وفى داخل الاكياس ملايـين من حبوب اللقاح ، وعندمـا تنضج الاكيـاس تتفتح ، وتنطلق منها الخلايـا الذكرية (حبـوب اللقـاح) .. فتذروهـا الريـاح ، او تلتصق بالحشرات التى تزور الزهور ، لتنقلها من زهرة الى زهرة ، ليكون التلقيح المختلط الـذى تباركـه الطبيعـة (وهـذا يعنى ان اعضاء الزهرة الواحدة لا تلقح نفسهـا) ، ولقـد صممت الامـور بمواقيت معلومـة حتى لا يحدث التلقيح الذاتى .. لكن كل هـذا

http://nj180degree.com

لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان زواج الاقارب غير مستحب .. وسلوك الزهور خير شاهد على ما نقول !

لكن .. اين توجد الاعضاء الانثوية ؟

انها لا تكاد تظهر او تبين ، فهى هناك فى مكان امين .. فى قاع الزهرة ، حيث تختبىء بعيدا عن الانظار ، وحولها تتوزع اعضاء الذكور ، وتحيط بها كاحاطة السوار بالمعصم ـ تكريم جديد وغريب لمبيض زهرة فهى لا شك فى الحياة غالية ، كما انها لا تترك مكانها ، بل تبقى فيه مصونة ، وعلى حبوب اللقاح ان تتوزع وتنتشر وتطير بالملايين والبلايين .. رخيصة جدا .. كثيرها يخيب ، وقليلها يصيب ، فاذا اصابت ، كان للمبيض ما يهوى ، دون ان يكلف نفسه مشقة او نصبا ، وبعدها يكون الاخصاب ، وتلقح البويضات بحبوب اللقاح ، ويتحول المبيض الى ثمرة ، والبويضات الى بذور .. البذور أجنة نائمة كاهل الكهف ، وحولها مخزون من الغذاء الذى تعتمد عليه اذا ما انطلقت البذور من ثمارها لتنبت ، فتعيد الكرة من جديد .

بقى ان نعرف ان الذى يرث عش الزوجية هى الانثى دائما .. نعنى مبيض الزهرة بما حمل ، اما ذكورنا فقد راحت فى خبر كان منذ فترة طويلة ، فلقد ادت مهمتها ، وانتهت رسالتها ، وضاع منها ما ضاع ، وعلى الانثى أن تواصل الحياة لتعطى البذور .

وتلك حقيقة تفرح لها الاناث ، ويحزن لها الذكور .. فمن المعروف ايضا فى اناث البشر ـ كما سبق ان ذكرنا ـ انهن اطول من الرجال عمرا ، كما ان وارثات الرجال (الأرامل) اكثر عددا من وارثى النساء (ان كان من ورائهن ارث) كما ان الشريعة قد اوضحت ان اناث بيت الزوجية من حق الزوجة لا الذكر .. تماما كما كانت شريعة الحياة مع زهرة !

تسخر الحياة بذكورها اكثر ، عندما تقدم لنا امثلة اخرى تجعلنا نتوارى منها خزيا ، وكانما هى بأمثلتها هذه تضع لنا النقط فوق الحروف ، لتشير الينا من طرف خفى بأن الذكر فى حياة انثاه بمثابة تابع او طفيلى او « دلدول » !

ففى مجموعة من الكائنات التى تعيش فى اعماق البحار والمحيطات حيث البرودة شديدة . والهدوء قاتل ، والظلام حالك ، والمسافات التى تفصل كائنات الأعماق كبيرة وواسعة ، نجد ان البحث عن الجنس يشكل امامها مسالة خطيرة وعويصة . . ومن هذه المخلوقات انواع من الأسماك شكلها قبيح وغريب ، ولهذا اطلقوا عليها اسماك الشيطان .. وهو اسم فى الواقع على مسمى .

طبيعى ان الذكر فى هذه الانواع لا ينتظر حتى يبلغ مبلغ الرجال ، ثم يبحث عن انثاه . بل عليه ان يطلبها بمجرد ان يفقس من بويضته . ويعرف كيف يسبح ويعوم ، فربما يأخذ وقتا طويلا حتى يهتدى الى فتاة احلامه ، او لا يهتدى على الاطلاق ، خصوصا فى مثل هذه المتاهات الواسعة .. المهم ان الحظ يلعب هنا دورا كبيرا . فذكورنا دائما تحت رحمة الاقدار ، وهى التى قدر عليها ان تشقى وتبحث وتكد حتى تلتقى بالانثى ، او يكتب عليها التيه والتشرد حتى الموت !

وقد يصادف ذكر من هذه الذكور انثاه . عندئذ ينطلق اليها كالسهم المارق ، وحيث يلتقى فمه الصغير بجسدها نراه يعضها عضة واحدة .. العضة الاولى والاخيرة فى حياته ، وبعدها يصبح عبدها واسيرها الى ان يؤدى مهمته ، وينتقل الى رحمة الله غير مأسوف على شبابه !

والى هنا يبرز امامنا تساؤل هام : لماذا يعض الذكر انثاه بدلا من ان يطبع قبلة على جسدها العظيم ؟ .. هل يفعل ذلك

http://nj180degree.com

بدافع من الانتقام بعد طول كده وتعبه ونصبه ؟ .. ام لانها قبيحة ومنفرة ؟

ليس هناك فى الواقع قبح او جمال يمكن ان تراه العين لشدة الظلام ، كما ان هذه المخلوقات لا تعرف معنى الجمال او القبح او الانتقام .. لكننا بلا شك نقف امام مشهد مثير وحقير، لنقدم اعجب قصة بين ذكر وانثاه .. فالانثى – كما ترى – اكبر من الذكر بمئات المرات ، وهى تستطيع ان تبتلع منه فى جوفها العشرات لو ارادت ، ولكن العضة الذكرية دليل ملموس على ان « مقصوف الرقبة » قد وصل ، ولا جناح عليه ان يعضها ، ويفرز انيابه الصغيرة فى لحمها !

وبعد هذه العضة الغريبة تلتحم شفتا الذكر بجسم الانثى ، ويتصل نسيجه الحى بنسيجها ، وطبيعى انه لا يستطيع ان يأكل بعد هذه العملية ، بل نراه يعتمد على انثاه فى طعامه وشرابه وتنفسه ، وكأنما هو طفيلى من الطفيليات الحقيرة .. ذلك ان دورته الدموية تتصل بدورتها ، وعن طريق هذا الاتصال ينساب دمها اليه ليجرى فى عروقه . فيتغذى ويتنفس ، ثم يلقى بنفايات عملياته الكيميائية الحيوية الى دمائها .. وبهذا يضحى الذكر بشخصيته وكيانه ، وتضمحل فكوكه واسنانه وخياشيمه وزعانفه وامعاؤه .. الخ ، وكأنما هو قد اصبح بمثابة نسيج حى او مجرد جهاز تلقيح ترعاه الانثى وتغذيه حتى ينتج لها الحيوانات المنوية فى الوقت المناسب ، ثم يقذفها فى الماء عندما تطلق هى فيه بويضاتها ليحدث التلقيح .. لكن الغريب ان ذكرنا ليس له فى الامر ارادة ، بمعنى انه لا يستطيع ان يتحكم فى افراز حيواناته المنوية على هواه .. بل على هواها هى .. ذلك انها وليدة نعمته ، ودماؤها هى التى تتحكم فى غدده الجنسية .. فلا تنضج الا بأمرها ، ولا تفرز حيواناتها المنوية الا برغبتها .. ويا قلب لا تحزن على مصير ذكر من الذكور !

لكن ذكرنا هذا الطفيلى احسن حظا من ذكور اخرى قدمتها الطبيعة قربانا على مسرح الجنس ، لتؤكد لنا مرة ثانية ان الحياة للانثى ، والموت للذكر ، وان التضحية به واجبة الاداء * ، ويكفى ان نذكر هنا حالة واحدة من حالات كثيرة ، ليتبين لنا القسوة ، وعظم المأساة !

عندما تطير ملكة نحل شابة عذراء الى طبقات الجو العليا فى رحلة « شهر العسل » ، تنطلق وراءها مئات الذكور فى سباق مرير ، وكل ذكر يمنى نفسه بشرف جماع الملكة ، ولهذا يبذل قصارى جهده فى اللحاق بها قبل غيره ، وهو لا يدرى ان الموت سيكون له بالمرصاد !

والواقع ان الحياة قد وضعت ذكورها تحت اختبار عويص ، وكأنما فكرة الطيران وراء الملكة لا تخرج عن كونها مسابقة شريفة بين هذا المهرجان الطائر من العرسان .. اذ مما لا شك فيه ان الذى يلحق بالملكة وينالها فى عليائها لابد ان يكون هو اقوى الفتيان ، وبهذه الطريقة تقدم الطبيعة للانثى اكفأ واحسن ما انتجت من العرسان لتورث الاجيال القادمة قوته وصحته وخلوه من العاهات والامراض .. وهذا امر لا غبار عليه ، بل هو مستحسن وفعال فى امور الاختيار الطبيعى الذى نسعى اليه الحياة بين مخلوقاتها !

ويلحق اقوى الذكور بملكته ويحتضنها بعد كد وتعب ، لكن عريسنا الفائز لا يسعد بالوصال الا للحظات قصار ، فبمجرد ان يحدث الاتصال الجنسى ، تنتزع الملكة اعضاء العريس التناسلية

(*) انظر فى هذا الصدد كتابنا « زوجات مفترسات » .. كتاب الهلال – الناشر دار الهلال القاهرة .

http://nj180degree.com

وتستولى عليها ، وتدخلها الى تجويفها .. هذا ولقد كان الظن السائد الى وقت قريب أن الملكة لا تتقبل الا فتى واحدا ، ولكن بعض علماء البيولوجيا السوفييت قد اوضحوا أن الملكة تستقبل عدة عرسان اقوياء ، وتفعل بهم مثلما فعلت باولهم .. المهم ان الملكة بعد هذه الرحلة تعود وقد اصبحت انثى فى الظاهر ، وفى الباطن تحمل اعضاء الذكر واعضاء الانثى ، لتبقى خصيبة طيلة حياتها ، فلا تحتاج الى ذكر آخر بعد ذلك ابدا !

وتنتهى مراسم الزواج ، وتستقبل الرعية ملكتها استقبالا لائقا ، وقد تعود الذكور التى فشلت فى مهمتها ، فلا تجد من الرعية الا الاهمال والاحتقار ، كما انها لا تطعمها ، فلا فائدة الان منها ، وبهذا يموت الذكور جوعا وكمدا ، وتحيا الاناث !

لكن المأساة الحقيقية قد حلت بعريسنا الذى حاز شرف جماع الملكة ، فمع خروج اعضائه التناسلية التى نزعتها الملكة فى داخلها نزعا ، خرجت ايضا احشاؤه من شدة النزعة ، لتظهر معلقة فى رحلة العودة كراية صغيرة ترفرف وراءها ، رمزا للتضحية بالذكر ، وعلامة على انتصار الانثى .. اطال الله فى عمرها !

وعندما يحس العريس الشاب ان اكياسه الجنسية واحشاءه الداخلية قد سلبت منه سلبا ، يحس ايضا ان « روحه » قد خرجت ، فتتهاوى قبضته على انثاه ، ويتبدل كل شىء فى لحظات .. القوة الى ضعف ، والحب الى موت ، والموت الى حياة .. حياة اجيال اخرى قادمة كان الذكر فيها هو الضحية ، وبهذا يسقط البطل من عليائه بعد ان وهب حياته لغيره !

مات الذكر .. تحيا الانثى !

وهن أرقى منا وراثيا

المراة اضعف من الرجل ظاهرا .. لكنها ارقى منه واقوى باطنا !

والظاهر عادة فيه خداع ، حتى ولو اعجبتنا مفاتنه .. لكن الباطن هو الجوهر ، وهو الاهم والاعمق من الظاهر .. وباطن المراة يختلف عن ظاهرها ، اذا لو اطلعنا على بواطن الامور فيها ، لسلمنا لها بالسيادة ، وعقدنا لها لواء الامارة .. ايضا باطنا لا ظاهرا !

وقد يبدو هذا لنا ـ نحن معشر الذكور ـ افكا وبهتانا مبينا ، اذ كيف نتجرا وننادى بالسيادة والامارة للمراة ، ونخرج بذلك على التقاليد المتوارثة من قديم الزمن ، والتى وضعت الرجل فى مركز اقوى من مركز المراة ؟

والواقع ان الحقيقة قد تكون احيانا قاسية ومريرة .. فلقد فضحت البحوث العلمية الامور ، وكشفت المحظور ووضعت لنا النقط فوق الحروف لتقول لنا اننا جميعا ابناء آبائنا وامهاتنا .. لكننا نحن معشر الذكور منتسبون الى امهاتنا اكثر مما نحن منتسبون لآبائنا .. بمعنى آخر نقول : نحن ابناء امهاتنا فى المقام الاول ، ثم يأتى الآباء فى المرتبة الثانية !

كلام ـ لا شك ـ غريب ، ولابد له من برهان ودليل !

http://nj180degree.com

فالرجل ـ فى الظاهر ـ اقوى .. حقيقة قديمة ومعروفة ، فهو يتميز عن المراة بقوة جسدية ، وعضلات قوية ، وخشونة واضحة ، ولهذا يتغلب عادة على المراة لو دخل معها فى معركة بالايدى او فى جولة داخل حلبة المصارعة (وقد يحدث العكس فى البيت احيانا ، لكن هذه حالات ـ والحمد لله ـ شاذة ونادرة ، ولا حكم على الشواذ) ومن اجل هذه القوة الظاهرة فى الرجل ، كان لابد ان تكون الأرقام القياسية فى الالعاب الرياضية من نصيبه دون الانثى ، لكن ذلك ليس مفخرة يباهى بها الرجل ويعتز ، لان عضلات الحصان والفيل اقوى من عضلات الرجل .. ولهذا فان زينة الرجال العقل وليست العضلات !

لكن ليس معنى ذلك ان الانثى تحب فى الرجل عقله دون عضلاته ، بل تسعى لاختيار الحسنيين .. عقل يسود به على غيره ، وعضلات تنفعها ، ليكون بها حامى حماها ، والمدافع عنها ، وقد يدخل فى معارك طاحنة من اجل خاطرها .. صحيح ان ذلك لا يحدث الان فى اغلب الاحيان ، ولكن قوة العضلات كان لها شأن عظيم فى الايام الغابرة .. ايام ان كان الانسان الاول يعيش فى الكهوف او يهيم على وجهه فى البرارى والقفار والغابات، ولم تكن هناك عادات ولا تقاليد او قانون .. الا قانون العضلات ، وبتلك العضلات قضى الذكور الاقوياء على الذكور الضعفاء ، لتكون لهم السيادة على مجتمع الحريم ، وباسم هذه النعرة الكاذبة ـ نعرة السيادة ـ قتل الذكور اخوتهم او ابناءهم او آباءهم ، وعاشت الاناث !

لكن .. لكل شىء ثمنا ـ فنحن اقوى ظاهريا ، والقوة تحتاج الى طاقة تغذيها ، ولهذا فنحن « نحرق » انفسنا اكثر من الاناث ، ونستهلك من طاقاتنا ما يفوق طاقتهن .. اذ اننا فى حياتنا كالأفران المشتعلة ، لكن اشتعالها بطىء ، وحرقها لوقودها (السكر) يسير على خطوات متتابعة ، ليسرى كل شىء فى داخلنا

بحساب ، وتنطلق الطاقات بمقدار ، لتؤجج فى داخلنا جذوة الحياة .. ومن الغريب ان الشعلة الحيوية فى الرجال اكثر توهجا منها فى النساء ، ولهذا تنطفىء فينا بمعدلات اكثر من انطفائها عندهن .. يعنى اننا نسرف فى طاقاتنا ، وهن المقتصدات ، ويعنى اننا « نحترق » اسرع منهن ، ويعنى اننا اقصر منهن عمرا !

لكن عدة ارقام قليلة سوف توضح لنا هذه الحقيقة .. فبمقارنة الطاقة التى يبذلها الرجل والمراة (المتساويان فى السن والوزن) فى بعض الانشطة اليومية المختلفة يتبين لنا مقدار ما يبذله كلاهما مقدرا بالسعر الحرارى فى الدقيقة الواحدة ـ هذا والسعر او الكالورى وحدة حرارة تنطلق من اى شىء يشع موجات حرارية ـ بما فى ذلك اجسام البشر والحيوان نتيجة للعمليات الحيوية الناشئة من التفاعلات الكيميائية التى تغذيها عمليات الاحتراق فى اجسامنا !

نوع النشاط	المراة	الرجل
١ ـ وهما مستلقيان فى راحة تامة	٠ر٩٨	١ر١٩
٢ ـ عند الوقوف	١ر١١	١ر٢٥
٣ ـ مزاولة الاعمال المكتبية	١ر٣١	١ر٦٠
٤ ـ تقشير البطاطس (او البصل اذا اردت)	١ر٢٩	٢ر٧٠
٥ ـ غسيل الأطباق	١ر٥٣	٣ر٣٠
٦ ـ وهما يغتسلان ويلبسان	٣ر٣٠	٣ر٥٦
٧ ـ اثناء السير جنبا الى جنب	٢ر٩٠	٥ر١٠
٨ ـ ترتيب السرير	٥ر٤٠	٧ر٠٠

تلك هى بعض الانشطة العادية التى تؤكد لنا اختلاف الطاقات المبذولة بين الجنسين ، وتوضح اننا نحترق فى حياتنا اسرع من السيدات ، حتى ولو تساوى العمر والوزن

http://nj180degree.com

والمجهود .. ثم ان الرجال هم الذين حملوا فوق رؤوسهم كل الأعباء والمجهودات الهائلة التى تحتاج بدورها الى طاقات أعظم مما يبذله الاناث .. اضف الى ذلك ان للطاقات والاحتراق نفايات ، والنفايات تؤدى - على المدى الطويل - الى تفييد جزيئات الحياة وشلها عن أداء رسالتها .. فكلما زادت النفايات الحيوية كلما زادت « كلبشات » الجزيئات الحية ، وهذا - بلا شك - يؤدى الى اخماد جذوة الحياة ، فتنطفىء فى الرجال أسرع مما تنطفىء فى النساء .. والارقام التى قدمناها فى الفصل السابق خير شاهد على ما نقول .. فاين المساواة وها نحن نرى كيف تتحيز الحياة لاناثها دون ذكورها ؟

لكن الذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا شك مخطئون او مخطئات .. فطبيعة الحياة فى التكوين الجسدى والوراثى والفكرى يؤكد ان الذكر ذكر ، وان الانثى انثى ، ومن سلك سبيل الآخر « فليس منا » .. فزوال الحواجز بين الذكر والانثى ليس فى صالح الجنس والنوع ، « ولعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال » .. ولقد اختلط الحابل بالنابل ، فلا نكاد نميز الذكر عن الانثى الا بما وهبتهما الحياة من مميزات ظاهرة وباطنة ، لتقول لنا : هذا ذكر ، وتلك انثى !

نعود لنؤكد ان الذكر - بطبيعة تكوينه العريض - يختلف عن الانثى فى امور كثيرة .. نعومة البشرة لهذه وخشونة لذاك .. صوت حنون لها ، ولنا صوت اجش ، صدور ضامرة فينا ، ولهن الصدور البارزة .. كما ان الاعضاء التناسلية فى هذا تختلف عنها فى تلك .. لكن هناك اختلافات اخرى تشريحية وفسيولوجية وكيميائية تؤكد عدم المساواة .. من ذلك مثلا .. وكما جاء فى كتاب « جسم الانسان » الذى نشرته مكتبة

« لايف » العلمية ، وتحت عنوان « بعض الاختلافات بين الجنسين » نذكر الحقائق التالية :

* وزن مخ الرجل فى المتوسط اكبر من وزن مخ المرأة .. فحيث يصل وزن المخ الصغير والمتوسط والكبير فى المرأة الى ٣٧ر٠٤ ، ٤٤ر٩٨ ، ٥٤ر٦٨ اوقية على الترتيب ، نرى هذه الاوزان نفسها فى الرجال تصل الى ٣٨ر٨٠ ، ٤٩ر٣٨ ، ٦٠ر٠٥ اوقية .. لكن ليس معنى ذلك ان تفكير الرجل اكفأ من تفكير المرأة .. بل بمعنى ان جمجمة الرجل اكبر من جمجمتها ، اذ ليس بحجم المخ يقاس الذكاء !

* قلب الرجل اكبر من قلب المرأة .. ليس فى الحب او العاطفة ، ولكن ذلك يرجع - فى المقام الاول - الى حاجة الرجل الى طاقة اكبر من طاقة المرأة ، وعليه فلابد ان تكون « مضخة » الدم فيه اكبر ، ليحرق اسرع .. هذا ويبلغ وزن قلب المرأة ثمان اوقيات ، فى حين يبلغ وزن قلب الرجل عشر اوقيات فى المتوسط .. اى بزيادة قدرها ٢٠ ٪ !

* دماء الرجال اغزر من دماء النساء .. اذ يحتوى جسم الرجل فى المتوسط ١ر٥ جالون من الدم ، فى حين ان جسم المرأة فى المتوسط لا يحتوى الا على ٨٧٥ر٠ جالون ، اى بزيادة تصل الى حوالى ٧٠ ٪ !

* يبلغ متوسط المساحة الكلية لبشرة الرجل ٢ر٢١ ياردة مربعة فى مقابل ١ر٩٣ ياردة مربعة للمرأة !

* كمية الماء فى اجسامنا غير كميتها فى اجسامهن .. اذ يحتوى جسم الرجل على ٦٠ ٪ من وزنه ماء فى حين أن جسم المرأة يحتوى على ٥٤ ٪ من وزنه ماء !

http://nj180degree.com

* من المعروف طبعا ان عضلات الرجل اقوى من عضلات المرأة .. لنا من العضلات حوالى ٤٢ ٪ من وزن أجسامنا ، ولهن منها ٣٦ ٪ من وزن أجسامهن !

* نسبة الدهون فى المرأة تصل الى ٢٨ ٪ من وزن جسمها ، وفى الرجل حوالى ١٨ ٪ .. لكن لجلد المرأة وبشرتها نصيب محمود من تلك الدهون ، ولهذا كانت بشرتهن بضة ملساء .. كما ان اختزان الدهون فى النساء يجعلهن كالجمال .. فدهون سنام الجمل تتحول عند العطش الى ماء ، ولهذا سمى سفينة الصحراء .. لكن الدهون فى الانثى مخزونة لتتحول وقت الحاجة الى طاقة ولبن ، ثم انها قد تكون عازلا ضد تقلبات الجو اذا كانت تحت البشرة !

* المساواة الوحيدة بيننا وبينهن تتركز فى العظم .. وياليها من مفارقة غير سعيدة ، فلنا ولهن من العظام ١٨ ٪ من وزن اجسامنا واجسامهن .. ولهذا ليس صحيحا ان الرجل ينقص ضلعا عن المرأة !

* ولنا نحن معشر الرجال عمود فقرى اطول فى المتوسط عن النساء ، اذ يصل طول هذا العمود الى ٢٨ بوصة ، ويصل فيهن الى ٢٤ بوصة !

* واتساع رئتى الرجل تختلف اختلافا واضحا عن رئتى المرأة (عند سن ٢٥ سنة) .. ففى الشابة الصغيرة الحجم يصل اتساع رئتيها الى ٨٢ر. جالونا ، يقابلها فى الرجل الصغير ١٣ر١ جالونا !

* وفى الشابة المتوسطة الحجم ١١ر١ جالونا يقابلها ٦٩ر١ جالونا فى الشاب من الحجم نفسه !

* وفى الاحجام « المحترمة » أو الكبيرة من النساء ٤٧ر١ جالونا ، وفى الرجال الضخام ٣٨ر٢ جالونا !

* لهذا تتنفس المرأة اسرع من الرجل .. ففى فترات الاسترخاء، والراحة تتنفس المرأة بمعدل ٢٠ ــ ٢٢ مرة فى الدقيقة ، فى حين ان الرجل يتنفس بمعدل ١٤ ــ ١٨ مرة فى الوقت نفسه !

* لكن حجم الهواء الذى يستنشقه الرجل فى عملية الشهيق اكبر بمرتين من حجم الهواء الذى تستنشقه المرأة ، فعند الراحة يستنشق الرجل حوالى ٨٠٠ سنتيمترا مكعبا يقابلها ٣٦٠ سنتيمترا مكعبا عند المرأة !

وفى المجهودات البسيطة يستنشق الرجل حوالى ١٧٧٠ سنتيمترا مكعبا يقابلها ٩١٠ سنتيمترات مكعبة عند المرأة !

وفى المجهودات العنيفة يستنشق الرجل حوالى ٢١٠٠ سنتيمترا مكعبا يقابلها ٩٣٠ سنتيمترا مكعبا عند المرأة !

واعمق شهيق يستنشقه الرجل يصل الى خمسة لترات فى حين ان المرأة لا تستطيع ان تستنشق اكثر من ثلاث لترات !

* دم الرجل بلا شك ــ أثقل من دم المرأة ، لكن ليس معنى ذلك انه ثقيل الظل او « سم على دمه » ! كما يحلو لبعض فتياتنا وسيداتنا ان تطلق علينا مثل هذا التعبير فى حالات عدم الرضا ــ لكن المقصود بالدم الثقيل انه اكثر كثافة فى كرات الدم .. ففى كل ملليمتر مكعب من دمائنا نحن معشر الرجال ما بين ٤٫٦ ــ ٦٫٢ مليون كرة دم حمراء ، يقابلها ٤٫٢ ــ ٥٫٤ مليونا عند النساء !

لكل هذه الاسباب وغيرها جاء الحكم البيولوجى بعدم المساواة بين الرجل والمرأة .. فلقد تزود الرجل بكفاءات

http://nj180degree.com

جسدية تؤهله لخوض غمار الحياة ومجهوداتها العنيفة ، ليحترق اولا ، ويموت اولا – فى اغلب الاحيان .. لكنها – اى الحياة – لم تشأ ان تعرض المراة لما لا تحب وترضى ، وكانما قد وضعت لها الحدود ، لتحافظ عليها وتصونها ، ولكنها – اى المراة – قد تمردت على طبيعتها ، وتعرضت لما لا تحب وترضى ، عندما خرجت الى معترك الحياة وويلاتها ، فبدات بعض الأمراض – التى نتعرض نحن لها – نتيجة للاجهاد والتوتر – تزحف عليها !

وبالرغم من ان اجسام الرجال اقوى من اجسام النساء ، الا ان جسم المراة اعقد تكوينا من جسم الرجل ، كما ان العمليات الفسيولوجية والكيميائية فى المراة ارقى واكفا من الرجل ، فهناك سلسلة طويلة من الاحداث الكيميائية والهرمونية التى تجرى فى جسم الانثى ، ولا يعرف جسم الذكر عنها شيئا .

فبروز النهدين صفة هامة جدا عند الفتاة او المراة ، فهى من العلامات الاساسية الدالة على انوثتها ، اذ لا نستطيع احيانا ان نفرق بين فتيان عصرنا هذا وفتياتهم ، خصوصا عندما تهدلت الشعور على القفا ، وضاقت « البنطلونات » على الارداف – ارداف الفتيان « المخنثين » (ظاهرا لا باطنا) ، وتقاربت الى حد كبير ملابس هؤلاء بهؤلاء ، كما تقاربت الامزجة والميول .. عندئذ لم يبق الا ان تدور دورة كاملة حول الفتى او الفتاة لتنظر الى الصدر وما حمل ، فاذا رايت عليه تضخما واضحا ، فاعلم انها فتاة ، وان كان غير ذلك ، فعليه اللعنة !

لكن كل هذا قد لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان من وراء بروز النهدين سلسلة من الاحداث الكيميائية والهرمونية التى تسيطر على نموهما وتشكيلهما ، ليقوما – فيما بعد – بأداء وظيفتهما التى خلقا من اجلها ، لكن بعض النساء –

خصوصا « المودرن » منهن – قد ضربن بهذا المبدأ عرض الحائط ، فالمحافظة على النهدين اغلى واثمن من استخدامهما فى ادرار اللبن للرضع من الاطفال ، وكانهما قد جاءا من اجل ادرار اعجاب الرجال (وما ابرىء نفسى) ! .. وتلك نكسة فى تفكير النساء والرجال .. ذلك ان معظم الرجال – ان لم يكن جميعهم – يهوون الثدى النافر ، ويفرون من الثدى المتدلى او الضامر ، وكانما لازالت ميول الاطفال الرضع تملك عليهم مشاعرهم واحاسيسهم ، وهذا ما يسعد النساء حقا ، ولذلك فقد يقولون عن الرجل – فى بعض المواقف – انه طفل كبير ! .. كما ان الثدى الشامخ يعتبر احدى المعالم البارزة فى الانثى ، ومن اجل هذا اعتبروه فى مسابقات الجمال احد الاسس القوية للفوز باللقب ، رغم انه قد جاء ليؤدى وظيفة فسيولوجية هامة .. ولكن الهرمون الجنسى يزين لنا الامر ، فتسخر النساء منا او به تتباهى !

كذلك تعتبر الانثى اكثر تعقيدا فى الخلق من الذكر ، خصوصا عندما ناخذ فى الاعتبار عملية ادرار اللبن عند الرضاعة ، وهى عملية معقدة تخضع لسلسلة من الأحداث الكيميائية والهرمونية التى تسيطر عليها الغدد .. اضف الى ذلك ان وظائف الغدد الصماء عند المراة اعقد من غدد الرجل .. فهى التى تسيطر على تجهيز البويضة ، وهى التى تقوم باعداد المهد او العش الذى يستقبل البويضة عند تلقيحها ، ثم استقرارها فى الرحم ، فاذا لم يحدث الاخصاب ، بدات عمليات هرمونية وكيميائية جديدة لتنظيف الرحم « وكنسه » ، ثم تجهيزه من جديد فى الشهر التالى لبويضة اخرى قادمة ، فاذا تلقحت وبدات فى تكوين الجنين ، ظهرت جيوش من الهرمونات التى تتجول ليل نهار فى دماء الحامل والجنين لتؤثر فيه وتشكله ، كما تؤثر على جسم الحامل وتجعله اكثر انوثة .. ذلك ان جسمها يقيم استعدادات

http://nj180degree.com

« ومهرجانات » حيوية ، وكأنما الغدد تعزف بهرموناتها سيمفونية كيميائية فيها نغمة الحياة الرائعة ، وكأنما هى أيضا ترحب بقدوم حدث سعيد ، وضيف جديد ، ولهذا يدب النشاط فى الأنسجة والأعضاء ، وتصير البشرة غضة بضة ملساء ناعمة لامعة ، وتتكور النهود وتصبح اكثر شموخا ، وبالاختصار تصبح المرأة فى اشهر الحمل الاولى بمثابة وردة متفتحة ، وكأنما هى تتورد بالنشاط والحيوية ، ولهذا قد يقابلك من الذكور من يقول : ما امتع جماع الحامل ، وهو قول له سند من الصحة والواقع !

كل هذه الاحداث الرائعة التى تعرضنا لها باختصار شديد ، لا تعرف اجسامنا عنها شيئا نحن معشر الذكور .. كل ما نعرفه هو ذلك الاحساس اللذيذ الذى لا يستمر الا وقتا قصيرا ، ومن وراء ذلك انثى تثيرنا ، وهرمون يفرز فينا ، فيجعل كل شىء حلوا فى اعيننا ، ثم نقذف خلايانا الخصيبة ، ونهبط ونخمد ونتام ، وبهذا ينتهى الامر عندنا بأسرع مما بدأ ، ليبدأ عندها بسلسلة معقدة من الاحداث الفسيولوجية والهرمونية والكيميائية التى تستمر شهورا طويلة ، وليس دقائق معدودة تنتهى بانتهاء مفعول الهرمون فينا ، فمن اشهر تسعة للحمل الى سنة او تزيد للرضاعة .. وكأنما لنا نحن معشر الذكور لذة الجنس ، ولها بعد ذلك النصب والتعب ، ولكن ذلك يهون عندها لأنبل غرض ، واروع مقصد .. ولهذا كرمنا امومة الام فى عيد يقام كل عام ، ولم نفكر فى اقامة عيد للاب ، لان الأم بيولوجيا وعاطفيا اغلى من الأب !

لكن سيادة المرأة بيولوجيا على الذكر تتضح اذا ما تعمقنا فى بواطن الامور ، وتعرضنا لأساسيات الخلق ، وعندئذ سيتبين لنا اننا نحن معشر الرجال ننتسب الى امهاتنا اكثر مما ننتسب الى آبائنا .. بمعنى اوضح : اننا ابناء امهاتنا ،

ومن هنا فان عامة الناس على حق عندما يقولون « الولد لخاله » ، وهو تعبير مهذب وبديل عن قولهم « الولد لامه » !

لقد دلت البحوث العلمية على ان مكونات الانثى الوراثية اكفأ وارقى وانقى من مكونات الذكر ، واكثر منها فاعلية ، ولكى نوضح هذه الحقيقة المرة على قلوبنا نحن معشر الذكور ، كان لابد ان نتعرض قليلا للباطن الذى لا تراه عيوننا .. ففيه الاساس ، والاساس بالنسبة للانثى عريض ، وللذكر هزيل !

لقد سبق ان ذكرنا ان الذى يحدد صفات اى مخلوق على هذا الكوكب مكونات وراثية دقيقة غاية الدقة ، ولهذا لا يمكن ان نراها الا بمجهر ، وحتى لو رأيناها ، فانها لا تثير فينا فكرا ولا عجبا ، ومع ذلك ففيها اعظم فكرة ، وادق تخطيط ، واروع سر من اسرار الكون والحياة على الاطلاق .. المهم ان هذه الخيوط الدقيقة التى تبدو كعلق او « مقصات » صغيرة للغاية تحتوى على شفرة الحياة التى تحدد لكل كائن حى صفاته الوراثية التى سيأتى بها الى الوجود .. حمارا كان هذا الكائن او خنزيرا او حشرة او نباتا او انسانا ، فالانسان يبدأ حياته بخلية ملقحة ، نصف مكوناتها جاء من الانثى فى بويضة ، والنصف الآخر جاء من الذكر فى حيوان منوى ، وعندما تختلط المكونات ، تنتج لنا سبيكة وراثية جديدة ، تؤدى الى تكوين جنين جديد ، وقد يأتى الى الحياة او لا يأتى !

البويضة الملقحة ـ اذن هى البداية ، وهى السجل الوراثى المكتوب بآلاف الملايين من الشفرات او المركبات الكيميائية التى لو ترجمناها على هيئة كتب ، وكتبناها بحروفنا وكلماتنا ، لملأت المجلدات الضخمة . هذا بالرغم من ان وزن هذه المعلومات

http://nj180degree.com

الوراثية لا يزيد عن ستة أجزاء من مليون مليون جزء من الجرام !.. لكن لا يجب أن تخدعك هذه الضآلة وزنا وحجما ـ كل ما فى الامر انها اكوان فيما وراء حدود الحس والبصر « ولكن اكثر الناس لا يعلمون (١) » .. وكل ما يهم الناس فى ذلك نشوة الحب وحلاوة العاطفة ولذة الجنس .. الخ

البويضة الملقحة بمثابة النسخة المخطوطة التى ستطبع منها ملايين وبلايين النسخ أو الخلايا التى تشكل الجنين الى انسجة واعضاء .. يعنى هذا أن كل خلية جسدية فى اجسامنا تحتوى فى نواتها على ٢٣ زوجا من المخطوطات أو الكروموسومات التى قدمناها فيما سبق .. كل واحدة منها نسخة طبق الاصل من صاحبه ، عدا الزوج الاخير رقم ٢٣ ، فهو فى الانثى غير الذكر ، وهو الذى سيحدد ـ بمعلوماته الوراثية ـ ان كان المولود سيأتى الى الحياة ذكرا أو انثى ، وسوف تترجم هذه المعلومات الوراثية فى مرحلة من مراحل نمونا الى خطة عمل .. الخطة تتحول الى صفات ذكرية أو انثوية لنراها بعيوننا ، ونميز بها كلا الجنسين .. لكن الاساس موجود فى الكروموسومات المحددة لجنس المولود ، فان كان انثى ظهر فيه الزوج الثالث والعشرون على هيئة كروموسومين متشابهين تماما ، نطلق عليهما س س (أو XX) ، وان كان ذكرا ، ظهر هذا الزوج على هيئة س ص (أو XY) .. والى هنا تتضح لنا حقيقة مرة وساخرة ، ذلك اننا نحن معشر الذكور مخلطون ، كما اننا أيضا نتسلخ من الانثى ، ثم ننتسب اليها من خلال الكروموسوم س الحريمى الموجودة فى مكوناتنا الوراثية التى تحتويها كل خلايا اجسادنا ، ولهذا يبدو انها ظهرت اولا ، ثم جاءت الذكور بعد ذلك ، ومما يؤيد هذه الحقيقة ان المخلوقات الاخرى

---

(١) التفاصيل الكاملة لهذا الموضوع فى سلسلة للمؤلف بعنوان « سائح فى ملكوت الله » فى الجزء الثالث . « نحن كتب مكتوبة » .. تحت الطبع .

الاقل منا شانا ، والتى اشرنا اليها فيما مضى من صفحات تسود فيها الاناث ، وتتوالد عذريا دون حاجة الى الذكر .. فاذا تكرمت الحياة وارادت انتاج بعض الذكور ، فانها تنشأ من الانثى !

والاناث أنقى منا وراثيا .. لأن خلاياها تحتوى على الزوج س س ، فى حين ان خلايانا « مخلطة » .. لاحتوائها على س ص .. كروموسوم « س » الانثوى جاء من الانثى ، والآخر « ص » الذكرى جاء من الذكر !

كما أن الاناث تسود علينا كذلك وراثيا من خلال الكروموسوم « س » الحريمى ، اذ لو اطلعت على حجم هذا وذاك تحت الميكروسكوب ، لتبين لك أن الكروموسوم المحدد للجنس فى الانثى اضخم واكبر من الكروموسوم المحدد للجنس فى الذكر .. يعنى أن الحريمى « سوبر » كروموسوم (تماما كالسجائر السوبر) ، أما الذكرى فأقل شانا ، ولو وضع الاثنان فى كفتى الميزان الوراثى ، لرجحت كفة الانثى على كفة الذكر ، وكأنما نفس قصة انثى سمكة الشيطان الضخمة مع ذكرها « الوضيع » قد عادت لتتكرر هنا بصورة أخرى .. فكما يعتمد هذا الذكر على انثاه فى حياته ، كذلك نعتمد نحن معشر الرجال على الكروموسوم الحريمى « س » فى بعض مكوناتنا الوراثية الهامة ، وهذا يعنى ـ بلا جدال ـ أن الكروموسوم المحدد للانوثة قد عقدت له السيادة ، ورفعت له راية الوصاية على كروموسومنا المحدد لصفات الذكورة !

ويحيا س ، ويسقط ص .. وهكذا ربما هتفت الحياة من قديم الزمن !

لكن ضخامة الكروموسوم « س » ليس من قبيل تحصيل الحاصل . ولا هو اختزن فى طياته دهونا أو طعاما لتجعله

http://nj180degree.com

سمينا كبعض أصناف من البشر ، بل أن مجيئه فى الخلية بهذا السمو والاستعلاء يعنى الكثير ، ففيه معلومات وراثية أخرى بجوار المعلومات التى تحدد جنس الانثى ، ولو لم تنتقل الينا هذه المعلومات من الانثى ، لكانت مصيبتنا ثقيلة وفادحة ، ذلك اننا لا نستطيع أن نعتمد على كروموسومنا ص لكى يورثنا ما قد يغيب عنا من الصفات الوراثية التى تنتقل الى تكويننا من الانثى ، فهو لا يحمل فقط الا الخطة الوراثية التى تترجم فيما بعد وتجعلنا ذكورا ، لكن العلماء قد اكتشفوا عليه ايضا خطة عمل وراثية لتورثنا الشعر الذى ينبت على آذاننا نحن معشر الذكور ـ كلما تقدم بنا العمر .. فبئست الخطة ـ خطة الكروموسوم « الذكر » ! .. فماذا يفيدنا نحن ان نبت الشعر على الاذن أو لم ينبت ؟

لكن .. ماذا يعنى كل هذا بالنسبة للذكر والانثى ؟

يعنى ـ فى الواقع ـ الكثير جدا ، فلقد اكتشف العلماء اكثر من ثلاثين مرضا وراثيا لها ارتباط مباشر وغير مباشر بكروموسوم الجنس .. بعضها خطير ، والبعض الآخر قد لا يكون خطيرا ، لكن الغريب هنا أن الخطورة تتركز وتنصب على الذكر دون الانثى !

فمن الامراض الوراثية التى قد تؤدى الى الموت مرض معروف باسم النزف الدموى (هيموفيليا Haemophilia) فعندما يحدث جرح ـ ولو طفيفا ـ فى الحامل لهذا المرض الوراثى ، فانه ينزف حتى يموت ، دون أن يلتئم الجرح ابدا .. فالمسئول عن التئام الجروح فى الاشخاص العاديين مواد بروتينية خاصة تنطلق من معاقلها فى المنطقة المجروحة ، وتؤدى الى تجلط الدم عليها ، لتكون بمثابة سدود تقف ضد نزف الدم .. وواضح طبعا أن المصاب بمرض نزف الدم الوراثى ليست لجسمه القدرة على تكوين بروتين التجلط ..

والسبب راجع الى خطأ وراثى على الكروموسوم المحدد لصفات الجنس .. فعلى هذا الكروموسوم مواقع استراتيجية حساسة نعرفها باسم الجينات أو المورثات ، وكل جينة او مورثة مسئولة عن خطة عمل محددة ، لانها تحمل فى طياتها شفرات وراثية تترجمها الى عمليات حيوية ، أى انها بمثابة « دوسيه » وراثى فى « ارشيف » الحياة ـ فى الكروموسوم الكبير .. والواقع أن الثلاثة والعشرين زوجا من الكروموسومات التى نمتلكها فى كل خلية من خلايا اجسامنا تحتوى على ملايين من هذه الدوسيهات أو الجينات أو المورثات ، ولهذا فان اى خطأ فى اى دوسيه ، يؤدى الى خطة عمل خاطئة ، وغياب بروتين التجلط فى الدم ناشىء من خطأ فى المورثة المسئولة عن تكوينه ، وقد يتكون هذا البروتين ، ولكنه لا يستطيع أن يؤدى وظيفته فى الحياة ، لانه حمل فى تكوينه الخطأ الوراثى ، فليس كل مفتاح صالح لان يفتح بابا ، وكذلك تكون عمليات الحياة المعقدة المتشابكة ، فهى لا تحتمل الاخطاء ، خصوصا اذا جاءت من اصل وراثى ، واغلب الظن انها قد تقضى على من حملها بالموت ، حتى لا يورثها لغيره ، فهى ـ اى الحياة ـ فى مشوارها الطويل تنتقى الصالح وتحافظ عليه ، وتقضى على الفاسد ، وتسقطه من حسابها ، ويقال ايضا أن سقوط حكم القياصرة فى روسيا كان من ضمن أسبابه هذا المرض ـ مرض النزف الدموى !

وقد يبدو هذا الكلام غريبا .. فما دخل بروتين التجلط أو النزف الدموى بالاطاحة بالنظام القيصرى فى روسيا أو بالنظم الدولية على وجه العموم ؟

الواقع أن للقصة جذورا قديمة ، ولها عوامل عديدة .. فرغم أن مرض النزف الدموى نادر الحدوث بين البشر ، الا أن ذكره مثلا قد ورد فى التلمود ، فلقد نشأت عادة الختان عند

http://nj180degree.com

اليهود من قديم الزمن ، وكان يحدث ان ينزف الطفل عند ختانه حتى الموت ، ومن اجل هذا وضعت فى التلمود احكام تشير الى ان الام التى تفقد ولدين فى عملية الختان من خلال النزف الدموى مسموح لها بعدم ختان الاولاد الذين ستلدهم بعد ذلك ، حتى ولو تزوجت من رجل آخر ، ثم انجبت اطفالا ذكورا .. فى حين ان الرجل الذى يفقد طفلين بالنزف الدموى من زوجته الاولى ثم تزوج بأخرى وانجب منها اولادا ، فلابد من ختانهم .. وهذا يعنى بوضوح ان المراة هى التى تورث هذا المرض لاولادها .. حقيقة عرفها اليهود من قديم الزمن ، ولم يعرفوا مسبباتها ، ومن اجل هذا وضعوا لها الاحكام فى تلمودهم !

الغريب فى الموضوع هنا ان المراة قد تحمل فى مكوناتها الوراثية بذور مرض النزف الدموى ، لكنها لا تصاب به اذا ما تعرضت فى حياتها للجروح ، فاذا تزوجت وانجبت صبيانا وبناتا ، فان المرض يورث للاولاد دون البنات .. والواقع ان البنت بدورها تحمل من امها هذا المرض ، لكنه لا يظهر فيها !

وقد تتساءلون بدهشة اصدقائى الذكور وتقولون : لماذا هذا التحيز الغريب من الحياة لانائها دون ذكورها ؟

لان الانثى اقوى وراثيا من الذكر .. بمعنى آخر نقول : ان الحياة قد منحتها فى تكوينها الوراثى « اكسسوار » ـ اى قطعة غيار او بديل ، ولم تمنحها للذكر ! ..

فماذا يعنى هذا بحق السماء ؟ !

يعنى ان الجينة او المورثة الموجودة على الكروموسوم السينى المحدد للجنس اذا اصابها الخلل او الخطا او الضمور ،

فلن تحدث الكارثة بالنسبة للانثى .. فهناك كروموسوم سينى آخر يحمل نفس الجينة المسئولة عن انتاج بروتين تجلط الدم .. وهكذا ـ وببساطة ـ اذا توقفت هذه ، اشتغلت تلك بدلا منها ، وليس محتملا ان تفسد المورثتان فى وقت واحد ، ولهذا فمن النادر جدا ان يظهر النزف الدموى فى النساء ، ويقال انه لم تسجل غير حالة واحدة فى التاريخ ، وهذه لا يعتد بها على اية حال !

يختلف الوضع بالنسبة للذكر ، لانه يحمل فى تكوينه س ص .. الكروموسوم السينى بالتاكيد حمله من امه فى تكوينه ، والكروموسوم الصادى بالتاكيد من ابيه .. لكن س الانثوى له السيادة على ص الذكرى وبكل ما حمل فى تكوينه من جينات او مورثات اخرى بجوار المورثات المحددة للجنس طبعا .. وقد تكون المورثات الخاصة ببروتين التجلط ـ على الكروموسوم س ـ ضامرة او بها عطب ، وبالتاكيد لن تشتغل ، ولا يستطيع الكروموسوم الصادى الذى ورثه عن ابيه فى عملية التلقيح والاخصاب ان يفعل شيئا فى مثل هذه الازمة الوراثية الخطيرة ، فليس عليه المورثات الخاصة بتكوين بروتين تجلط الدم .. وهنا يظهر النزف الدموى على الذكور دون الاناث فللانثى اثنان محترمان .. اى كروموسومين كبيرين ، وللذكر منهما واحد ، والآخر به ضمور ، .. وبالضبعة البخت عند عالم الذكور !

لكن ليس من المحتم ان تنجب الام الحاملة لهذا المرض الخطير كل اولادها مصابين بهذا الداء ، بل تأتى منهم نسبة سليمة ، ونسبة اخرى تحتضن الخطا فى تكوينها ، ذلك ان البويضة التى تفرزها الانثى قد تحمل فى تكوينها الكروموسوم السينى الخاطىء او السليم ـ لان لديها كما ذكرنا ـ س س (واحد السينين يظهر بالتاكيد فى البويضة) فان

http://nj180degree.com

كانت الموروثات الخاصة بالتجلط على الكروموسوم السينى فيها عيب ، ظهر العيب فى الولد ، وان كان سليما ، جاء الولد سليما !

لكن النزف الدموى لا يظهر فقط عند حامليه بواسطة الجروح التى قد يتعرضون لها ، بل قد تسببه كدمة او ضربة قوية تؤدى الى تهتك فى الشعيرات الدموية ، فيؤدى ذلك الى نزيف داخلى .. كذلك يحدث النزيف ايضا فى المفاصل والعضلات والاغشية المبطنة للفم والامعاء والاعضاء التناسلية ، او قد يأتى من اصابة ميكروبية .. لكن حمدا لله ان العلم قد توصل الى تصحيح اخطاء الطبيعة مؤقتا ، وذلك بنقل فصيلة من دم انسان سليم الى المصاب بالنزف الدموى ، فتقوم بروتينات تجلط الدم المنقول بعمل الترميم اللازم فيما تهتك من خلايا وانسجة ، هذا ومما يذكر ان العلماء قد توصلوا الى تحضير مسحوق ابيض مجهز من دم الخنازير ، ويحتوى على البروتينات التى تساعد على التجلط ، وهو هنا اقوى فى مفعوله من مفعول نقل الدم بحوالى عشرين مرة ، لكن المسحوق لا ينفع الا مرة واحدة ، وقد يتوصل العلم الى استنباط دواء ينفع فى كل الازمات !

ومن أمثلة مرض نزف الدم الوراثى الواضحة فى التاريخ حالة الملكة فيكتوريا (١٨١٩ – ١٩٠١) ملكة انجلترا ، فلقد كانت تحمله فى تكوينها ، وطبعا لم يشكل خطرا على حياتها ، وانجبت خمس بنات ، واربعة صبيان .. بنتين منهن – آليس وبياتريس – حملتا هذا العيب الوراثى دون ان تحملا له هما ، وحمله احد الاولاد المدعو ليوبولد ، وتزوج ، ولكنه مات وعمره لم يتجاوز ٣٣ عاما ، وترك بنتا تحمل بذور المرض ، وولدا سليما ، ثم تزوجت البنت واسمها الاميرة آليس من ايرل اوف آثلون ، وانجبا ثلاثة : بنتا سليمة ،

وولدين احدهما مات بالنزف الدموى بعد الولادة ، والثانى مات وعمره ٢١ عاما !

اما الاميرتان آليس وبياتريس فقد تزوجتا ، ونقلتا بذور المرض الى بعض احفادهما عن طريق البنات الى العائلتين المالكتين فى كل من روسيا واسبانيا .. والغريب أن وريثى العرش فى الدولتين كانا يحملان اعراض النزف الدموى عن طريق امهما فيكتوريا يوجينى واليكساندرا .. ويقول آشلى مونتاجو فى كتابه « الوراثة البشرية » ان هذا المرض كان من الأسباب التى اطاحت بالعروش فى روسيا واسبانيا .. ذلك ان اليكساندرا – قيصرة روسيا وزوجة القيصر نيقولاس الثانى قيصر روسيا كانت تحمل اعراض المرض من امها الاميرة آليس ، ونقلته الى ابنها الوحيد وريث العرش اليكس ، رغم انها قد انجبت اربع بنات لم تحمل واحدة منهن موروثات المرض ، وعندما علمت القيصرة، بأن وريث العرش ، وفلذة كبدها مصاب بهذا الداء، اصيبت بصدمة نفسية عنيفة ، ولجأت الى طلب المعونة من العرافين والمتنبئين والمشعوذين والدجالين ، حتى وقعت فى حبائل راسبوتين ، الذى ادعى انه سيصنع المعجزات لانقاذ وريث العرش ، ثم اصبح لهذا الدجال الحظوة والمكان المرموق عند القيصرة ، فأثار القيل والقال شعور الملايين من أفراد الشعب ، واحسوا بضعف القيصر وتبذل القيصرة ، وعفونة البلاط القيصرى ، وما يجرى فيه من فسق وفجور – خصوصا على يدى راسبوتين الذى سيطر على الجميع بحيله البارعة من أجل شفاء وريث العرش من مرضه الخطير ، وكان هذا من ضمن الاسباب القوية التى اطاحت بحكم القياصرة الى الابد بعد أن قامت الثورة الروسية بقيادة لينين !

ومن المؤكد والحال كذلك ان الولد ابن امه ، أو « الولد لخاله » كما يقولون ، لانه يحمل من صفات امه اكثر مما

http://nj180degree.com

يحمل من صفات ابيه ـ صحة كان ذلك أو مرضا .. ويكفى ما قدمناه من معلومات عن مرض النزف الدموى الذى قد تحمله البنات والاولاد من أم مصابة به ، فلا يظهر فيها ولا فى بناتها ، لكنه قد يظهر فى الذكور ، وبه قد يموتون .. ذلك ان البنت اقوى وراثيا من الولد !

ومن الامراض الخطيرة ايضا ـ والتى لها علاقة بكروموسوم الجنس « س » الانثوى نذكر مرض ضمور العضلات الذى يؤدى الى الشلل ـ وهو غير شلل الاطفال الناتج من فيروس ، والذى يصيب الاولاد والبنات على السواء ـ لكن هذا المرض الوراثى لا يصيب الا الذكور ، فعندما ما يبداون المشى فى سنى الحياة الاولى يظهر ضمور عضلات الساقين بالتدريج ، حتى اذا بلغ الصبى العاشرة من عمره ، يصبح كسيحا ، ولا يقوى على الوقوف ، ولهذا يقضى المرحلة الاولى من عمره وهو يزحف أو ينتقل على كرسى متحرك ، ثم يرى ضمور العضلات فى البقية الباقية من جسمه الى ان يموت بعد سنوات قليلة ، ويعنى هذا انه لا يعمر حتى يبلغ مبلغ الرجال أو يتزوج ليخلف ذرية !

ولماذا لم يختف المرض ـ اذن ـ مادام فيه القضاء على الذكور المصابين به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال ؟

ذلك أن المرض ينتقل خلال الاناث ، ولا يظهر فيهن على الاطلاق ، فاذا تزوجن وجاءت لهن ذرية من صبيان وبنات ، ظهرت فى نسبة من الاولاد ، وقضت عليهم بالموت ، فى حين ان البنت قد تحمله ، وتعيش به ، ثم تورثه للاجيال القادمة عن طريق كروموسومها السينى الذى قد يحمل فى طياته الخير ، وقد يحمل الخراب والدمار للذكور !

ويأتى بعد ذلك مرض آخر من امراض الحساسية ، ليصيب الاولاد « بالقرف » دون البنات . . يعنى ان لديهم حساسية

خاصة لانواع من الغذاء والدواء .. من ذلك مثلا المرض المعروف باسم « الفولية » ، ويظهر اساسا بين سكان حوض البحر الابيض المتوسط الذين يعيشون على وجبات من الفول .. ففى الفول بروتين خاص يسبب حساسية رهيبة للذين يحملون هذا الداء الوراثى الناتج عن مورثة « متنحية » أو ضامرة أو غير ذات مفعول على الكروموسوم السينى الخاص بتحديد الجنس عند الاناث ، فاذا انتقل هذا الكروموسوم بما حمل الى المولود الذكر ، ظهر فيه المرض ، واذا انتقل الى المولودة الانثى كان لها ما يعوضها على الكروموسوم السينى الآخر فلها كما ذكرنا منهما اثنان ـ س س .. فيحمل هذا ما غاب عن ذاك !

والواقع ان مرض الحساسية هذا neonatal juandice يظهر على الاطفال بعد الولادة ، ثم يستمر معهم فى مراحل العمر المختلفة ، وهو نتيجة حتمية لغياب أو ضمور مورثة تقوم بالتخطيط الوراثى لتكوين خميرة أو انزيم نطلق عليه اسم « ج ٦ ف د » ـ اختصار لاسم علمى طويل ـ جلوكوز ـ ٦ ـ فوسفات دى هيدروجينيز ، وهو انزيم هام فى العمليات الحيوية التى تتم فى اجسامنا ـ المهم ان ينتقل من الام الى نسبة من أولادها .. لكنه لا يظهر فى الاناث ، رغم انهن له حاملات ـ دليل آخر يؤكد تفوقهن الوراثى علينا نحن معشر الذكور !

حتى عمى الالوان له جذور وراثية على كروموسوم الجنس السينى أو الحريمى ، وله انواع كثيرة ومتباينة ، فهناك حالات نادرة من عمى الالوان لا يستطيع المصابون بها ان يميزوا الالوان على الاطلاق ، الا ان الغالبية العظمى من حاملى هذا الخطأ لا يستطيعون التمييز بين اللون الاخضر والاحمر ـ والغريب أن هذين اللونين بالذات يوجدان فى اشارات المرور ، وقد تحدث

http://nj180degree.com

الكوارث او الحوادث اذا كان السائق مصابا بهذا النوع من العمى اللونى !

لكن كل هذا لا يهمنا بقدر ما يهمنا ان نعرف ان نصيب الذكور من هذا النقص اضعاف نصيب الاناث ، فبين كل الف من الذكور يظهر عمى الالوان فى ثمانين فردا ، فى حين ان النسبة فى الاناث لا تتجاوز ثلاثا او اربعا بين كل الف منهن !

والواقع ان عمى الالوان لا يظهر فى البنت الا اذا كان والداها مصابين بهذا الداء .. وهذا امر نادر الحدوث .. لكن لابد ان نعرف ان اباها قد ورث عمى الالوان من امه ، لانه ينتسب اليها فى هذا الامر اكثر مما ينتسب الى ابيه ، فلقد انتقل اليه الكروموسوم السينى بالتأكيد من امه وعليه ـ اى على س ـ تقع مسئولية هذا الخطأ ، اما الام فلابد ان تكون حاملة لكروموسومين عليهما الخطأ الوراثى نفسه .. وهنا يظهر عندها العمى اللونى ، وهذا ايضا امر نادر ـ لكن يكفى ان تكون الام حاملة لبذور هذا المرض (دون ان تظهر عليها اعراضه) ، وفى تلك الحالة ينقل الى نسبة من اولادها ، ولا تورثه لبناتها ، لان البنت هنا تنتسب فى هذا المجال الى ابيها ، وما دام الاب سليما ، فان ذلك يعنى ان امه سليمة ، ذلك انها اعطته الكروموسوم السينى السليم ثم نقل الاب هذا الكروموسوم بعد ذلك الى ابنته !

لكن مما لا شك فيه ان موضوع الوراثة مثير ومتشعب وعويص ، وهو ـ يحتاج من القارىء العادى الى المام بالمبادىء العلمية والوراثية ، لكن فيما قدمنا الكفاية ، لنضع النقط فوق الحروف ونقول : ان الانثى تسود على الذكر وراثيا !

وحقيقة خامسة اكتشفت حديثا تؤكد لنا ان الاصول الوراثية فى الانثى اكفأ منها فى الذكر .. فهناك فصيلة من

الدم يطلقون عليها س ج (او Xg) ، ويعنى هذا ان تلك الفصيلة لها مورثات على الكروموسوم س الانثوى ، لكنها ليست موجودة على الكروموسوم ص الذكرى .. وبهذه الفصيلة تسود الاناث علينا ، ذلك انها تنتقل من الام الى اولادها وبناتها على السواء ، بغض النظر عن الفصيلة الدموية للاب ـ يعنى اننا منتسبون الى امهاتنا بتلك الفصيلة ، ولا فضل للاب فيها ، حتى ولو كان حاملا لها ، فاذا حملها ، فانها لا تنتقل منه الى الاولاد على الاطلاق بل يعطيها لبناته ، بعد ان يكون قد اخذها من امه !

ويبدو ان الحياة قد اتخذتنا نحن معشر الذكور « قنطرة » او « بردعة » وراثية لتعبر عليها الطريق ، وتحمل معها من خلال تكويننا الجسدى بعض صفات الانثى الوراثية الكامنة على كروموسوميها المحددين للجنس عندها .. انها تعطينا منهما واحدا ، لتسترده بعد ذلك فى بناتها او اناثها .. ففى كل خلية من خلايا اجسام الذكور يوجد الكروموسوم السينى ، ولقد جاء بالتأكيد من الام خاصة ، والانثى عامة ، فاذا انتقل منا الى بويضتها عن طريق الحيوان المنوى ، ظهرت الانثى من جديد ، وهذا يعنى بالتأكيد ان احد مكوناتنا الهامة قد جاء اساسا من الانثى ، ولا بد ان تستردها مرة اخرى فى بنات جنسها .. وكأنما الانثى هى الاصل ، ونحن ـ معشر الذكور ـ بمثابة الفرع ، او كأنما هى التى ظهرت اولا ، وجئنا نحن بعد ذلك ، وهذا ـ بلا شك ـ يتنافى مع فكرتنا عن نشأة الخلق !

وايا كانت الامور ، فعلينا ان نعترف ان الانثى اقوى باطنا ، واضعف ظاهرا ، لكن الباطن اكثر واقعية من الظاهر ، فقد تورثنا الانثى بعض صفاتها الوراثية المحمودة ، وقد تورثنا عكس ذلك .. فنحن تحت رحمتها .. فان كانت خيرا جاء الخير ، وان كانت شرا اصابنا الشر ، لكن هذا الشر لا ينتقل فى

http://nj180degree.com

البنات الا نادرا ، ومن هنا تتبين لنا الحكمة العظيمة فى قول الرسول الكريم « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .. وهذا مبدأ وراثى حكيم تتضح لنا احكامه فيما سبق ان قدمناه !

يضاف الى ذلك وجود بعض امراض وراثية ليست مرتبطة بكروموسوم الجنس ، بل تأتى من الكروموسومات الاخرى التى تحدد صفاتنا الوراثية .. من ذلك مثلا داء الملوك او النقرس ، الذى يؤدى الى احداث التهابات رهيبة فى المفاصل نتيجة لترسب بلورات حامض اليوريك (uric acid) بينها ، لكن النقرس يظهر عادة بين الذكور ، ولا تجد له عند الاناث مثيلا !

ومن النادر جدا أن تجد انثى قد اصابها الصلع الوراثى ، واذا حدث - لاقدر الله - فان تساقط شعرها او صلعها الخفيف يتأتى من عوامل اخرى غير وراثية .. لكن الصلع كان من نصيبنا نحن معشر الذكور ، وهو ينتقل الينا عن طريق الام او الاب او كليهما .. فاذا حملناه نحن ، اصابنا الصلع ، واذا حملته الانثى ، لا يظهر عليها ، ويقال ان صلع الذكور - كما تشير دلائل كثيرة - يتأتى من تأثير الهرمون الجنسى الذكرى (التستستيرون) على بويصلات الشعر فيصيبها بالبوار ، وكلما زاد تركيز الهرمون ، زاد الصلع ، وهذا يعنى بطريقة أخرى ان الاصلع مخلوق يمتاز بقوة او رغبة جنسية يحسد عليها ، او لا يحسد - لسنا ندرى !

ويبدو أن الامراض التى تصيب الذكور اكثر من الامراض التى تصيب الاناث ، فمن احصائية بيولوجية - ضمن تقارير خاصة تنشرها تباعا هيئة الصحة والتعليم بالولايات المتحدة ، وتشير فيها الى معدل الامراض المختلفة التى تصيب الجنسين - يتبين - بما لا يدع مجالا للشك - أن نصيبنا منها اعلى من نصيبهن .. فمن بين ٣٨ مرضا مذكورا فى احد هذه

التقارير يتضح ان لنا من هذه الامراض نصيب الاسد ، ولهن منها نصيب النعجة .. اى ان الرجال والاناث قد يصابون بالمرض نفسه ، الا ان معدل الوفيات من هذا المرض بين الرجال يفوق معدله بين النساء .. بمعنى آخر تذكر الاحصائية أن من بين الثمانية والثلاثين مرضا ، يموت الرجال بمعدلات اكبر فى ٣٣ - ٣٤ مرضا ، فى حين ان النساء يمتن بمعدلات اكبر فى ٤ - ٥ امراض !

كذلك يذكر تقرير آخر نشره مونتاجو فى كتابه « مقدمة الى علم الانثروبولوجيا الطبيعية » (وهو علم يبحث فى اصل الانسان) . وفيه يذكر سيادتنا على النساء فى نواح ليست فى صالحنا نحن معشر الذكور .. المهم انها سيادة والسلام ، لعل ذلك يرفع من معنوياتنا بعد ان رأينا كيف تسود علينا الاناث وراثيا .. نحن نسود على النساء مثلا فى الذبحة الصدرية بخمسة اضعاف ، فبين كل خمسة من الرجال يصابون بالذبحة ، نجد انثى واحدة تصاب بها ، ومن بين كل ثمانية ذكور يصابون بقروح فى الجهاز الهضمى ، تصاب واحدة ، وكذلك النسبة نفسها فى سرطان الجهاز التنفسى (نتيجة للتدخين) ، وبين كل ١٦ يصابون بالدوزنطاريا الاميبية نجد انثى واحدة تصاب بها ، ونحن نسود عليهن فى قصور الدورة التاجية للقلب وتليف الكبد ومرض الاسقربوط وتصلب الشرايين ونزيف المخ والشلل الرعاش والتخثث الكاذب ، والتهاب البنكرياس الحاد وداء الملوك وضمور العضلات والنزف الدموى وعمى الالوان .. نسود فى هذا كله عليهن باضعاف مضاعفة قد تصل الى عشرة او عشرين او خمسين او حتى مائة ضعف ، هذا بالاضافة الى ثلاثين مرضا اخرى نسود فيها عليهن بحوالى مرتين او ثلاث - فى حين انهن يسدن علينا فى ٢٥ مرضا .. من اهمها فقر الدم الذى يصيب الفتيات المراهقات (نوع من الانيميا chlorosis) والصداع

http://nj180degree.com

النصفى للرأس والخرب (مرض جلدى ناشىء عن قصور الغدة الدرقية) ويتميز بجفاف الجلد وبفقدان النشاط العقلى والجسدى والسمنة ولين العظام (نتيجة للحمل) والحمى الروماتيزمية ـ اما البقية الباقية من امراضهن فالفرق بيننا وبينهن قد لا يعتمد عليه ، او لا يزيد عن ضعفين او ثلاثة !

ملخص القول : أن الانثى تختلف اختلافا جوهريا عن الذكر ، فى الصحة والمرض ، وتسود عليه ورائيا ، وتحرق نفسها فى حياتها ابطأ من الذكر ، وتصاب بأمراض اقل من الذكر ، ولهذا تعمر أطول من الذكر !

وهكذا شاءت الحياة وقدرت .. من قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان !

صراع الذكور .. والسبب أنثى !

الجنس يشتعل ، والمعارك تدور ، والضحايا من الذكور !

قانون ازلى وضعته الطبيعة لذكورها دون اناثها ، وكأنما هى تقدمهم أمام « قومسيون » طبى عام ، ولكن بدون اطباء ، ومع ذلك فان احكام هذا القوميسون تؤدى ببساطة الى اختيار الذكر المناسب لتقدمه الى الانثى بعد أن يتخطى بجدارة عوائق الامتحان !

لكن .. كيف يتم الاختيار ثم الاختيار ؟

عن طريق فكرة بسيطة للغاية .. الا ان الفكرة تنطوى على تحيز واضح للانثى دون الذكر .. وهذا امر محزن لنا نحن معشر الذكور !

فالذين درسوا الطبيعة الحية ، وشاهدوا احكامها ومبادئها ، يقدمون لنا معلومات مثيرة ، وحقائق غريبة ، عن معارك رهيبة تقوم بين الذكور من اجل الاناث ، وكأنما هى قد جعلت بأسهم بينهم شديدا ، فسلطت بعضهم على بعض ، وارست بينهم قواعد التنافس والصراع ، ليقوموا بعمل تصفية نهائية كالتى نسمع عنها فى مباريات الدورى العام .. الا ان هذه من اجل بطولة او كأس ، ولكن التصفية الحقيقية بين الذكور تكون اساسا من اجل الفوز بأنثى .. فمن انتصر فى المعركة ، كانت له «حلالا» ، ومن خسرها ، فلا بد أن ينسحب ويتوارى عن الانظار ،

http://nj180degree.com

او فليبحث له عن معركة أخرى ، وانثى اخرى ، او فليدفن نفسه فى الطين !

قانون قاس ذلك الذى يقدم الذكور قربانا على محراب الجنس والحياة ، وكأنما الطبيعة هنا تضحى بذكورها وتحافظ على اناثها .. فالانثى بالنسبة للحياة مرغوبة ، والذكر « مفقود » ، ولهذا فمن العار ان تعرضها لما لا تحب وترضى .. فهى اثمن وارفع من ان تدخل فى صراع مع انثى اخرى من أجل خاطر ذكر (١) ، وكأنما هو لا يستحق هذه التضحية ، وعليه ـ لكى يفوز بالحب ـ أن يضحى ويتصارع حتى يتبين الغث من الثمين .. او الضعيف من القوى ، فالحياة تريد ان تقدم خير ما انتجت لاناثها ، ولن يحدث ذلك الا بتنافس وتضحية واجبة الاداء ، يكون للذكور فيها الاصابات والعاهات والموت ، أما الاناث فلها الصون والاعزاز !

ولهذا اذا صادفت ذكرين يتطاحنان ، فابحث عن الانثى ، فربما تكون واقفة غير بعيد من ميدان الصراع لتشهد هذا القتال الدائر من أجل خاطرها .. فالحياة تريد أن تنتقى الصالح ، وتقضى على الطالح « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » !

فمن الصدف العجيبة حقا أن تحدث أمامنا فى شارع واحد معركتان ، والابطال فيهما بشر وكلاب .. ولكننا لا نعنى أن المعركتين تدوران بين هؤلاء وهؤلاء ، بل كانت احدى المعركتين بين ذكور بنى الانسان ، والاخرى بين ذكور الكلاب ، والدافع لهما أنثى .. نعنى فتاة وكلبة !

---

(١) يستثنى من ذلك أنثى الإنسان ، فهى أحيانا تتصارع مع أنثى غيرها من أجل خاطر ذكر .. ولاحكم على الشواذ .

ومعارك البشر غالبا ما تتسم بالتهور الذى يؤدى الى مالا يحمد عقباه ، ولقد كانت معركة الفتيان من بنى الانسان رهيبة ، اذ استخدمت فيها الحجارة والطوب والزجاجات والعصى والسكاكين ، وسالت فيها دماء غزيرة ورخيصة .. دماء الذكور طبعا ، وكان الدافع لها فتاة لعبت بعقول ذكور البشر ، لكن لاتهمنا هنا تفاصيل المعركة ولا أسبابها بقدر ما يهمنا ان نعرف ان الفتاة بقيت فى بيتها مصونة ، وراح الاغبياء ضحايا .. وما اكثر المعارك التى تقوم بين ذكور البشر من أجل الاناث بحيث اصبحت مادة دسمة للصحافة ، وعبئا ثقيلا على اقسام الشرطة والنيابة والمحاكم !

يكفى فقط أن تتعرض الانثى لكلمة جارحة ، او معاكسة عابرة ، فتفور دماء الذكور ، وتنطلق فيها هرمونات اخرى غير هرمون الجنس .. اذ ان لكل هرمون وظيفة محددة ، ووقت معلوم ، وليسنا هنا فى مجال الحب والغرام ، ولكننا داخلون الى ساحة المعركة والنزال ، ولهذا تقوم الغدة الكظرية (او الغدة فوق الكلية) بافراز بعض هرموناتها وصبها فى تيارات الدماء ، « لتفور » اكثر وتدفعنا لخوض معركة بمجهود اكبر ، وقد يقع فيها الجرحى والقتلى وتفتح لنا فى « دوسيهات » المحاكم والسجون صحيفة سوابق .. كل هذا لأن الانثى قد اهينت ، ولم نتحمل نحن الاهانة ، واهانتها تساوى الدم .. دم الذكور لا دم الاناث ، وتبقى هى فى مكانها لتذرف الدموع ، او تطلق الضحكات على هبالة الذكور .. ولهذا يقولون فى ساحات الشرطة واروقة النيابة والقضاء « ابحث عن الانثى » .. فربما كانت هى الدافع الحقيقى لكل ما حدث ويحدث وسيحدث الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، والى هنا نستطيع ان نقول ان النساء هن اللاتى يفعلنها ، ويقع فيها المهابيل ذوو التهور والجسارة .. فالرجال للمعارك ، فان لم يتعاركوا كالديوك فعليهم اللعنة !

http://nj180degree.com

تلك اذن لمحة سريعة من صراع عابر فى مجتمعات البشر ، وانت او غيرك يستطيع ان يكتب مجلدات كثيرة عن حوادث غريبة ، لنخرج منها بنتيجة وحيدة ، او استنتاج مختصر مؤداه ان نسبة لا بأس بها منا نحن معشر الذكور مغفلون (وهذه النسبة متروكة لتقديرك وبقدر ما صادفت وجربت وادركت مما يجرى فى الخفاء والعلن) ، حتى ولو كره الكارهون ، او احتج ذوو الشوارب المجدولة ، والعضلات المفتولة ، لكن دعنا من كل هذا ، فالكلام فيه غم وهم ونكد ، ولنعد الى المعركة الاخرى .. معركة الكلاب من اجل الكلبة !

لقد كانت كلاب « الحتة » او المنطقة الواحدة تعيش مع بعضها فى سلام ووئام ، لكن صداقتها قد انقلبت الى عداوة وخصام .. والدافع لذلك انثى لعبت لعبتها على الذكور بطريقة اخرى .. صحيح ان الكلبة تريد حبا ، وتطلب جنسا ، لكنها ليست سهلة او « هبلة » .. بل تريد ان تختار من كلاب « الحتة » اعظمها اخصابا ، واكثرها شبابا ، واشدها قوة ، واكبرها فتوة .. وللكلبة كل الحق فيما رسمت وخططت ، ولا غبار عليها فيما تفعل ، فما أكثر الذكور ، لكن ليس كل ذكر ذكرا بالمعنى المفهوم ، وعليها ان تختار ، ولقد عرفت حكمة الاختيار قبل ان تعرفه معظم نساء البشر بزمن طويل ، او حتى قبل ان نظهر نحن على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين !

لقد رأينا ثم رأينا فى الشارع نفسه الذى وقعت فيه معركة الذكور من البشر ، حشدا آخر من ذكور الكلاب يتصارع على انثى واحدة ، وتساءلنا : كيف جمعت الكلبة كل هؤلاء ؟ .. وكيف عرفوا « العنوان » ووصلوا الى حيث تنتظر على ناصية او بجوار صندوق زبالة او فى ركن من خرابة ؟ !

الواقع انها ارسلت « بطاقة » دعوة بطريقة سرية ومثيرة وسريعة .. أسرع بكثير من برقياتنا التى نرسلها من مكاتب

التلغراف ، ثم ندفع فيها ثمنا ، وقد تصل او لا تصل ، وان وصلت ، فربما بعد فوات الاوان .. ثم ان البطاقة « الكلابية » ذات مضمون محدد وواضح ، ولا يفهمها — بطبيعة الحال — الا الكلاب .. صحيح انها لا تقرأ ، ولكنها تستنشق الدعوة بأنوفها ، وتفك رموزها ، وتعرف ان هناك كلبة تطلب جنسا !

بقى ان نعرف ان الكلاب الذكور (وكذلك معظم ذكور الحيوانات الثديية) لا تفكر فى الجنس ، ولا تسعى اليه الا اذا بدأت الانثى فى طلبه ، وعندئذ تتضخم فيها غدة خاصة ، وتنبعث منها رائحة انثوية تنطلق فى الهواء ، وتنتشر فى الأزقة والحوارى والشوارع ، وعندما تستنشق الكلاب هذا العطر الانثوى ، تثور ثائرتها الجنسية ، وتشتعل فيها الرغبة بعد ان كانت نائمة ، وتبدأ فى البحث عن المصدر ، وتوجه نفسها الى الانثى اينما كانت ، فهى هناك بمثابة الهدف ، والكلاب كالقذائف الموجهة ، وجزيئات العطر الجنسى كالرادار الذى يحدد ويوجه ويرشد الضالين الى الهدف او جنتهم الموعودة .. ويمر الوقت ، ويأتى كلب من وراء كلب ، ويتجمع الحشد ، وكل ذكر يمنى نفسه بوصلة جنسية تطفىء لهيبه ، لكن الكلبة لن تعطى نفسها الا « للعظيم » من الكلاب !

اذن .. فلابد من معركة وصراع لعمل تصفية نهائية ، وتقف الكلبة وهى تشهد ما يجرى من أجل خاطرها ، ولا ندرى ان كانت بها سعيدة او شقية ، لكن اغلب الظن انها فخورة بما خططت لها الطبيعة ورسمت .. المهم ان النتيجة ستكون فى صالحها ، وبعد قليل سيتقدم لها اقوى الكلاب لينالها ، وقد تقف البقية الباقية غير بعيدة لتشهد ما يجرى من احداث يسيل لها لعابها ، ولكنها لا تستطيع ان تتقدم لتقضى وطرها ، فلقد شبكت الانثى فى الذكر ، بحيث لا يستطيع منها فكاكا حتى ولو ضربا علقة ساخنة ، وبعدها يفض المهرجان دون دماء .. او محاضر .. او محاكم !

http://nj180degree.com

وما أعجب ـ والحال كذلك ـ الصور التى تتكرر بين بشر وكلاب ، وان اختلفت التفاصيل بين عاطفة هؤلاء وهؤلاء ، وبين سلوكهم ومداركهم ، ومع ذلك فالنتيجة واحدة .. تعنى مزيدا من أجيال الكلاب والانسان وسائر أنواع الحيوان !

لكن قصة الذكور من البشر والكلاب قد تتكرر بطريقة أخرى ، صحيح أن الكلب لا يعرف معنى الجمال ولا التغزل فى قوام الكلبة ولا أناقتها ، أن كان بها أناقة وجمال ، ولكنه يعرف شيئا واحدا ، وبه قد يفقد أهم صفاته .. فتتحول أمانته الى خيانة ، وحرصه الى اهمال ، وعداوته للصوص الى صداقة ، وبهذا لا يستطيع أن يفرق بين العدو والصديق !

القصة التالية قرأناها مصادفة فى احدى المجلات العلمية كدليل حى على الاثر العميق الذى تتركه الانثى على الذكر .. وتتلخص تلك القصة فى أن عددا من اللصوص الاذكياء حاولوا السطو على مجوهرات ثمينة فى أحد قصور أوربا ، لكن محاولاتهم قد باءت بفشل ذريع بفضل عدد من كلاب الحراسة المنتشرة فى أماكن استراتيجية من حديقة القصر ، فما أن يظهر اللصوص بالقرب من السور ، حتى ينطلق نباح الكلاب عاليا مدويا لينبه أصحاب القصر بما يجرى فى الخارج !

فماذا يفعل اللصوص لتخطى هذه الازمة العويصة ؟ .. هل يقتلون الكلاب ؟ .. وسيلة غير عملية ولا حكيمة .. هل يقدمون لها طعاما كرشوة ؟ .. غير ممكن ، لان الكلاب تكمن فى أماكن لا يصل اليها الطعام ، كما انها شبعانة بخيرات اصحابها ، ثم هى لا تخون من أجل وليمة !

لم يبق أمام اللصوص ـ اذن ـ الا أن يستخدموا سلاحا نتيجته مضمونة .. وليس هناك من وسيلة تلهى الكلاب وتكسر

شوكتها الا الانثى .. نعنى الكلبة ، لكن من السذاجة أن يأخذوا معهم كلبة ، ويقدمونها الى الكلاب لتجمعهم حولها ، وبهذا تنسى الذكور مهمتها وتيسر للصوص مهمتهم ، صحيح أن مثل هذه الامور قد تنفع مع ذكور البشر ، ولكنها قد لا تنفع فى حالتنا .. فلقد توصل اللصوص الى فكرة خبيثة وعلمية ، واستطاع أحدهم أن يعطر نفسه بالرائحة الانثوية الجنسية التى تفرزها غدة كلبة تطلب جنسا ، وتقدم اللص ووقف فى مكان مناسب من سور الحديقة ، بحيث اذا هبت النسمات ، فانها تأخذ معها الرائحة وتنشرها بين الكلاب .. ولقد حدث بالفعل ما توقعوا ، اذ بدأت الكلاب تتحرك نحو مصدر الرائحة ، ووقفت تهز ذيولها وهى فرحة نشوانة بهذا الزائر المثير ، وأخذت تطوف حوله ، وتتمسح بملابسه ، وكأنما هى تطلب القرب والوصال ، وربما كانت الكلاب وقتها تحدث نفسها وتقول « لا يمكن أن يكون هذا الواقف أمامنا كلبة تطلب جنسا ، لكنه يحمل اثرا من المحبوبة ، ولهذا فمرحبا به وألف مرحب ، فلقد أسكرنا بعطره السحرى ، وملأ دنيانا بهجة وحبورا » .. المهم أن الكلاب ظلت تتبرك به ، وضربت بواجباتها عرض الحائط ، وكأنما العطر الجنسى قد ملك عليها نفسها وحياتها ، مما يسر لبقية اللصوص مهمتهم ، ونهبوا الجواهر وانطلقوا ، ثم لحق بهم صاحبهم ، والذكور تودعه بما يستحق من حب وتودد وحفاوة ، وهكذا لعبت هذه « التكنولوجيا » لعبتها مع الذكور ، فحولت نباحها الى صمت ، وأمانتها الى خيانة .. وهى فى كل ما حدث لا شك معذورة !

لكن هناك « تكنولوجيا » أخرى بشرية تسير على الفكرة ذاتها ، وان اختلفت التفاصيل بين ما يجرى فى عالم الكلاب والبشر .. فمن الممكن أن يقضى بعض ذوى النفوس الضعيفة حاجتهم عند ذوى المراكز الكبرى بأنثى جذابة ، وعلى قدر كبير من التدلل والجمال والاثارة ، وذكور البشر هنا يختلفون عن ذكور

http://nj180degree.com

الكلاب ، فحيث تثير رائحة الكلبة ذكورها ، يثار ذكور البشر بمؤهلات انثوية خاصة ، مثل النظرة الناعسة ، والكلمة الناعمة ، والابتسامة النائمة ، وتعبيرات الوجه ، وحركات الجسد .. الخ ، اى ان الانثى هنا تستخدم تكتيكا آخر ينتقل عن طريق الاذن والعين واللمس .. لا عن طريق الانف كما هو الحال عند الكلاب ، لكن لا مانع ان تعطر انثى البشر نفسها بعطور لا دخل لغددها فيها .. ومع ذلك فهى تجذب احيانا انوفنا ، وتدور رقابنا ، « وتبحلق » عيوننا بحثا عن صاحبة هذا العطر الجذاب ، لكن تأثيره علينا لا يرقى الى مستوى الكلاب ، ولو كان ، لدفع ذكور البشر فى ذلك الجزء الاكبر من ميزانياتهم ، ولكن حمدا لله انه ما كان !

والواقع ان الانثى الجميلة لها عند معظم الذكور حظوة كبرى ، لدرجة انهم قد يعبرون احيانا عن ذلك ويقولون : ان جمالها يفتن العابد .. اى انه قد يتخلى عن عبادة ربه ، ويضعف امام الجمال الفتان .. لكن دعنا من العابد وما يعبد ،ولنرجع الى من يسيل لعابهم ، ويستجيبون للجميلة بما تحب وترضى .. فاحيانا ما يتنازلون عن عروشهم من اجل المراة ، او قد يفشون اسرار بلادهم فى ساعة ضعف امام الانثى ، او تنشر الاخبار العالمية فضائحهم (مثل بعض وزراء بريطانيا) ، او قد لا تتعدى الامور لاكثر من طلبات محددة ، كان تأمر الانثى ذكرها : انقل فلان الى وظيفة كذا ـ حاضر .. علان يطلب ترقية .. تحت امرك ياست هانم .. اخرب بيت س ـ طلبك مجاب يا سيدتى الجميلة .. ص دمه ثقيل ـ سانقله من اجل خاطرك الى جبال واق الواق ياست الحسن والجمال .. وبالضيعةالذكور وبالخيبةالرجال ، او ان شئت الدقة فلنقل : هذا الصنف من الرجال ، ومع ذلك فلنترك نسبة من يقاوم منا الاغراء لتقديرك ، فلا شك انك ادرى منا بذلك !

والى هنا يظهر لنا كيف تتحول قوة الرجال الى ضعف ، وضعف النساء الى قوة .. والانثى ـ بالعقل والذكاء والتخطيط والانوثة والمؤهلات الاخرى ـ تستطيع ان تفعل ما تريد او تحكم فيمن تشاء .. وقد لا تظهر على مسرح الاحداث فتمسك فى يدها فاسا او ساطورا او خنجرا او نبوتا كما يفعل المتهورون من الذكور ، بل هى فى الواقع ترسم ، وغيرها ينفذ .. « اللهم ارنهن علينا ، واجعل كلامنا عليهن خفيفا » !

لكن .. علينا الان أن نترك ما يدور فى عالم البشر ، لانه عالم معقد فى سلوكه وحياته وانماط تفكيره ، نتيجة لتطور مراكز الادراك فى مخه ، حيث اصبح لكل واحد وواحدة منا تاريخ يختلف عن الاخرين .. كما تختلف بصمات اصابعنا وشخصياتنا ، فلا تتكرر ابدا ، ولنتعرض لصور ابسط من السلوك الحيوانى الذى يجرى فى الطبيعة بين الذكور !

• • •

تنتشر المعارك بين الذكور انتشارا واسعا فى الغابات وبين الاعشاب وفى الجحور والانهار والبحار وقمم الاشجار والاحراش وما شابه ذلك ، لكن هذا الصراع الدائر بينها قد لا يكون من اجل الانثى فحسب ، بل يتعداه الى امور الملكيات الخاصة .. بمعنى ان الكثير من انواع الحيوان تحدد لنفسها مناطق معينة من الماء او الارض او الغابة لتصبح وطنها المقدس الذى تصول فيه وتجول ، حتى اذا احست بدخيل يريد الاعتداء على ملكيتها ، كانت المعركة .. لكن ابطالها وصرعاها غالبا من الذكور .. تماما كما هو الحال عندنا نحن معشر ذكور البشر ، الا ان ذلك موضوع طويل نرانا فى حل من التعرض له هنا ، وعلينا ان نعود فنقدم صراع الجنس بين الذكور فى عالم الحيوان .

بين الاعشاب تسير الانثى وتتهادى باستحياء ، او بغير استحياء ، فليس ذلك مهما الان ، لكن المهم ان يعترض طريقها

http://nj180degree.com

ذكر ، ويحاول مغازلتها والتودد اليها ، هذا بالرغم انه على اغتصابها بقادر ، ولكنه لا يفعل الا اذا حدث القبول والرضا ، وقد يكون حظه نكدا اذا تقابل ـ وهو يسير بفتاته ـ مع ذكر آخر يطلب بدوره القرب والوصال ، وهنا يتوقفان وكأنما كل ذكر يدرس الآخر ، استعدادا للنزال ، وتنزوى الانثى جانبا ، وتنتظر نتيجة المعركة التى لو اطلعنا عليها ، لعرفنا كم الانثى غالية ، او كم هو عنيف ذلك الدافع الغريزى الذى يكوى الذكور ، فيستهينون بكل شىء فى سبيله .. حتى الممات !

ويقترب الذكر من صاحبه ، وكأنما الذى كان بصحبته الانثى يوحى لغريمه بالاشارة ،وكأنما يقول « لقد وجدتها بعد كد وتعب، فلماذا تعاكسنى ، وتعترض طريقى » ؟ . . وكأنما الآخر يجاوبه قائلا « عليك اللعنة .. الا تعرف شيئا عن ناموس الحياة ؟ .. ان هذه الغالية(يقصد الانثى) ثمنها كبير ، ولا استحقها او تستحقها الا بالتضحية والدم .. ولتكن بيننا ـ اذا ـ معركة، فمن انتصر فيها نالها .. هل قبلت التحدى ؟ .. فاذا لم يعجبك قولى ، فعليك ان تنزوى وتختفى ، او لنحسم الامر ، ولا تضيع وقتى ، فغريزة الجنس تكوينى ، ولا شىء غير المعركة يكفينى » !

ويحسم الامر بمعركة ، ويستخدم فيها سلاح من نوع غريب .. امتلكته الذكور دون الاناث ، وهنا يلعب « التكتيك » الحشرى ، والقوة والشجاعة دورا فعالا فى تلك الحرب النفسية !

لكن ماذا نعنى بهذا التكتيك الذى وصفناه بصفة (الحشرى) ؟ !

نعنى ان الذى تقوم به حشرة .. فالحشرة تحب كما نحب ، وتعامل ذكورها اناثها ربما أفضل من معاملتنا لاناثنا ،

وتعرف قيمتها على قدر ما ادركت .. فالذى يتصارع الآن على مسرح الاحداث خنفس وخنفس .. ليس خنفسا بشريا ، بل حشريا .. فالخنافس البشرية لا تتحلى ـ فى معظم الاحيان وعلى قدر علمنا ـ بروح الكفاح والشجاعة والبطولة التى تتحلى بها ذكور الخنافس الحشرية ، او غيرها من ذكور الحيوانات الاخرى ، فالخنفس الحشرى قد جاء الى الحياة وبه خشونة واضحة ، وتلك صفة من صفات الذكور المميزة ، لكن الخنفس البشرى قد ظهر لنا « على آخر الزمن » وبه نعومة تختلف درجاتها من خنفس الى خنفس ، وبحيث لا نستطيع ان نميز ـ احيانا الخنفس البشرى من الفتاة ، خصوصا اذا نظرنا اليه من قفاه .. وما دامت النعومة قد زحفت على شبابنا ، وما دامت تراودهم فكرة محاكاة الفتيات فى التانق وتسريحة الشعور ، وتضييق « البنطلونات » على الارداف الى آخر هذه المميزات التى تسعى اليها الفتيات بحكم تكوينهن ، وما دام كل هذا او غيره يحدث ، فلا تنتظر من هؤلاء خشونة كخشونة الرجال او الذكور عموما .. او حتى الخنافس الحشرية !

لقد جرنا الخنفس الحشرى ـ عليه اللعنة ـ رغما عنا الى الحديث عن اخواننا الخنافس البشرية عليهم النقمة ، ولنترك هؤلاء فى فلسفتهم وميولهم وازيائهم ، ولنقدم خنفسنا الذى يعرف باسم خنفس الوعل او الايل او الغزال ذى القرون .. ذلك ان الخنفس (١) قد امتلك فكين طويلين قويين اشبه ما يكونان بقرنى الوعل ، ومن هنا جاءت التسمية .. والواقع ان ذكور الوعول والخنافس تستخدم قرونها وفكوكها فى معارك الجنس والحياة ، ولكل منها صراعها وعاداتها ومكانتها فى سلم التطور !

---

(١) تبسيطا للأمور فسوف نطلق على الذكر اسم خنفس وعلى الأنثى اسم خنفسة .

http://nj180degree.com

وتبدأ المعركة ، وتتحرك الفكوك الاربعة .. وكأنما كل خنفس يسخن فكيه كما يفعل لاعب الكرة بقدميه ، لكننا لا نشهد هنا لعبة للتسلية وضياع الوقت ، بل نقف امام لعبة خطرة من العاب الموت والحياة على مستواها الخنفسى .. وبدون اطلاق صفارة من الحكم ، يحدث الهجوم ، وتتقابل الفكوك بالفكوك ، وكأنما هى بمثابة مقابض او « كماشات » حية ، وبها يقبض الخنفس على الخنفس ، ويحاول أن يلقيه ارضا ليمرغه فى ترابها ، ويخمد بذلك قوته ، ويوهن من عزيمته ، وكأنما نحن امام حلبة من حلبات المصارعة الحرة ، ولكن بدون حكم ولا جمهور .. فالجمهور الوحيد هنا هى فتاتنا الخنفسة التى تقف سعيدة لتشهد صراع الجنس ، وهبالة الذكور !

وعندما يحس احد الذكرين ان نتيجة المعركة ليست فى صالحه ، نراه ينطلق هاربا من الميدان ، وهنا يتركه المنتصر ليذهب الى حال سبيله ، ويتقدم الى فتاته ، وهو يلوح لها بفكيه ، وكأنما لسان حاله يقول : ما استحق القرب منك ، ولا الفوز بحبك ، الا كل من عرف الكفاح .. وها انذا قد اخذتك منه بالظفر والناب .. لاكون لك ولتكونى لى حلالا طيبا !

وبجواره تسير العروس ، وقد يتقابل مع من هو اشد واقوى ، فيضيع الحب ، وتختفى النشوة ، او قد يكون سعيدا ، فيقضى مع فتاته ساعات عسل حلوة ، ثم تنتهى فترة الوصال ويفترقان دون تحديد موعد آخر للقاء ، ويسير الخنفس مترنحا ، وبفكيه ملوحا ، وكأنما يودعها قائلا ، باى باى .. عليك اللعنة ، فلقد انهكت قوتى واضعت صحتى ، ومع ذلك فالحياة تهون فى حبك .. « او كله فى حبك يهون » (مع الاعتذار للاغنية) ثم يموت هو ، وتحيا هى ، ليكون هناك مزيد من الخنافس !

وما دمنا قد تحدثنا عن خنفس الوعل أو الايل ، فلا بد ان نقدم الوعل نفسه كنموذج جديد من نماذج ذكور هذا الكوكب .. وعلينا ـ لكى نصعد سلم التطور من الخنفس الى الايل ـ ان نقفز قفزة هائلة لنعيش مع احد افراد الحيوانات الثديية التى وضعها العلماء معنا فى المجموعة ذاتها !

فذكور الوعول قد تعيش فرادى ، او تجمعها مجموعات صغيرة ليس بينها انثى واحدة ، ولهذا فان للذكور مجتمعاتها ، وللاناث مجتمعات اخرى منفصلة ، لكنها اكثر عددا من مجتمعات الذكور ، ومن هنا كان لابد ان تظهر فى تلك المجموعات الانثوية زعيمة او قائدة لتقودها فى متاهات الغابات واحراشها ، والقائدة ـ بطبيعة الحال ـ لابد أن تكون اعظم من الاناث حنكة ودراية واكبر عمرا .. وعندما تضع الاناث مواليدها ، فانها تقوم بارضاعها ورعايتها حتى تكبر وتعتمد على نفسها ، وهنا يحدث شىء غريب ، اذ تتحيز الاناث لبنات جنسها ، فتطرد الذكور اليافعة ، وتحتفظ ببناتها لتزيد مجتمعات « الحريم » قوة وازدهارا !

وتمتاز ذكور الوعول بامتلاكها لقرون متشعبة وقوية لتكون لها بمثابة سلاح « ابيض »، وبه تدخل معركة الجنس او صراع الحياة .. وليست ذكور الوعول هى الوحيدة التى امتلكت القرنين ، بل هناك ذكور كثيرة بقرون واضحة .. فللخروف (او الكبش) قرنان ملتويان ، ولذكور البقر المستانس والوحشى قرون حادة مستقيمة وكذلك التيس (ذكر الماعز) او غيره من تيوس .. لهذا اذا رايت حيوانا بقرون ، فاعلم انه من الذكور ، أما اذا ضمر القرنان فتلك علامة من علامات الانوثة ، مع بعض استثناءات بسيطة ، ولا حكم على الاستثناءات !

ويشترك خنفس الوعل مع الوعل فى الطريقة التى يستخدمانها فى صراعها مع الذكور الاخرى للفوز بالانثى ، ولكنهما يختلفان

http://nj180degree.com

فى أمر هام .. فللخنفس فتاة واحدة ، وللوعل فتيات كثيرات ، ولكنه لا يعرفهن ولا يصاحبهن الا اذا ظهر الدافع الجنسى الذى يدعوه الى تجميع أكبر عدد منهن لتكون دليلا على فتوته .. وطبيعى أن ذكرنا هذا ليس الوحيد فى الغابة ، بل يشارك فيها عددا آخر من الذكور ، لكن الذكر اذا تقابل مع ذكر آخر ، فلابد من معركة كبيرة ، رغم أن كل ذكر منهما قد يكون فى حوزته عدد كبير من الاناث ، ولكنها « فراغة » عين من الذكور .. نقصد ذكور الوعول طبعا ، ولا شأن لنا هنا بذكور البشر ، ويبدو أن ما يمتلكه الاخرون يحلو دائما فى عيون الغير !

وكما يحسم الخنفس الامر مع خنفس آخر بمعركة فاصلة ، كذلك يفعل الوعل مع ذكر آخر ، لكن معركة الوعول لا شك قاسية ودموية ، فسلاح القرن حاد بتار ، فاذا لم يأخذ الوعل المتصارع حذره ، فربما يبقر القرن بطنه ، ولهذا فقد يموت احد الذكرين فى المعركة ، واحيانا ما تتشابك القرون المتشعبة ، ولا يستطيع الذكران منهما خلاصا ، ولا يزالان هكذا بقرونهما متشابكين ومقيدين ، حتى تنهك قواهما ، فيموتان فى مكانهما ، وتبقى الهياكل العظمية لتحكى لنا قصة مثيرة من قصص الصراع التى تدور بين الذكور من أجل الاناث ، وهكذا تضحى بها الحياة ، وتحافظ على الاناث !

الا أن أيسر حالات هذا الصراع تتركز فى أن يطرد الذكر المنتصر عدوه المهزوم بعد معركة قد تدوم طويلا او قليلا ، وليذهب المغلوب فى حال سبيله ، بعد أن يتنازل للذى غلب عن حريمه .. وربما تواتى المغلوب فرصة جديدة ليدخل فى معركة اخرى قد تكون فى صالحه .. المهم أن هناك صراعا قاسيا وطويلا ومريرا تمر به الذكور ، ليتوج ذكر منها نفسه على عدد كبير من الاناث ، وليصبح بحق « ملك » الحريم فى الغابة ،

ومن أجل هذا تغنى به الشعراء فى أشعارهم ، واعتبروه سلطانا له من الجوارى ما يشاء ، ومن الفحولة الجنسية ما يريد ، بحيث يكون فى مقدوره اخصاب كل « الحريم » .. فليست العبرة بعدد الذكور ، انما العبرة فى نوع الذكور .. « ولكن أكثر الناس لا يفقهون » ، فالذى يهم هو النوع لا الكم يا سادة !

لكن « سلطنة » الذكور لا تدوم الا قليلا ، فبعد أن تحصل الاناث على الاخصاب ، تفقد اهتمامها بالبطل ، كما يفقد البطل اهتمامه بها ، وعندئذ يتخلص من قرنيه العظيمين ، فيسقطان وبهذا يكون قد القى السلاح ، ويصبح كالانثى ، رغم انه أضخم منها حجما ، وبعدها يهيم على وجهه فى الغابات دون أن يحمل مسئولية او هما .. وكأنما كل رسالته فى الحياة أن يأكل ويتسكع ويعاكس ويتصارع ويغلب وينكح (مؤكد حيوان) او ان يكون من المهزومين .. حتى اذا جاء فصل الحب القادم ، ظهرت القرون ونمت وتشعبت ، ليدخل بها معارك اخرى !

• • •

ولننتقل الان من ساحة الغابات والاحراش حيث تعيش الخنافس والغزلان ، ولنتوجه الى شواطىء البحار لنشهد فصلا آخر من فصول صراع الذكور على الاناث ، ولنتخير منها نوعا واحدا ، وليكن ذلك المخلوق « أبا جلمبو » او سرطان البحر او الكابوريا .. تعددت الاسماء والمخلوق واحد (١) .

ففى فصل الزواج تنتشر الآلاف على مساحة من الشاطىء ، وتقف الذكور على أهبة الاستعداد لاستقبال الانثى « أم جلمبو »

---

(١) ننقل هذه الفقرات بتصرف من كتابنا « زوجات مفترسات » .. كتاب الهلال أغسطس ١٩٧٠ .

http://nj180degree.com

وهى تسير وتتبختر ، وكأنها مانيكان او عارضة ازياء .. او ربما عارضة جنس .. لسنا ندرى ، لكن الذى ندريه ان كل سرطان قد حفر فى الرمل حفرة صغيرة ، ليختبىء فيها اذا ما تعرضت حياته للخطر ، ثم قد يتخذها بمثابة عش للزوجية فى فصل التزاوج ، ولهذا نستطيع ان نرى الالاف من هذه الحفر التى تنتشر على الشاطىء ، وتختار الذكور الليالى القمرية ، ومن جحورها تخرج ، وامام « دورها » تتجول وتتجدل كالاحدب، لكن الشىء المميز فى هذه المخلوقات هى مشيتها الجانبية ، وسلاحها البارز الذى يرفعه كل فتى فى الهواء ، وبه يلوح ويتباهى ، وكأنما هو السيف المسلول الذى يدافع به عن داره او فتاته ، وكأنما هو يتمثل بقول شاعر البشر :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم

والواقع ان سلاح « ابى جلمبو » ليس الا مخلبا ضخما متينا ، قد يكون اطول من جسمه ، وبه يدخل معركة الجنس ليحظى بانثى !

نحن الآن نعيش فى فصل الحب ، وفيه نرى هذا المهرجان الراقص من الذكور ، وكأنما الدنيا قد دانت لها ، واصبحت طوع مخالبها ، ولا شك ان كل ذكر يمنى نفسه بعروس .. اية عروس والسلام ، فليس فى الامر اختيار !

وتأتى الاناث لتتجول هنا وهناك بين الذكور ، ويقف الفتيان امام الدور ، وقد تمر أم جلمبو امام فتى من الفتيان ، فلا تطاوعه نفسه ان يتبعها ويسير وراءها اينما سارت .. ذلك ان التقاليد التى ورثها ابو جلمبو عن اجداده منذ عشرات الملايين من السنين تحتم عليه ان يلزم حدود الادب ، ان كان هناك ادب .. صحيح ان الفتى اقوى من الانثى واشد ، وصحيح

انه يستطيع ان يختطفها ثم يغتصبها دون حس او خبر ، الا انه — والحق يقال — لايفعل كما يفعل المتهورون من ذكور بنى البشر .. ليس ذلك خوفا من عقاب ، او لانه يعرف الأصول فى معاملة فتيات نوعه ، ولكنه يريد ان يترك لها حرية الاختيار ، حقيقة عرفها ابو جلمبو ، ولم يعرفها « ابو شنب » !

ما على ابو جلمبو — اذن — الا ان يقف امام ام جلمبو وقفة معينة ليستعرض فيها نفسه ، ومسموح له ايضا ان يلوح لها بمخلبه الضخم الذى اكتسب لونا كلون الحنة (أو الحناء) التى يضعها عرسان الريف وعرائسهم فى ايديهم وارجلهم ، وربما كانت هذه العادة الريفية مقتبسة من ابى جلمبو هذا ، اذ ان مخلبه لا يتخضب باللون الاحمر الا فى فصل الحب والتزاوج ، والواقع ان هذه الحمرة القانية تتأثر بافرازات الهرمونات الجنسية ، وكلما زاد لون المخلب توردا ، فان ذلك دليل على فحولته او « ذكورته » الزائدة ، او ان الدافع الجنسى لديه شديد ، ولا ندرى ان كانت الحناء وتوردها فى ايدى العرسان والعرائس تعنى شيئا بالنسبة لهم ولهن او لا تعنى ، لكن مما لا شك فيه ان تخضب مخلب ابى جلمبو باللون الاحمر القانى لمن العلامات المميزة فى الاختيار الطبيعى ، ولو اختارته ام جلمبو عريسا ، فسيكون عريسا « لقطة » تتمناه كل فتاة فى هذا العالم البسيط فى سلوكه وعاداته !

« وتتبختر » ام جلمبو وهى تمر امام دور الفتيان ، ويأتى عريس وهو يلوح لها بمخلبه او « ذراعه » .. وكأنما هو يقول « انا هنا .. انا هنا » .. ثم يهتز امامها ويتشنج ويلوح ، وكأنما هو يرقص لها ليسترضيها ، ثم ينسحب الهوينى الى داره ، وينتظر قليلا ، فلعل الفتاة تستلطفه وترق لحاله ، وعندما يطول انتظاره ، يخرج ويبحث عنها حول

http://nj180degree.com

الدار ، فربما تكون واقفة غير بعيد « لتسوق » الدلال ، لكنه يراها وقد ابتعدت قليلا لتدخل فى مجال فتى آخر من الجيران ، ويحييها بمخلبه مثلما فعل الفتى المهجور ، وقد تميل اليه ام جلمبو وتقترب ، فربما كان هذا اكثر جاذبية ، واخف حركة ، واشد حرارة فى استقبالها ، لكننا لا نعرف السبب الكامن وراء هذا الاستلطاف ، ولهذا يهجم الذكر المنكود .. ليس على الفتاة ليأخذها غصبا ،او ليضربها علقة ساخنة . . ذلك ان القانون « الجلمباوى » لايبيح التعرض للاناث ، ولا ضرب الفتيات ، ولكنه يبيح ان يضرب الذكر ذكرا مثله حتى ولو ادى ذلك الى انتقال احدهما الى الدار الآخرة !

ام جلمبو ـ اذن ـ فتاة مصونة ، ولها بين الفتيان مقام كبير ، واذا اراد الذكر ان يظهر فتوته وقوته ، فلا يجب ان يظهرها على انثى ، بل على ذكر مثله ، وتلك هى الاصول التى عرفتها مجتمعات ابى جلمبو قبل ان يظهر البشر بمئات الملايين من السنين !

ليس هناك من طريق آخر لحل الأزمة الا الحرب ، ولهذا يتقدم احدهما نحو الآخر ، وهما يرفعان مخلبيهما ويلوحان بهما بشدة فى الهواء ، وكأنما هما يلعبان لعبة « التحطيب » التى يجيدها اهل الصعيد ، وهى التى يمسك كل فرد فيها نبوتا غليظا ليظهر به براعته امام « السامر » عامة ، والفتيات خاصة ، ولكن ابا جلمبو لا يلعب ولا يتسلى ، بل سيدخل مع غريمه فى صراع حقيقى ، وكأنما كل واحد يقول لصاحبه « بينى وبينك معركة ، فمن تغلب فيها استحقها ، ولتكن ام جلمبو حلالا عليه ، وحراما على غيره » .. وهنا تحدث بالفعل معركة طاحنة بالسلاح الأحمر .. نعنى بذلك المخلب المخضب « بالحناء » الطبيعية ذات اللون الأحمر القانى !

وتقف ام جلمبو غير بعيد لتشهد هذا الصراع المرير بين الذكرين ، وكأنما هى به فخورة ، اذ ليس هناك اسعد من فتاة وهى ترى الذكور يتطاحنون ويتنافسون على زواجها .. لا تختلف فى هذا ام جلمبو عن ام الخير !

يقول الذين شاهدوا سلوك هذه المجتمعات البرطانية انه بوسع الانسان أن يسمع صليل السيوف الحية ـ نعنى المخالب ـ وهى تتقابل فى ضربات متتابعة قوية من مسافة امتار عديدة ، وقد تنكسر فيها المخالب وتبتر الارجل وتتهشم الصدور ، ولكن غريزة الجنس عندها قد تكون اقوى من غريزة الحياة ، وكأنما كل ابى جلمبو يريد ان يخوض المعركة حتى نهايتها ، ولهذا فقد تستمر وقتا طويلا ، الى ان يجد احدهما ان سير المعركة ليس فى صالحه، فينسحب من الميدان ، ويترك العروس لعذوله ، وهنا قد تتبع ام جلمبو المنتصر الى داره ، فلقد استجوذ عليها بعرقه وذراعه او قد تتركهما فى صراعهما وتسير ، فما اكثر الذكور ، وما اعظم المآسى التى تحل بها من جراء الفوز بالانثى .. وهكذا شاءت الحياة وقدرت من قديم الزمان ، وسالف العصر والاوان !

لهذا اذا رايت اثنين من ذكور ابى جلمبو يتصارعان ويتطاحنان فابحث عن الانثى .. عن ام جلمبو .. لا فرق هنا بين بشر وسرطانات .. فالكل فى الغريزة سواء !

http://nj180degree.com

ضوضاء الذكور.. وهبالة الذكور

يبدو اننا معشر ذكور البشر قد ورثنا الكثير من عادات ذكور الحيوان .. فمن الظواهر الغريبة مثلا تلك « الاوركسترا » التى نصبتها الطبيعة من حولنا على هيئة أصوات تنطلق من حناجر الذكور ، لتعلن بها عن وجودها لعالم الاناث .. فالحمار ينهق ، والضفدع ينقنق ، والعصفور يزقزق ، والاسد يزار ، والديك يصيح ، والحمام يهدل ، والحشرات تصرصر وتغنى وتدق الطبول .. الى آخر الضجة التى قد يفصح بها الذكر عن وجوده ، وقد يكون ذلك خطرا على حياته ، لأن هذه الموجات الصوتية – التى نسمعها نحن ايضا او لا نسمعها – قد يلتقطها مخلوق جائع ، فيعرف مكان الذكر من ضوضائه ، ولا يزال يبحث عنه ، حتى يهتدى اليه ، ويصبح صاحبنا « الولهان » لقمة سائغة من طعام ، قبل أن يسعد بلقاء انثاه . . وهكذا يدفع الذكر الثمن ، ولا تدفعه الانثى ، فلقد جنبتها الطبيعة مثل هذه الاعمال « الصبيانية » التى كانت من نصيب الذكور .

وعلى الوتيرة ذاتها يسير ذكور البشر .. اكن بطريقة اخرى!

فالشباب المراهق (وقد تمتد المراهقة ايضا الى الرجال والشيوخ والكهول) ينطلق مثلا فى الطريق ، فلا نسمع منهم الا اصواتا كالنهيق ، فلا القانون يعاقبهم ، ولا حرمات الليل تمنعهم. ولا الذوق العام يشفع لهم ، وكأنما هم يريدون تبديد طاقاتهم

الكامنة عن طريق ضجة وصياح .. ربما ليلفتوا نظر الجنس الآخر الى وجودهم ، أو ربما كانت عادة من العادات التى ورثوها عن « أجدادهم » من عالم الحيوان الذين سبقوهم فى الظهور على هذا الكوكب بعشرات ومئات الملايين من السنين .. فبئست العادات .. عادات الحيوان .. عادات البشر !

كما أن المعاكسات المكشوفة فى الطريق – بالكلمة أو الهمس أو اللمس وغير ذلك مما لا ندرى – يقوم بها ذكور البشر أساسا .. فقد يتغزلون فى هذه الفتاة بألفاظ نابية ، أو مع تلك بألفاظ مؤدبة – كل هذا يتوقف على النشأة والتربية .. لكن هذه المعاكسات المكشوفة لا تصدر من فتاة أو سيدة .. فالاناث أكثر حياء من الذكور ، ليس فقط فى مجتمعات البشر بل نرى ذلك ايضا فى معظم المجتمعات الحيوانية ، فذكورها تتودد دائما الى اناثها ، وتبحث عنها وتسترضيها ، والطبيعة الحية – كما يراها العلماء ويدرسونها – مليئة بآلاف الصور من الغزل ، ولكل نوع من الذكور فى ذلك طريقة ، كما أن لكل انسان أو شيخ سلوكا وطريقة !

وكما يدفع ذكور الحيوان الثمن من حياتهم نتيجة لضوضائهم ، فقد يدفع البشر الثمن بطريقة اخرى .. قد تكون خفيفة ، وقد تكون شديدة .. فأما الخفيفة منها فتتجلى لنا فى تلك الحملات الفجائية التى يقوم بها رجال شرطة حماية الآداب العامة فى الطريق العام ، وبها يحصلون على نصيب محمود من ذكور تنطلق وراء الاناث كالكلاب الضالة ، وفى مركز الشرطة يقومون بتحرير المحاضر المناسبة .. أما الشديد منها فيتركز فى عمليات الاغتصاب بالقوة .. ومن حق اية انثى ان تلصق بالذكر منا اية مصيبة او تهمة ، اذ يكفى ان تقول هى كذا وكذا ، فيضيع مستقبل الذكر . . ذلك أن المساس بأى

http://nj180degree.com

جزء من أجزاء الانثى جريمة رهيبة . . ولكل جزء منها درجة ، وبها يأتى الحكم .. كذا شهر أو كذا سنة ، ودعك من ضياع السمعة ، وهذا ينبئك بالخبر اليقين ، خبر أن المرأة ثمينة والرجل رخيص .. المرأة صادقة ، والرجل كاذب ، حتى ولو ادعت عليه ، والصقت به جنينا أو نسبته اليه !

لكن دعنا من كل ذلك فالكلام فيه يطول ولنعد الى نسائنا اللاتى يصفهن البعض بأنهن ثرثارات ، لكن ثرثرة اللسان قد لا يأتى منها الضرر بقدر ما تأتى من « ثرثرة » مفاتن الاعضاء الانثوية ، فكلما برزت وتكشفت لعيون الذكور الحادة ، كلما كان ذلك ادعى الى ثورة أخرى تجتاح كيانهم الضعيف .. فعندما تلتقط العين المنظر الانثوى المثير ، فان الصورة بمفاتنها تنتقل الى مراكز الابصار فى المخ العظيم ، ومنها الى المراكز العليا حيث تترجم الرسالات الواصلة أولا بأول ، وتتحول الى خطة عمل ، وبها تشتغل الغدد ، ومن الغدد تنطلق الهرمونات وتشتعل فى داخلنا ثورة الجنس ، لكننا نكتمها كتمانا ، رغم ان التفاعلات الكيميائية الحيوية تشعلها فينا نيرانا (ولهذا كثيرا ما نسمعهم يرددون فى أغانيهم كلمة نار .. مثل حبك نار ، ونار يا حبيبى نار .. الى آخر هذه العبارات التى نسمعها كالاسطوانات وقد يكون لها طعم أو لا يكون .. وكله تعبير عن لوعة الجنس أو الحرمان) ولابد أن يأتى صمام الامان ليلعب هنا دورا عظيما ، ويكبح بهذا جماح الانسان حتى لا يوصم بوصمة الحيوان ، أو يزج به فى غياهب السجن .. لكن أحيانا قليلة قد ينفلت العيار ، ويختل صمام الامان ، فتكون ظواهر الاغتصاب ، وما يتبع ذلك من محاكمات وأحكام أو قد تتحول الامور الى عمليات قتال وصراع بين الذكور ، وتخرج الانثى المثيرة (وأحيانا ما تكون غير مثيرة) من كل هذا بريئة ، رغم انها كانت المحرك البيولوجى الاول لكل ما حدث

وسيحدث .. فنحن ـ فى الواقع ـ بشر ، لكن ما يزال فى داخلنا حيوان مفترس !

• • •

نذكر هنا حادثتين رأيناهما رؤية العين .. الاولى كان بطلها فتى ، والثانية كان حمارا .. ومسرح الاحداث قد نصب فى ترام وحقل .. ولنبدأ بالفتى والترام ، ثم ننتهى بالحقل والحمار ، وبعده نستنتج من تلك المشاهدات ما يتعرض له عالم الذكور ، وكيف انه ينهار أمام الانثى ، ويظهر انه المخلوق الاضعف !

على كرسى فى ترام رمل الاسكندرية جلست فتاة شبه عارية بحيث ظهرت لنا جميعا كتحفة غاية فى الجاذبية والابداع والاثارة ، فمنا من حوقل ، ومنا من استعاذ ، ومنا من نظر واستملح وقال « جميل .. والله جميل يحب الجمال » .. ولكل منا ـ بطبيعة الحال ـ فلسفته فى الحياة !

وامام الفتاة جلس ـ لسوء الحظ ـ فتى مراهق ، وظل يرمق ويتأمل ، والعين تنقل ، والهرمونات تفرز ، والخلايا تثرثر ، والنبض يزيد ، والتنفس يسرع ، والدم يندفع ، وعلى وجهه ظهرت علامات تؤكد حدوث تغير فسيولوجى فى جسمه .. ومن المؤكد أن هناك صراعا رهيبا يجرى بين الفتى من تأثير هذا الجمال الصارخ على تفاعلاته البيوكيميائية ، وبين تقاليد المجتمع واحكامه وقوانينه .. لكن يبدو أن الغريزة كانت أقوى من القانون ، فلقد انفلت العيار ، وتهاوى صمام الامان ، وهجم على الفتاة كالحيوان ، وانكب عليها تقبيلا « وحضنا » ، وبسرعة أيضا هجم البشر على « الانسان .. ذلك الحيوان » .. وخلصوها منه بصعوبة ، ومن الترام انزلوهما ، ولا ندرى كيف سارت الاحداث بعد ذلك . . لكن

http://nj180degree.com

الذى ندريه أن التيرام قد سار ببعض من فيه وانقسم مجتمعه الى قسمين : السواد الاعظم فى جانب الفتى المسكين ، وقليلون كانوا فى جانب الفتاة ، ووسط الضوضاء ، والتعليقات والمرافعات ، التقطت الاذن صوتا ناعما من فتاة تبرز مفاتنها الا قليلا ، وعلقت على ذلك بقولها « سوفاج .. آنيمال » .. اى متوحش .. حيوان ، هذا بالرغم انها كانت عربية فى تقاطيعها ولغتها ، وثار فى الوقت ذاته ذكر من الذكور لبنى جلدته وقال صارخا « نحن بشر » .. ولاشك انه يقصد اننا ضعاف امام مفاتن الانثى !

الا لعنة الله على ذلك الهرمون العجيب ، الذى قد يمحو الارادة ، ويقلب الكيان ، ويحول سلوك الانسان الى سلوك الحيوان .. ومع ذلك فهو لذيذ وفعال ، بدليل هذا الطوفان الحى من البشر والحيوان !

وفى الحقل حدثت الحادثة الثانية .. فلقد كان احد المزارعين يمتطى حمارا وبه على بركة الله يسير ، واذا بالحمار يتوقف فجأة عن السير .. فتنفرج شفتاه ، ويتسع منخراه ، ويحرك رأسه ذات اليمين وذات اليسار ، وكأنما هو يستنشق عبيرا فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، ثم اخذ ينهق نهيقا عاليا ، وفجأة جرى كالمجنون ، دون ان يستطيع صاحبه كبح جماحه ، واخيرا اختل توازنه ، وسقط من فوق ظهر الحمار الثائر الذى انطلق كالصاروخ الموجه نحو الهدف ، ولقد كان هدفه حمارة تقف على مسافة مائة متر او تزيد وهجم عليها كما هجم الفتى من قبل على فتاته ، لكن الحمارة تمنعت ، واخذت ترفسه برجليها رفسا شديدا ، الا ان حمارنا لم يبال بصفعات الحوافر ، وظلت هى تضرب ، وظل هو يحاول ، حتى وصل اليه صاحبه ، وبعصاه الغليظة هوى عليه فى ضربات قاسية متلاحقة ثأرا لكرامته التى اهدرها حمارنا عندما

القاه ارضا ، واضحك عليه الخلق .. المهم ان الحمار المسكين قد عاد بخفى حنين ، بعد ان نال علقتين ساخنتين : علقة من الحمارة ، وعلقة من الانسان !

والواقع ان مثل هذه الاحداث كثيرا ما تتكرر فى عالم الانسان والحيوان ، ومنها يظهر الفرق بين انثى البشر وانثى الحيوانات الثديية بوجه عام .. فالحمار مثلا لا يثور جنسيا ما لم تأته اشارة خاصة من حمارة راغبة فى الجنس ، وعندئذ ينطلق نهيقه عاليا ، وكأنما هو يرد على تلك الاشارة الصامتة بانكر الاصوات ، أو كأنما هو يجاوبها الشعور ، وكأنما لسان حاله يقول « لقد وصلتنى الدعوة ، واثارنى المضمون ، وسانطلق اليك كالفتى الجسور » !

غريب هذا الامر .. فأية اشارة تلك التى يستقبلها الحمار ؟ .. وما هو مضمونها الذى يثيره ويجعله كالمجنون ؟ .. واذا كانت الحمارة تطلب جنسا ، فلماذا ـ اذن ـ لم تتقبل حمارها قبولا حسنا ؟ .. هل يرجع ذلك الى عدم معرفته بأصول « الايتيكيت » الحميرى ؟ .. أم ان فى الامر سرا عرفته الحمير قبل ان يعرفه الانسان ؟

الواقع ان ذكور الحيوان ـ ومنها ذلك الحمار ـ لا تفكر فى الجنس ، ولا تحس بالرغبة فيه كما هو الحال عندنا نحن معشر ذكور البشر ، لكن الذى يحدث انه فى فصل من فصول السنة ـ التى تختلف باختلاف نوع الحيوان ـ تجتاح الاناث رغبة جنسية ، وبطريقة فعالة وذكية تثير ذكورها برائحة خاصة تبعثها فى الهواء ، وكأنما هذه الرائحة بمثابة عطر جنسى ، فبمجرد استنشاقه ، ينقلب حال الذكور من هدوء الى هياج .. ومن تعقل الى جنون ، وحسنا فعلت اناث الحيوان ، فبدون نهيق او نقيق او ضجيج او صياح ، تفوح رائحتها الجنسية اذا ما

http://nj180degree.com

احست بالرغبة فى الذكر ، ومن غدد خاصة تنطلق بلايين فوق بلايين من جزيئات كيميائية معينة ، فتنتشر فى الهواء لمسافات بعيدة ، حتى اذا وصلت الى منخارى ذكر يقف فى حاله،او يسير فى طريقه ، فانها تؤثر فى اعصاب الشم وتثيره ، حتى ولو كانت بتركيزات جد ضئيلة .. وعندئذ يعرف الذكر ان هناك انثى تطلب جنسا ، وبهذا اصبحت الرائحة الانثوية بمثابة الزناد السحرى الذى يفجر القذيفة الجنسية فى الذكور ، ويجعلها تنطلق كالمجانين باحثة عن المصدر الميمون !

ولقد التقط حمارنا المذكور بمنخريه الرائحة ، فاثارت فيه كوامن الرغبة ، لكنه كان فى الواقع غبيا « طبعا لانه ذكر .. ولانه حمار » ، فانطلق الى اقرب حمارة ، وظنها انها باعثة الرائحة الذكية .. لكنها ـ والحق يقال ـ لم تفعل ، واعتبرت هجوم الحمار عليها افكا وعارا كبيرا ، فلقنته برفساتها درسا عظيما ، وكأنما لسان حالها يقول « اغرب عن وجهى أيها الاحمق ، فلست فى الجنس راغبة ، ولا له طالبة ، حتى ولو وهبتنى كل هذه الحقول من البرسيم » !

واسدلت الستارة ، وعظمت فى عينى تلك الحمارة .. فقد دافعت عن « شرفها » (ان كان لها شرف) .. فكل الامور قد تؤخذ قسرا ـ الا الحب .. والجنس هو الشرارة التى توقظ جذوة الحب ، فاذا انطفأ ، انطلق الذكر الى حال سبيله .. وما اعظم الخدع والشراك التى نصبتها الطبيعة للذكور ، لتؤجج فيها النيران ، ثم تأتى الانثى لتطفئها ، او قد تشعلها من جديد .. وهى بوسائلها الكثيرة على ذلك لقادرة !

نعود الى حمارنا الذى اكتوى بنار الجنس تارة ، وبجوافر الحمارة ثم بعصا صاحبه تارة اخرى ، فنقول : انه لغبائه قد اخطأ الهدف .. اذ كانت الراغبة فى الجنس تقف غير بعيد من صاحبتها الحمارة الاخرى .. ولقد كانت النسمات تأتى من نفس

الاتجاه الذى تقف فيه الحمارتان ، ويبدو ان الرغبة الجنسية قد اعمت حمارنا ، فلم يفرق بين هذه وتلك ، ومن أجل هذا فقد أخطأ الهدف ، ودفع الثمن ، واستحق علقتين .. وهما ـ اى العلقتين ـ اهون من نيابة ومحاكم وفضائح يكتوى بنارها ذكر الانسان دون الحيوان !

وهكذا تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن .. وكذلك تأتى ايضا بما لا تشتهى الحمير او غيرها من ذكور شتى !

والواقع ان الرائحة الجنسية تلعب دورا هائلا فى توجيه الذكر الى الانثى او اثارته جنسيا ، ويكفى ان نذكر ان عالم البيولوجيا مارتن ليندار قد قدر عدد انواع الروائح التى تطلقها الانواع المختلفة من الحشرات بما يزيد على ٥٠٠ الف رائحة .. ولكل رائحة منها تركيب كيميائى خاص ، لتصبح الرائحة بمثابة لغة الحب والتزاوج ، او كأنما هى رسالة معطرة، ذات شفرة محددة ، ولن يلتقطها او يتعرف عليها الا الذكر الذى ينتمى الى نوع الانثى التى اطلقتها !

يعنى هذا ان الاناث هى التى تطلق الروائح الجنسية ، وعلى الذكور ان تلتقطها ، وتبحث عنها ، وتسعى اليها ، وهى ـ اى الانثى ـ جالسة فى مكانها معززة مكرمة .. ولقد استفاد العلماء من هذه الحقيقة ، واستطاعوا ان يقوموا بتحضير بعض انواع الروائح الجنسية التى تطلقها الاناث فى عالم الحشرات ، وبها يجذبون الذكور ، ويقومون بحرقها ، حتى لا تتاح لها فرصة تلقيح اناثها ، وبهذا يحدون من تناسلها ، ويسيطرون على اعدادها ، فيتضاءل ضررها .. وتلك صفعة جديدة لعالم الذكور الذى كتب عليه ـ فى آخر الزمن ـ أن يموت حرقا بالنار ، فى حين ان الانثى تحيا حياتها العادية ، وتموت موتتها الطبيعية !

http://nj180degree.com

لكن الغريب حقا أن بعض اناث الحشرات تطلق روائحها في ساعات محددة ، من الليل ومن النهار .. فنوع منها يفضل اطلاقها بين الحادية عشرة مساء حتى الرابعة صباحا ، ونوع آخر يبعث بها ما بين الساعة الثانية الى السادسة صباحا ، وهكذا قدرت الحشرات لرجلها قبل الخطو موضعها ، فمن المستحسن أن يبحث الذكر عن انثاه في ظلام الليل ، وهو لا يستعين بعينيه في البحث عن فتاته ، بل يتوجه اليها ـ حيث كانت ـ بقرني استشعاره اللذين يشبهان الرادار .. صحيح ان شبكات راداراتنا تشتغل بالموجات الكهرومغناطيسية ، لكن « رادارات » الحشرة توجه نفسها عن طريق جزيئات « عطر الحب » الذي اطلقته الانثى في الهواء .. ولكل رادار منها « موجة » خاصة .. نعني مادة كيميائية ذات تركيب محدد ، وبقرني الاستشعار تفك رموز الشفرة وتعرف معناها ، وتستمر في البحث والطيران نحو الانثى في النصف الاول من الليل ، ثم ليبدأ الحب والوصال في النصف الثاني او قبيل بزوغ الشمس ، وبهذا تضمن الاناث وصول ذكورها ليلا قبل أن تقع فريسة سهلة لحيوانات اكبر قد تصطادها في الطريق نهارا ، وتصبح لها طعاما ، وهكذا وضعت الانثى خطتها ، وعلى الذكر ان يكد ويسعى ، وقد يصل اليها ، او قد تأتيه مصيبة في الطريق ، فيصبح قربانا على محراب الحب او الجنس .. لست ادري !

لكن الحديث عن الجنس لا ينضب ، والكلام فيه لا ينتهي ، اذ يكفي أن نذكر بهذه المناسبة حديثنا مع مجموعة من الاصدقاء عن امور تتعلق بالعلم والحياة ، وتشعب الحديث حتى وصلنا الى اسرار الجنس عندنا وعند الكائنات الاخرى ، وذكرنا ـ ضمن ما ذكرنا ـ قصة الحمار مع الحمارة ، والكلب مع الكلبة ، واناث الانواع الاخرى مع ذكورها ، وكيف ان الانثى تستخدم عطرها الطبيعي لتجذب الذكر او تستثيره ، ولقد علق على ذلك احد

الظرفاء وقال : ليت لنسائنا ما لهذه الحشرات ، عندئذ كنا نريح ونستريح ، والمعنى طبعا في بطن الشاعر او العالم ، فهو يقصد أن تكون لانثى البشر غدة تفرز عطرا جنسيا طبيعيا ، بدلا من تلك العطور الخارجية التي تستهلك جزءا من الميزانية المنزلية ، ثم اننا ـ على حد قوله ـ في حاجة ماسة الى هذا العطر المثير ، بعد ان نضب المعين ، وحل الفتور محل الحبور ، او الزهد محل الرغبة !

ويعلق ظريف آخر على ذلك فيقول : ربما كانت هناك رائحة جنسية تطلقها اناثنا ، لكن انوفنا لم تتطور بما فيه الكفاية ، حتى تلتقط ما يثير فينا الرغبة التي بدأت تذبل وتذوى ، ولما لم تجد نساؤنا في انوفنا خيرا ، استعانت عليها بعطور عليها تبعث فينا النشوة .. وهكذا يتبين لكم ولنا ان لكل عادة من عاداتنا جذورا حشرية ، وحميرية قديمة .. والله اعلم !

وايا كانت الامور .. فلقد منحنا الله العيون ، لتغنينا عن الانوف ، كما منحنا العقول ، لندرك بها معاني الجمال ، ثم زودنا بالارادة ، لكي لا ننهار امام مواكب الاثارة ، وهي ـ في الواقع ـ مواكب متجددة متغيرة تهتز بمفاتنها امام اعيننا ، فلا نستطيع لها صدا ، ولا لجاذبيتها بعدا !

لكن دعنا من هذه الجلسة « الرجالي » التي تتميز بالبرود والمناقشات والتعليقات التي تقرف النفس ، وتصدع الراس ، ولنذهب الى ركن بديع للغرام بناه احد الذكور ليستضيف فيه ما يشاء من الفتيات .. فهل تريد أن تحضر معنا ، لتشهد امورا مثيرة لم تطرأ لك على بال ؟ .. اغلب الظن انكم سترحبون بذلك ، لنمتع النفس ونبتعد عن كل ما نلقاه في حياتنا من هم وغم ونكد ومسئوليات .. لا هي ممنوعة ، ولا هي مرغوبة .. اذن ، فليكن ذلك ، وعلى بركة الله نسافر !

• • •

http://nj180degree.com

علينا الآن أن ننطلق الى استراليا أو كوينزلاند ، بالخيال لا بالجسد ، والخيال ينبت من العقل المدرك في الانسان لا الحيوان ، لكن ذلك لا يعني أننا سنقدم ركن غرام خياليا ، بل سنعيش بضع لحظات من واقع الطبيعة الحية ، ولنتقابل هناك بذكر من الطيور القريبة الشبه بالببغاوات ، ولقد اخترناه هنا لانه — والحق يقال — من أغرب الطيور التي درسها العلماء ورمقوها بدهشة واعجاب ، فذكرنا هذا له مزاج فنان ، أو طبيعة عاشق ولهان ، لانه يشيد لنفسه عريشة أو خميلة أو استراحة او ركن غرام .. لسنا في الواقع ندري اي الاسماء نختار ، فقد تقولون انتم مثلا : لماذا لا نسميه عشا ، خصوصا وأن الطيور تشيد لنفسها اعشاشا ، لتضع فيها بيضا ، وليس هناك داع لذكر كل هذه الاسماء الحلوة التي عرفها الانسان دون الطير ؟

لكن ذلك ليس صحيحا في حالة طائرنا هذا ، فهو لا يبني عشا بالمعنى المفهوم ، ولكنه يقيم على الارض قطعة فنية من عريشة أو خميلة خاصة ، لا لتكون بيتا للزوجية ، أو لتضع فيها الانثى بيضها ، ولكنه — في الواقع — يبنيها « لمزاجه » الخاص .. فعش الزوجية شيء ، وعش الغرام شيء آخر ، فللطيور امزجة ، كما للبشر امزجة .. والانثى في ذلك هي القاسم المشترك الاعظم ، ولها النصيب الاوفى !

والواقع ان طائرنا هذا يعرف باسم طائر العريشة أو الخميلة — او « الخص » (Bower Bird) تعددت الاسماء ، والمعنى واحد .. لكن قد تغيرون رايكم فيما بعد ، وتختارون لركن الغرام هذا اسماء اخرى تساير الغرض الذي انشيء من اجله ، ولكن بعد ان نقدم لكم شيئا عن « هبالته » مع فتياته ، ثم ولعه باستقبالهن في ركنه ، فمزاج هذا الطائر ، او سعيه لتشييد هذا الركن العجيب ليس فنا مجردا ، أو مزاجا غريبا

بدون هدف ، بل له ارتباط وثيق بهرمونات الجنس .. فالتجارب التي اجراها العلماء على ذكور هذه الانواع من الطيور تؤكد هذا المعنى ، فلو جئنا بذكر صغير ، وازلنا له خصيتيه ، ثم تركناه حتى يبلغ مبلغ الفتيان من الطيور ، فلن يفكر اطلاقا في بناء مثل هذا الركن او العريشة .. فما فائدته ، وقد غاب عنه المحرك الاول .. يعني غريزة الجنس ؟

ان الطيور لا تفكر في تلك الغريزة الا في فصول خاصة ، ولذا فهي عندها موسمية ، وعندما يحل موسمها ، نجد ذكور طائر العريشة — التي كانت تعيش في جماعات يؤلف بينها الوئام والانسجام — قد بدأت تتفرق وتنفصل ليستقل كل ذكر منها بنفسه على قطعة من الارض التي يعتبرها بمثابة ملكية خاصة ، فلا يصح لذكر آخر ان ينافسه فيها ، أو يشاركه في حدودها ، وكأنما الذكور هنا تسير على مبدأ « ابتعد عما يجرح شعور جارك ، ليكون كل واحد في حاله ، دون ان ترقبه عيون الفضوليين من الذكور » .. ذكور الطير .

ويبدو ان للانثى عند الذكر هنا مقاما كبيرا ، ومن اجل هذا نراه يشتغل بالليل والنهار ، ويكد ويجتهد الاسابيع تلو الاسابيع ، ويبدأ في جمع الخامات المحلية التي سيبني بها ركن الغرام ، فتراه يطير هنا وهناك ، ليجمع سيقان النباتات ، وفروع الاشجار الصغيرة ، وبها يعود واحدة فواحدة الى الموقع الذي اختاره ، ويبدأ في غرسها في الرمال الواحدة بجوار الاخرى ثم يثبتها في اماكنها بقطع صغيرة من الحصى والاحجار ، وهذا مجهود لاشك جبار ، اذ يكفي ان نذكر ان احد العلماء قد احصى لواحد من هذه الطيور اكثر من ثلاثة آلاف قطعة من نبات والف قطعة من الحصى والاحجار ، ويعني هذا انه قام بأربعة آلاف رحلة او مشوار .. وشيئا فشيئا تقوم الاركان من الخميلة او التعريشة ، ولتنتهي في النهاية بصفين متقابلين

http://nj180degree.com

ومتلاصقين من اعشاب تمتد على ارضية ذات ظل ظليل ، وعلى الارضية تنتشر بقع ضوئية لتبدو عليها كالدنانير .. ولكل خميلة بابان متقابلان ، قد يتجه احدهما جهة المشرق ، والآخر جهة المغرب ، او قد يتجهان ناحية الشمال وناحية الجنوب .. كل هذا يتوقف على المناخ السائد فى المنطقة ، وعلى نوع الطائر الذى يشيد العريشة .. فمن المعروف ان لهذه الطيور انواعا كثيرة ، ولكل نوع منها فنه وتكتيكه ومزاجه « واتيكيته » فى استقبال الفتيات !

لكن ما شيده الطائر حتى الان ليس فى الواقع شيئا مذكورا فى اصول العمارة او فى فنون الديكورات .. فكما نميل نحن معشر البشر الى الوان خاصة ، وكما تجذبنا اذواق معينة ، كذلك كان الحال عند ذكور هذه الطيور التى ظهرت قبلنا بعشرات الملايين من السنين .. فالذى بناه الطائر ليس الا هيكل العريشة ، وعلى هذا الهيكل يبدأ فى عمل ديكورات غريبة او لوحات عجيبة ، مستخدما فى ذلك بعض الخامات المحلية التى قد تصادفه وهو يتجول باحثا عنها فى كل مكان .. وهو هنا كالانسان الفنان الذى يحب جمع التحف بعناية تامة ، ثم يضع كل قطعة فى مكانها المناسب ، ليبدو كل شىء متناسقا وجذابا .. وكذلك تفعل هذه الطيور على قدر امكانياتها بطبيعة الحال !

ولو قدر لك واطلعت على سلوك هذه الانواع ، وصبرها ومثابرتها فى تجهيز ركن غرامها الذى ستستقبل فيه فتياتها، لعرفت قيمة الانثى عند الذكر ولادركت كيف سخرت الحياة من ذكورها بأساليب مختلفة ، لتهيىء للاناث ما تقر به اعينهن ، وترضى به نفوسهن .. فذكر طائر العريشة قد يقضى الاسابيع الطويلة وهو يعتنى بالخميلة .. اذ تراه يذهب كل يوم لاحضار زهور وثمار وأوراق ذات الوان خاصة ، ويلصقها على جدران خميلته، ثم قد تلاحظه وهو يبتعد قليلا ، وكأنما هو يرمق من بعيد

هذا الديكور الجديد ، فاذا لم يعجبه ، قفز على الارض قفزات سريعة ، ليقترب من العريشة فيغير نظام الديكورات .. لكن الغريب ايضا انه كلما ذبلت زهرة او ورقة او ثمرة ، واصبح منظرها غير مناسب او ملائم ، انتزعها من مكانها ، ووضع بدلا منها شيئا طازجا !

اغرب من ذلك ان ذكور طيورنا هذه لا تهتم فقط بزينة الخميلة ، بل عليها ان تجهز ارضيتها بديكورات ليبدو كل شىء رائعا جميلا .. فامام مدخلى الخميلة ، او فى داخلها تنثر اشياء غريبة ذات الوان متقاربة .. فهناك طيور تميل الى الالوان الحمراء ، ولهذا تجد ارضية ركن الغرام مزينة بورود وشرائط وورق وعلب واصداف وثمار وزرابر وقطع قماش وريش .. الخ ، وكل الوان هذه التشكيلة العجيبة احمر فى احمر .. اما اذا كان النوع يميل الى اللون الابيض ، فسوف تجد على الارضية كل ما هو ابيض لامع ، وربما تجد بينها شوكا وملاعق وسكاكين صغيرة وفوطا بيضاء وساعات واصدافا وقطنا وعظاما وقطعا من المرايا .. الخ ، المهم انه .. « كله ابيض فى ابيض » وقد تتعجبون وتتساءلون : ولماذا الشوك والملاعق والسكاكين والفوط ؟ .. ولماذا وكيف احضرها ؟ .. وهل سيقيم للفتيات وليمة ؟ .. او هل سيهدى احداهن ساعة من الساعات الموجودة على ارضية الخميلة ، او سوارا معلقا على جدرانها ؟ .. الى آخر هذه الاسئلة .

الواقع ان الذكر هنا لا يعرف معنى هذه الاشياء ، ولا يدرك ماذا يمكن ان تستخدم فيه ، ولكنه يريد ان يجمع اكبر واعظم تشكيلة من الادوات التى يميل اليها مزاجه ، ويبدو ان احضار هذه المجموعة اللامعة قد يساعد على اجتذاب الفتيات عندما تنعكس عليها اشعة الشمس ، وترتد الى اعينهن ، وتوجههن الى مكان الخميلة ، وطبيعى ان وجود هذه

http://nj180degree.com

الديكورات الحديثة لم تظهر فى خمائل هذه الطيور الا بظهور المدنية الحديثة للانسان ، ولهذا قد يحدث احيانا ان تغيب بعض ادواته المنزلية دون سبب ظاهر ، ولو حدث ذلك عندنا لقلنا ان هناك عفريتا من الجن يسطو على اشيائنا ويسرقها ، ولكن العفاريت لا توجد الا فى خيالاتنا ، وايا كانت الامور ، فان اهالى المناطق التى يسكنها طائر العريشة او الخميلة يقولون : اذا فقدت شيئا ، ولم تعرف لاختفائه سببا ، فعليك أن تذهب الى المناطق التى تعيش فيها تلك الذكور ، فربما وجدتها بين ممتلكاتها ، لتزين بها اركان غرامها !

والوصف ـ طبعا ـ غير الرؤية .. لاننا مهما وصفنا هذه الذكور ودأبها على العمل ، فاننا لا نستطيع ان نوفيها حقها ، لكنك لو رايتها ، وراقبت افعالها ، وهى تنظم وترتب وتعيد وتغير أوضاع ديكوراتها ، لهتفت وقلت على الفور « وتلك امم امثالنا » !

لكن .. لماذا تفعل الذكور كل هذا ؟

نوع آخر من انواع الاختيار الطبيعى .. فجمال الخميلة هنا ، وحسن ترتيبها ، وفخامة بنائها ، وتنوع ديكوراتها ، تعكس ـ بلا شك ـ ذوق صاحبها ويسار حاله ، الا اننا لا نستطيع ان نقول ذلك بالنسبة للطيور .. لان طائر العريشة مثلا ليس لديه رصيد فى البنوك أو انه يملك اطيانا وعمارات ، ولكن رصيده الحقيقى يتمثل هنا فى قوة احتماله وصبره على المكاره .. فركن الغرام الفخم جدا الذى يشيده بعض البشر دليل ملموس على ذوق صاحبه ، وستحكم على الفور ان كان مليونيرا او بليونيرا او حتى « مليميرا » .. وسيدلك هذا على طبقته الاجتماعية التى ينتمى اليها ، وطبيعى ان الامير غير الصعلوك ، والذى يملك خير ممن لا يملك ، والاناث بطبيعة الحال

تميل دائما الى الاحسن والارقى .. لا تختلف فى هذا انثى طائر العريشة عن انثى البشر ، فالذى يهتم اكثر ، ويؤثث احسن ، ويكدأعظم ، يرتفع فى عين الانثى ، فهى التى ستحدد الذكر الصالح من الطالح ، أو الامير من الصعلوك .. وهى التى ستضع درجة الامتحان بعد ان تفحص ورقة الاجابة .. وهى هنا تتمثل فى ضخامة العريشة وحسن تنسيقها ، وتنوع ديكوراتها ، ولهذا تتبارى الذكور فيما بينها لتقديم مشروع العمارة ليس فقط على الورق ـ ولكن على الطبيعة لتفحصه الاستاذة ـ تعنى انثى الطير ، وقد يسقط فى نظرها ، او قد يصبح من الناجحين !

صحيح أن فتيات الطيور اذا مرت بالديار ـ ديار هذه الذكور ـ فلن تشهق وتقول « يا أختى عليه وعلى ذوقه ـ دا باين عليه واد لارج » .. ولارج كلمة بديلة تتردد هذه الايام على السنة من يتنكرون للفتهم ، وينتسبون الى كل ما هو اجنبى .. المهم أن « لارج » تعنى الكرم ويسار الحال والبذخ عندنا نحن معشر البشر ، والاناث عندنا تحب هذا النوع من الرجال « اللارج » .. وكلما ترددت هذه الكلمة على السنتهن ليمتدحن بها ذكرا « لارجا » ، كلما زاد غروره ، وانسابت نقوده ، وسالت ريالته ، واخيرا قد يخلو الجيب ، « ويتخرب » البيت ، وقد تمتد يده الى الاختلاس ، وقد يذهب الى السجن بتهمة النصب او السرقة او الاحتيال او السطو على الاموال العامة ، وغالبا ما يكون وراء كل هذا انثى تضحك على الذقون بكلمات تثير الغرور ، ومن بينها كلمة « واد لارج » .. وتلك فى الواقع هبالة كبرى من الذكور ، ومن النادر ان تجدها فى الاناث ـ فعلى الذكور الدفع والمصاريف ، وعلى الاناث « الغرفشة والدندشة » !

لكن طائر العريشة لا يمكن ان يتهم بالسرقة او الاختلاس لو انه سطا على الاموال العامة والخاصة التى تتمثل فى شوك او

http://nj180degree.com

سكاكين أو ملاعق قد يراها بالصدفة من خلال نافذة ، فيخطفها ويطير ليزين بها عريشته ، ولا يمكن ان يذهب احدهم الى الشرطة طالبا القبض على طائر العريشة لانه استباح ما ليس له فيه حق ، ولو فعل الانسان لاتهموه بالجنون ، او بانه اقل ادراكا من طائر الخميلة .. ذلك أن كل مخلوقات هذا الكوكب لا تدرك معنى الحلال أو الحرام ، او الفضيلة أو الرذيلة كما يدرك ذلك الانسان ، كما انها ليس لها دين تدين به (وماذا فعل أصحاب الدين بدينهم ؟) ، ولهذا فعليها أن تفعل ما تريد دون طمع فى جنة أو خوف من نار ، وما اكثر ما يشقى اهل العقول بعقولهم !

اذن .. فلقد جهز كل ذكر عريشته ، وزينها بما تيسر لتكون بمثابة ركن خاص ، او « رست هاوس » يستضيف فيه الفتى من الطيور فتيات بنى جنسه .. يعنى جلسة حلوة كجلسات اصناف خاصة من ذكور بنى آدم .. وكلما كانت الخميلة جميلة ، كانت اكثر جاذبية للفتيات ، وكأنما كل ذكر هنا يتيه ويتباهى على أترابه بما يستقبل كل يوم من موكب العذارى .. ولا يمكن بطبيعة الحال ان يستقبل أو يستضيف ذكرا مثله ، والا كانت المعركة .. وبالهبالة الذكور !

لكن لا يجب علينا ان نوصم ذلك الطائر بانه « زير فتيات »، او انه ماجن داعر . فهو ـ والحق يقال ـ برىء من هذا الوصف ، فجلسته مع الفتاة فى الخميلة ليست الا نوعا من الانس او الاستلطاف ليس الا .. فعندما تقبل عليه الفتاة ، نراه يستقبلها بصيحة عالية ، قد يكون لها معنى ، والمعنى فى بطن الطائر لا الشاعر هذه المرة ، فهى لا شك تعنى البهجة والترحاب، او ربما تكون بلغتنا نحن « يا اهلا .. يا اهلا .. والف مرحب » !

ولكى يؤكد الذكر « لرزقه » الذى هبط عليه من السماء عظيم سروره وحسن حفاوته واستقباله يبدأ فى اجراء بعض

الطقوس والاستعراضات ، فيدخل من باب ، وبسرعة يخرج من الباب الآخر ، ويدور حول الخميلة ، ثم يصيح ، وكأنما يقول « يا حلاوتك يا جميل » .. ثم يدخل ويخرج ويصيح ، ويقف ليلتقط بعض ديكوراته بمنقاره ، ويقذف بها فى الهواء وكأنما لسان حاله يقول « كل هذا من أجلك يا حلوة » ! .. ويبدو ان بعض هذه الحركات قد ورثناها عن ذلك الطير الذى سبقنا فى الظهور على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين ، فعندما يثار بعضنا بأمور تفقدنا بعض صوابنا ، نرانا نقذف فى الهواء ما بأيدينا من اشياء .. تماما كما يحدث مثلا فى مباريات الكرة عندما يحرز احد الفريقين هدفا فى الآخر .. وفى كلا الأمرين « هبالة » !

ويستمر طائرنا هذا فى حركاته واستعراضاته ، ويتكرر المشهد امام الانثى التى تجلس فى هدوء وهى ترمقه باعجاب أو احتقار ، لسنا ندرى ، ولكن الذى ندريه ان الفتاة قد تتركه أحيانا وتطير ، وكأنما هى «لاتستخف» دمه ، أو انه ليس ذكرا «لارج»،لا فى حسن الاستقبال ، أو جمال الاداء ، أو احيانا اخرى قد يأتيها المزاج ، فتقوم وتدور وراءه ، ويدور هو وراءها ، فيدخل هو من باب ، وتدخل هى من باب آخر ، ويستمر هذا اللف والدوران والصياح من الذكر ، وكأنما هو قد أصبح محطم قلوب العذارى ، ومالك زمامهن ، وبعد فترة تجلس أنثى الطير لتستريح ، وقد يقدم لها الفتى شيئا من الثمار المعلقة على جدران العريشة ، فتأكل وتبقى معه يوما أو بعض يوم ، ثم تتركه وتطير دون كلمة او صيحة فراق ، فينظر اليها الذكر وهى تبتعد ، وقد تنطلق منه صيحة خافتة فيها حسرة ، وكأنما هو يقول : عليك اللعنة ، أو كأنما هذا الذى تفعله اناث الطير نوع من « الاستقطاع » أو الاستغلال أو الاستغفال لعالم الذكور .. فالخميلة بالنسبة للانثى مكان فيه أكل وتسلية وأمان وجلسة

http://nj180degree.com

هريحة ومزاح على خفيف مع ذكر مخبول خير من حياتها فوق أغصان الاشجار .. فظل طائر ، ولا ظل غصن ، او كما يقولون عندنا « ضل راجل ولا ضل حيطة » !

وتستمر هذه المضيفة العجيبة اسابيع طويلة ، وفيها قد يستقبل الذكر الواحد عشرات او مئات الفتيات فى الموسم ، وقد يرزق فى اليوم الواحد بمثنى وثلاث ورباع ، وفى ايام اخرى لا تأتى الرياح بما تشتهى السفن ـ وطبعا كل ذكر وشطارته او هبالته ـ كما يتراءى لك ، ولكنه لا يكل ولا يمل من استضافة الاناث ، فمجالستها ومغازلتها واللعب معها لا شك امور حلوة ومثيرة ولذيذة .. وهكذا فقد اصبح للطيور امزجة كامزجة البشر !

لكن .. ماذا يستفيد الذكر من كل هذا ؟

سؤال لا شك خبيث .. انه على اية حال لا يستفيد شيئا مذكورا ، فهو لا يستطيع ان يقرب اية فتاة او ان يعاشرها معاشرة زوجية ، ولا يحظى منها حتى بمجرد قبلة .. ان كانت بين الطيور قبل واحضان !

ولماذا كل هذه الحركات الغريبة والمثيرة اذن ؟

الواقع أن العلماء لم يستطيعوا ان يقدموا تفسيرا مقبولا .. ويبدو ـ والله اعلم ـ أن ذلك قد يكون بمثابة مقدمة طويلة لابراز مؤهلاته الجنسية ونموها شيئا فشيئا ، وربما ينعكس هذا السلوك الذى يتميز بالحركة والنشاط « والانبساط » والانفعالات الى ظواهر فسيولوجية تؤدى الى نضج غدده الجنسية حتى يحين حصادها ، وفى النهاية تأتى من تحصدها ، والذكر « اللارج » هو الذى يستقبل اكبر عدد من الفتيات ، وتبدأ فترة ممارسة الجنس والتلقيح ، ومن تلقحت تترك « رست هاوس » الغرام ، وتنطلق الى قمم الاشجار ، حيث تضع بيضها فى

عشها الذى اقامته من اجل اولادها ، وبعد ان يفقس البيض ، ويشتد عود الصغار ، تنزل بهم امهم من فوق الاشجار ، وتذهب معهم الى استراحة الغرام .. اية استراحة تشاء ، فلا احد يعرف فى هذا العالم ان كان الذى يوجد فيها هو ابوه او عمه او خاله او جده او اى طائر آخر لا يمت للعائلة بصلة ، ولكن الشىء المؤكد ان التى معهم هى امهم ، وبهذا تستولى على عريشة الذكر ، وتصبح استراحة لها وللاولاد ، ويبقون فيها اسبوعا او اسبوعين حتى يصيروا طيورا يافعة ، تستطيع الاعتماد على نفسها .

اما ذكرنا الذى كان قبل ذلك دائم المغازلة والتودد والصياح بما يستقبله من مواكب العذارى كل مساء وصباح ، فقد حل به القرف ، وفقد الاهتمام ، وانطفأت فيه حرارة الحفاوة ، ومظاهر الشقاوة ، وماله الان فى الغرام من مزاج ، فيطير ليتسلى مع سرب من اسرابه ويترك الام مع عيالها ، ويودع خميلته بصيحة عالية ، وكأنما هو يقول « باى .. باى .. والى اللقاء فى عام قادم » .. وبعدها ايضا تترك الام والاولاد عريشة الغرام ، وينفض المهرجان ، ويخلو المكان ، بعد أن كان بمثابة ساحة عظيمة لأعظم واغرب واقدم « تكية » تقيمها الذكور للعذارى ، لتوضح لنا قصة من قصص « هبالة الذكور » على اليابسة !

ولننتقل الآن من تلك اليابسة لنقدم صورة اخرى غريبة من عالم الماء ، وفى الماء ايضا يحدث كل ما هو مثير وعجيب ، ولكننا لا نراه لاختفائه عن عيوننا !

• • •

ضيفنا الجديد يمثل لنا نوعا من الاسماك التى تعيش فى أسراب او جماعات ، وتختلط فيها الذكور بالاناث .. لكن بدون

http://nj180degree.com

معاكسات أو مغازلة .. وهذا النوع يسمى « أبو شوكة » .. وله فى الواقع ثلاث أشواك ، ولقد اختاره هواة اسماك الزينة لتربيته فى الاحواض .. والمعروف ان هذا النوع من الاسماك يعيش مع بعضه فى سلام ووئام ، لكن ما ان يحل فصل الحب والتزاوج ، وتظهر شرارته ، فانها تظهر دائما بين الذكور ، وعندئذ يتحول تجمع شملها الى فراق ، وصداقتها الى عداوة ، ووداعتها الى افتراس ، ولابد أن يهجر كل ذكر سربه الذى كان يعيش فيه ليهيىء لنفسه « كوشة » أو عش زوجية ليستقبل فيه عروسه ، فنراه يحفر بفمه فى الرمال ، وكأنما يشق فيها خندقا ، ثم يحضر الاعشاب المائية ، ويضع العشب بجوار العشب ، ويفرز عليه مادة لاصقة ، حتى تتماسك الاعشاب ، ولا تتبعثر بالامواج ، وفى النهاية – وبعد أيام من العمل المتواصل – نراه وقد اقام مخدعا مناسبا كالنفق الصغير ، لكنه يفى بالغرض الذى أنشىء من أجله .. فذكرنا هنا عملى ، وهو لا يميل الى تلك الامور التى يقوم بها طائر العريشة أو الخميلة .. المهم ان الذكور دائما هى التى تقوم بالتأثيث ، أما الاناث فليس لها فى « وجع » القلب نصيب ، فمن يريدها ، فليهيىء لها مكانا وليؤثث لها بيتا ، والا فلن ينال منها الا الاحتقار الشديد ، وكأنما لسان حالها يقول « حب ايه اللى انت جاى تقول عليه » (مع الاعتذار لأصحاب الأغنية) !

لو قدر لك واطلعت على ديار هذه الذكور من الاسماك ، لوجدتها متباعدة عن بعضها بمسافات مناسبة ، حتى لا تتداخل الملكيات ، ويحدث ما لا يحمد عقباه .. ذلك ان الذكر العريس لا يحب أن يرى عريسا آخر يدخل فى مجال كوشته ، والا كانت المعركة ، وقد يكون الذكران صديقين حميمين ، لكن الصداقة شىء ، والجنس شىء آخر .. غريبة

امور هذا الجنس الذى يكوى ذكور ذلك الكوكب بناره ، ويفعل بها كل هذا العجب !

بعد أن ينتهى العريس من تجهيز كوشة العروس أو مخدعها ، يبدأ فى تزيين نفسه ، ليكون مهيأ للمهمة القادمة ، وليبدو أمام العروس فى اكمل زينة ، وأروع مظهر ، رغم أن العروس هنا ليست مثله جميلة ، كما انها لا تهتم بنفسها مثل ما يهتم بنفسه ، ولكن الجنس قد يقلب فى عينيه معايير الجمال ، وقد يجعل القبيح جميلا ، فاذا انطفأت شرارته ، ظهرت الامور على حقيقتها .. وتلك مصيبة كبرى تشقى الذكور طويلا ، وتسعدها قليلا ، وكأنما الانثى تخرج لسانها لها ، وكأنما حال لسانها يقول « تمام بريالة » !

طبيعى أن عريسنا هذا « أبو شوكة » لا يعرف شيئا عن المساحيق المتعددة الالوان ، ولا الكوافير ، ولا العطور أو الملابس الجديدة ، ولا حتى « بدلة الفرح » .. لكن الطبيعة كانت معه كريمة غاية الكرم ، فلقد منحته أكثر مما منحتنا أو حتى اكثر مما منحت نساءنا ، ويالليتهن جئن مثله – مثل أبى شوكة – بماكياج طبيعى ، عندئذ لتبدل حالنا الى احسن ، ولوفرنا جزءا من ميزانياتنا وميزانيات العالم التى تضيع كل يوم على أشياء تظهر ثم تزول بالغسيل .. بلايين الجنيهات تصرفها نساؤنا سنويا على زينتهن ، لكن والحق يقال فهن يتزين من اجل خاطرنا ، « ورزق الهبل على المجانين » .. « ومن دقنه وافتل له » !

لكن « أبا شوكة » لا يمتلك شيئا مذكورا ، ومع ذلك فلا تحسدوه معشر الرجال والنساء على ما حباه الله من ماكياج طبيعى يسر الناظرين .. وما اعظم الجمال – جمال جاء طبيعيا ، لا صناعة فيه ولا تبرج !

http://nj180degree.com

عريسنا « أبو شوكة » كان قبل الزواج فتى لا يسر الناظرين ، فعلى ظهره سمرة وسواد ، وهذا ـ بلا شك ـ من الوان الحزن والحداد ، ولابد من تغيير هذا اللون واستبداله بلون آخر أكثر بهجة وحبورا .. وقد كان !

فاللون الاسود الذى ينتشر فى خلايا ظهره يتجمع على هيئه بقع جد ضئيلة ، فلا تكاد تظهر وتبين ، وتنتشر بدلا منها مادة كيميائية اسمها جوانين ، ويتحول لون الظهر بعد ذلك الى زرقة سماوية بديعة بها شىء من لمعان كلمعان الفضة .. وبجوار ذلك تنتشر على جسمه حمرة باهتة « كالماكياج الباهت » .. فتزداد توردا واحمرارا ، ثم ينتقل الماكياج الطبيعى الى العيون ، فاذا بها تتحول من سواد الى بريق أزرق يسحر العيون ، وهنا يتبختر عريسنا فى الماء امام كوشته ، وكأنما الطبيعة قد البسته حلة بديعة الالوان ، وزينته وقدمته لانثاه كتحفة فنية بارعة ، وكأنما هو يتبختر أمام كوشته ويقول « يا ماء .. ما فيك الا انا » .

لكن الذى فعل فيه كل هذا مجموعة من الهرمونات ،من اهمها طبعا هرمون الجنس .. وهذا الهرمون العجيب يشتغل فينا ايضا بطريقة اخرى فيحولنا من نعومة الصبا الى خشونة الرجال .. وزينة الذكر منا هى رجولته وعقله .. وجيبه وما حوى ، ورصيده وما طوى !

نعود الان الى صاحبنا ذى الاشواك الثلاث ، وقد وقف كل ذكر امام كوشته ، وهو يتجول حولها فى انتظار وصول موكب العذارى ، ولكن قد يكون حظه نكدا او « دكرا » ، وما نكده الا ذكر آخر من نفس نوعه ، وكأنما جاء ليسطو على كد غيره ، وعندئذ يقف صاحب الكوشة أمام داره ، ويهدد هذا الطفيلى أولا بفتح فمه عن آخره ، ثم تنصلب

اشواكه ، لتبدو كالسيوف المسلولة ، وكأنما هو بهذا الوضع يوحى الى القادم بأن عضته قد تبعث به الى الآخرة ، او ان فى كل شوكة من اشواكه عزرائيل مقيما ، ولكن الذكر المهاجم قد لا يهتم بهذا التهديد ، عندئذ يقوم العريس بالاتيان بحركة غريبة ، فنراه يتجه براسه الى أسفل ، ويقف عموديا على الرمل وكأنه « خازوق » ، ثم يعبث بفمه فى الرمال ، والواقع اننا لا نعرف السر فى هذه العادة القبيحة التى قد تستمر فترة من الوقت ، ولكن الذى نعرفه انه يستمر فى ملاحظة الدخيل وهو بهذا الوضع المقلوب ، فان رآه لا يريد ان ينسحب من مجاله ، او ان يبتعد عن كوشته ، انطلق اليه وكأنه صاروخ ارض جو ، ولابد ان ينتصر ، مادامت الملكية ملكيته ، والحق حقه .. ذلك ان الذكر الغريب جبان طالما هو بعيد عن داره او كوشته ، ولقد اجرى العلماء بعض تجارب لتؤكد هذه الحقيقة ، وظهر ان من له بيتا او وطنا ، يصبح اكثر جراة ، واعظم شجاعة امام الدار ، فاذا ابتعد عنها ، اصبح جبانا .. ذلك ايضا صحيح فى طبائع البشر والكلاب .. فالغريب غريب الدار او الوطن ـ كما يقولون !

المهم ان هناك بعض المعارك التى تحدث بين الذكور ، ثم تستتب الامور ، وتظهر فترات الحب والانتعاش ، وتبداها الفتيات اللاتى يأتين سابحات متهاديات ، ثم تتجول هنا وهناك بين دور الفتيان ، وقد تقضى النهار فى التسكع والفرجة « والبصبصة » على موكب الذكور ، ومهرجان الذكور ، وهبالة الذكور التى يسعدها حضور هذا الحشد العظيم من العرائس التى جاءت الى عرسانها حوامل ، رغم انه لم يطمسها قبلهم انس ولا سمك ولا جان ، ولكن الاسماك حوامل « بالبطارخ » التى تمتلىء بيضا ، والبيض يحتاج الى تلقيح ، والتلقيح لا يتم

http://nj180degree.com

هكذا فى الخلاء ، بل لابد من تجهيز فراش للزوجية ، ومن لا فراش له ، فلا حق له فى اجتماع جنسى بالانثى ، ولا حب ولا ذرية .. لكن اجتماع الذكور بالاناث ليس جماعا بالمعنى المفهوم فى عالمنا او عالم الحيوانات الاخرى ، ذلك ان الذكور هنا تضع اناثها فى الكوشة (او فراش الزوجية) فى وضع مناسب ، ثم تدغدغها وتلاطفها حتى تقذف بويضاتها فى الماء .. وبالتحديد فى الكوشة التى تصبح فى الحال مهدا للانجال ، ثم يقذف الذكر بخلاياه الجنسية بالملايين ، ويتوه منها ما يتوه ، والقليل يهتدى الى بويضاته فيلقحها .. وكل هذا يعنى ان « ابا شوكة » ليس له مؤهلات ذكورة ، ولا للاناث مؤهلات انوثة ، ومع ذلك فكل مخلوق قد يجد سعادته فى أشياء قد لا تعجبنا ، وسواء اعجبتنا او لم تعجبنا ، فان موكب الجنس والحياة لا يزال يسير على هذا الكوكب منذ مئات الملايين من السنين بتخطيط عظيم ، لا خلل فيه ولا فوضى ، وما أكثر الخلل والفوضى التى يعيش فيها اصحاب العقول !

نحن الان فى الماء أمام ذلك المهرجان الممتع .. للفتيات الحوامل الدلال والتمنع ، وللذكور الرقص والتودد ، الا ان رقصة الذكر هنا لها أصول ، وتسير على تقاليد شرحها قد يطول ، ولكنها تعنى بالنسبة للانثى أشياء قد لا نفهمها نحن فى لغة هذا العالم الذى يسكن الماء .. فهى نوع من السلوك الذى قد تحكم به الانثى على الذكر ، وفى عالمنا نحن توجد ايضا القصة نفسها ، فكثيرا ما نسمع من سيداتنا وفتياتنا نفس الحكم علينا ، فيقلن « يا أختى سيبك .. دا بلدى قوى » او قد يقال « دا جنتل ولطيف خالص » .. ورغم ان « البلدى » ـ نسبة الى بلدنا وتقاليدها ـ لا يعجبهن ، ومنه يسخرن ، الا ان ذلك قد يعجب الذكور فيقولون عنهن « البلدى يوكل » .. وهى لا شك أصالة من الذكور !

المهم ان الفتى الواقف أمام الكوشة ، اذا ما رأى موكب العرائس يخطر ويتهادى ، فانه ينطلق نحوه وهو يثب فى الماء وثبة من وراء وثبة ، كوثبتنا نحن على الارض من فرط السرور ، ولكنه يكر الى كوشته عائدا ، وكأنما هو يفر منها هاربا ، أو ربما ليرشدها الى طريق كوشته ، لسنا فى الواقع ندرى ، ثم سرعان ما يدور متجها اليها كسهم مارق ، وفمه على آخره مفتوح ، وكأنما هو يريد ان يقضم العرائس قضما ، وتتكرر هذه الحركات التى قد تنفر منه بعض الفتيات ، وربما لو تحدثن كفتياتنا لقلن « ياسم على شكلك وعلى بقك المفتوح » .. المهم ان مجرد وجود موكب الاناث ، يطلق فى الذكور شرارة البهالة ، وكأنما هى قد فقدت عقولها ان كان لها عقول ، وتبقى الفتيات فى حركاتهن « ثقيلات » وكأنما « يتمنعن وهن الراغبات » .. لكن مما لاشك فيه ان بعضهن قد يكون لديها الاستعداد ، فمن ارادته منها ، واعجبتها حركات ذكر من ذكورها ، فانها تسعى اليه ، وتتخذ وضعا متعامدا عليه ، وهذا يعنى الرضا والقبول ، وبسرعة يتجه الذكر الى كوشته ، ومن ورائه الراغبة ، وهناك يريها طريق الفراش ، فيضع رأسه على عتبة الدار ، وكأنما يشير اليها ان تدخل فيها ، فتدخل برأسها حتى تبرز من الناحية الاخرى ، ويقف الذكر خلفها ، ليدغدغ ذيلها ، فترتعد الانثى رعدة خفيفة ، وكأنما هى به نشوى ، فتضع بويضاتها فى الفراش ، وبعد ان تنتهى يدفعها الذكر لتخرج الى غير رجعة ، ثم يدخل الى داره ، ليلقح البويضات ، ويثبتها فى مكانها ، ثم يصلح ما قد تهدم نتيجة لرعونة فتاته !

ويعود الذكر لينتظر موكب الاناث من جديد ، ويكرر الطقوس نفسها ، فتتبعه الى الدار انثى ثانية ، وربما ثالثة ورابعة ، حتى تتكدس كوشته بعدد كبير من البويضات ،

http://nj180degree.com

وحسنا ان تكون له ذرية كثيرة .. فلا مدارس هناك ولا مواصلات ولا ملبس ولا مصاريف ولا مسئوليات جسام كالتى تقابلنا نحن من جراء تكدس السكان .. فزيادة الثروة السمكية والحيوانية نتيجة لكثرة الذرية يعنى خيرا لنا ، ورخصا فى الاسعار ، لكن يبدو اننا نتناسل بأسرع مما يتناسل السمك والطير والمواشى ، ولهذا زاد العرض فى البشر ، وانخفض فى اللحم ، فرخص البشر ، وارتفع سعر اللحم والسمك .. لكن دعنا من كل هذا ، فالكلام فيه يطول ، ولنعد الان الى ذكرنا ذى الاشواك الثلاث ، فهو الذى يقوم برعاية الاطفال ، أما الامهات فقد تركن له الحبل على الغارب ، وذهبن للتجمع من جديد فى اسراب ، ويبقى كل ذكر امام كوشته ، وقد فقد كل اهتمام بفتياته ، وبهذا تختفى دوافع الجنس تدريجيا ، وتحل محلها دوافع الابوة الرحيمة ، والرعاية المستديمة ، فيقف كل اب أمام داره ، ليدفع الماء بزعانفه ، فيمر من خلال مهاد الانجال على هيئة تيارات حاملة معها امدادا مستمرا من الاوكسيجين المتجدد ، ويستمر الاب على هذا الحال اسبوعا كاملا ، حتى تفقس البويضات فى اليوم الثامن ، ومنها ينطلق الصغار ، لكنها لا تبرح مكانها الا بعد يوم كامل ، ثم تخرج من مهادها لتجد اباها واقفا فى انتظارها ، وهنا تبدأ متاعبه الحقيقية مع شقاوة الصغار ، فقد يبتعد احدها عن اخوته ، فينطلق ابوه وراءه ، ويلتقطه بفمه ، ثم يعود به« ليبخه » بين اخوته .. كما أن رحمة الابوة قد تنقلب الى قسوة وشراسة ، اذا ما حل بمجاله ذكر آخر أو أم الاولاد ، ذلك ان الام هنا قد تأكل أولادها لولا يقظة عين الاب التى لا تغمض ولا تنام ، وهكذا تستمر التنشئة والحراسة لاكثر من خمسة عشر يوما ، وبعدها يكبر الاولاد قليلا ، ثم يبدأون فى التجول هنا وهناك ، لكن عين أبيهم لازالت عليهم حارسة ، وتمر الايام ، ويكبر الصغار ، وتتلاشى عاطفة الابوة شيئا فشيئا ، كما يبدأ فى

التخلى عن زينته وماكياجه الطبيعى يوما بعد يوم .. وكما بدأ عاد !

وفى النهاية يعرف ان الاولاد ليسوا فى حاجة الى الرعاية ، فها هو يراهم وقد لجأوا الى التجمع مع اسراب الاولاد والبنات الأخريات ، وهذا يعنى انهم قد بدأوا فى الاعتماد على انفسهم ، وقد يقف كل اب ليلقى نظرة اخيرة على اولاده ، وكأنما هو يتمنى لهم ما يتمناه كل اب لابنائه ، وبعدها ينطلق الاباء ليلحقوا بالاسراب التى تناسب سنهم ، وينطلق الاولاد فى اسراب أخرى ، وهكذا ينفض المهرجان . وتبقى الكوشات مهجورة ، ويحل بها البلى شيئا فشيئا ، ولكن لابد أن تعود يوما ، لتحكى لنا قصة رائعة من قصص حياة لا نراها ، وما أكثر ما لا نرى ، وما أعظم ما نجهل !

واخيرا .. فلتصفقوا معنا لهذا الذكر ، فلقد اثبت لنا عظم المسئولية ، وجلال الرسالة ، ولو كان الامر بأيدينا ، لأقمنا له عيدا !

• • •

ولنترك الآن عالم الخنافس والاسماك والطيور والكلاب والحمير ، ولنقفز فى سلم التطور قفزة كبيرة ، لنعيش بضع دقائق مع اقرب انواع الحيوانات الحية الى الانسان .. ممثلة فى القردة العليا (الشمبانزى والغوريلا والاورانج اوتان اوانسان الغاب) .. وفى القرود الدنيا ذات الأنواع التى يباعد بيننا وبينها مراحل تطورية عمرها عشرات الملايين من السنين .. بعضها ليس له ذيول مثلنا ، وبعضها بذيول !

ولنأخذ واحدا من هذه الانواع كمثال ، وليكن القرد الياباني ، وسبب اختيارنا لهذا النوع أن له تركيبا اجتماعيا معقدا ، كما أن مجتمعاته قد درست بشيء من التفصيل ..

http://nj180degree.com

ولننتقل الان فقرة من مقال بعنوان « سلوك الذكر عند الحيوانات العليا ونظيره عند الانسان » (١) « حيث يذكر مؤلفاها »ان التركيب الاجتماعى للقردة اليابانية قد ينعكس فى انتشارها المتسع عندما تهدأ المجموعة وتستقر فى مكان الغذاء حيث تتكون فعلا حلقات اجتماعية فتحوى الحلقة الداخلية الصغار من كلا الجنسين مع جميع الاناث التى تتمتع خلال حياتها بالمزايا الخاصة فى هذه الدائرة الداخلية ، فتكون اول من يتناول الغذاء ، وتأخذ مكانا امينا وسطا كلما تجولت المجموعة ، ويرجع الفضل لهذا الوضع المركزى الاستراتيجى عندما تتمكن الاناث من ممارسة نفوذها الهام فى التنظيم الاجتماعى .. ويكون اساس التنظيم دائرة داخلية واخرى خارجية مع بعض الذكور المنعزلة وطريدة الجماعة ، وهذه تبقى خارج الحدود ، وعند التحرك تأخذ الذكور التى تعد فى المرتبة القيادية الثانية اماكنها فى مراكز امام الجماعة وخلفها ، وتبقى نسبة ضئيلة من الذكور اليافعة فى الحلقة الداخلية ، وذلك بعد أن تكون قد قضت سنوات خارج حدود منطقة الجماعة ، فبعد بلوغها العام الثانى من العمر تخصص الذكور اليافعة لحراسة الحدود الخارجية لمنطقة الجماعة ، وتخدم فى عمليات الاستكشاف اثناء السير ، واخيرا قد يرقى الذكر الى رتبة مساعد قائد ، وعندئذ يعيش على حافة الدائرة الداخلية ، ويقوم برعاية الاناث الاقل مرتبة عند حدود المنطقة مراعيا عدم ابتعادهن او تخلفهن بعيدا اثناء سير الجماعة ، وفى النهاية قد يدخل الذكر وسط الدائرة ، ويعيش هناك كقائد لها

(١) مقال ترجمه الدكتور عماد الدين أبو النصر – الأستاذ بكلية العلوم – جامعة القاهرة فى الطبعة العربية من مجلة العلم والمجتمع .. تأليف كلير راسيل الإخصائية فى التحليل النفسى ، م . س . راسيل أستاذ البيولوجيا الاجتماعية (مطبوعات اليونسكو) .

يتحكم حتى فى تحركات الانثى البارزة فى الجماعة ، ولا يخرج الا فى حالات الخطر عندما يسترد الاشراف من مساعديه ، وتتقبل الاناث عادة رعاية الزعماء من الذكور ، ولو انه نظرا لان لها السلطة والتحكم فيمن يدخل منطقة الوسط .. فكثيرا ما تحدد اى الذكور تكون له الزعامة ، وكثيرا ما ترفض دخول الذكور الشرسة المتهجمة ، وفى احدى هذه الجماعات ثارت القردة ضد الزعيم الذكر وعزلته ونصبت بدلا منه ابرز الاناث زعيمة للجماعة كلها ، ويبدو انها قامت بوظائف الزعامة الطبيعية .. وهكذا تكون « دولة الحريم » فى مجتمعات القرود .

ويبدو لنا هنا سؤال وجيه : ما هى مؤهلات الذكور المحظوظة جدا حتى تختارها الاناث ذوات المكانة المرموقة فى وسط الجماعة ؟

والجواب كما يجيء فى مقالة راسيل وراسيل « لقد عرف عن هذه الذكور انها تحسن القيام برعاية الصغار ، وانه نتيجة لهذا تحصل على مراكز افضل بين الجماعة ، وتدعها الاناث لتأخذ لها مكانا فى الدائرة المركزية ، وعندما تكون الاناث على وشك الوضع تترك احيانا الصغار من نتاج العام السابق فى حضانة الذكور لتحضنها وتحملها وتنظفها وتحميها » !

ولنجعل التعليق على هذا الموضوع من عندنا هذه المرة .. فالاناث ذات المراكز المرموقة فى عالم القرود تختار الذكور القوية فى آن ، والمطيعة فى آن آخر ، وكأنما قد ضربت عصفورين بحجر واحد ، فاذا اظهر القرد التمرد ضربته وطردته من الجماعة .. اى ان الذكر لابد ان يكون ذا فائدة ومزايا كثيرة حتى يكون مرضيا عليه .. فالضعيف فى عالم القرود ليس مرغوبا فيه ، والقوى مرغوب فيه لقوته ،

http://nj180degree.com

لانه سيورث هذه القوة للاجيال القادمة ، كما انه يستطيع ان يحمى الجماعة ، وفوق كل هذا فلابد أن يساعد الاناث فى تربية الصغار .. اى انه يشتغل عندهن « دادة » .. ليكون مرغوبا فيه !

هذا الفعل نفسه يظهر فى بعض مجتمعات البشر ـ خصوصا المجتمعات التى يصبح فيها للمرأة العاملة مكان مرموق .. فالزوج المطيع افضل عندها من الزوج الذى يظهر عليه التمرد والانفة من المشاركة فى اعمال البيت ، بحجة انه رجل .. عندئذ قد تلعنه سرا او علنا ـ على حسب قدرتها فى كبح جماحه .. ونحن شخصيا نعرف عددا لا بأس به من الازواج الذين قد يشاركون فى اعمال البيت عموما ـ بما فى ذلك المطبخ .. وقد تفخر الزوجات بذلك ، وكأنما الزوج الذى يعرف شيئا عن التدبير المنزلى افضل ممن لا يعرف شيئا ، وقد تسمع منهن هذا التعليق او شيئا قريبا منه فيقلن « دا جوزى امير ومتعاون وبيموت فى حبى خالص » ! .. ولو علمت حقيقة ما يجرى فى نفسه لضربته علقة ساخنة كل صباح ومساء !

ما اشبه بعض اناث البشر ببعض اناث القرود !

ولنا مع القرود عودة !

ذكور تسود .. وأناث تذل !

لو انك لاحظت طوفان البشر ومجتمعاته ، ثم تأملت سلوكه ، ودرست تصرفاته ، لاستطعت أن تحكم من منه قد تزوج ، ومن منه لا يزال فى مرحلة الخطوبة والعسل والحب .. او ما فوق ذلك ، او ما دون ذلك .

والذين ليست لديهم حنكة او فراسة ، فسوف نيسر لهم سبل الملاحظة والدراسة ، ولنأخذهم معنا الى مكان ، وليكن ذا جو شاعرى يوحى بالبهجة والبشر والسرور والحب ، ولنراقب ـ بوعى ـ سلوك البشر من الجنسين (اى الذكر والانثى) ، وهم يتوزعون على موائد تنتشر بين الزهور ، وفى ظل الخمائل والاشجار ، ولنتخير من يجلسون مثنى مثنى ، وليكونوا من الشباب او متوسطى السن ، ولا شأن لنا بمن هم فى سنى الشيخوخة والكهولة ، فلهؤلاء احكام لا تدخل ضمن تلك الدراسة .. فماذا سنرى ؟

قد نرى فتورا .. او قد نلحظ حبورا ، او ما بين ذلك تكون الامور !

فاذا رايت الذكر يتكلم كثيرا ، والانثى قليلا !

واذا لاحظت انه يميل ويقترب منها باعا ، وهى تتمنع بدلال وتبتعد عنه ذراعا !

http://nj180degree.com

واذا شاهدته وكأنما هو فيها قد ذاب ، وعن الوجود قد غاب ، او كأنما ليس فى الدنيا غيرها ، ولا يرى فيها احدا سواها !

ثم اذا رايتها وهى تتطلع اليه ، مركزة عينيها عليه ، ثم تهز راسها بخفة ورشاقة ، وكأنما هى توحى له بانها بوجوده نشوانة (او ربما غير نشوانة .. ويكون كله تمثيل فى تمثيل .. فالانسان مخلوق غريب ، يتساوى فى هذا الذكر والانثى ، وان كان الذكر فى هذا المجال اضعف) !

اذا رايت هذه العلامات البسيطة ، فاعلم ـ يا صاح ـ ان هذا الذكر لا يزال فى مرحلة التودد على الطريقة البشرية ، ولا تزال الانثى فى طور الدلال والتدلل على الطريقة الحوائية .. والتودد والتدلل يحملان صاحبيهما غالبا الى القس او المأذون ، فهذه الجلسة الحلوة تؤكد انهما لا يزالان فى اول الطريق ، وانهما فى دور الحب والهيام ، حيث يقضيان اسعد الايام ، وبعدها ستحل المسئوليات الجسام .. يروح العسل ، ويأتى البصل ، وكذلك يعبرون ويصفون !

ولنتجول بعد ذلك بعيوننا الفضولية (وليغفر الله لنا هذا التأمل البرىء والدراسة العابرة) ، ولنلتقط مشهدا آخر غير بعيد .. ذكر يجلس ساهما ، او يقرأ جريدة او كتابا ، وانثى معه تشتغل « تريكو » او تحيك فستانا .. الكلام قليل « وبالقطارة » ، وان كان كلام الانثى هذه المرة اكثر ـ نسبيا ـ من كلام الذكر ، ومع ذلك فالجلسة راكدة باردة ، يتخللها التثاؤب وعدم مبالاة احد الطرفين بالآخر !

اذا رايت هذه الحالة التى تشبه تليفونا مقطوع الحرارة ، فاعلم انهما متزوجان .. ربما حديثا او لبضع سنين او اكثر من ذلك قليلا !

ولا تعليق لدينا عما يجرى على هذه المنضدة او تلك ، فنحن فقط ننقل صورة .. ربما تراها فى شارع او فى ترام او فى كازينو على شاطىء البحر الواسع ، او على شط النيل العظيم !

لكن .. ما اعجب المفارقات بين جلسة وجلسة ، وحياة وحياة !

وما اعجب المفارقات ايضا فى معرض الجنس والحياة .. فالغزل والتودد الذكرى ، والدلال والتدلل الانثوى ، ثم هذه العاطفة والآمال المتقدة ، او ذلك الركود والبلادة الظاهرة ، ليست الا امورا لها جذور عميقة تمتد الى الوراء عشرات الملايين من السنين ، وتنبثق اساسا من تودد وتدلل ظهر فى عالم الحيوان ، ثم ورثه ذلك الانسان الجالس فى كازينو على شاطىء النيل ، او فى الخلاء تحت شجرة توت او تين !

لكن الانسان مخلوق ذكى خبيث ، فتارة يظهر غير ما يبطن ، وتارة اخرى لا يستطيع ان يفهم ذاته ، ومن هنا كان سلوكه معقدا .. فكل فرد منا ليس الا عالما قائما بذاته ، فلا يتشابه مخلوق مع مخلوق آخر فى الصفات والبصمات والسلوك والطباع والفكر والمزاج .. الخ ، كما ان كلا منا يتودد على طريقته الخاصة ، وللنساء التدلل على طريقتهن الخاصة ايضا .. وقد يكون التودد والدلال ساميا ، او قد يكون حقيرا .. او ما بين ذلك تكون الامور !

وطبيعى ان يكون لكل منا قصة حب او زواج او ربما قصص كثيرة ، ومن هنا لا نستطيع ان نتعرض لكل هذه « التابلوهات » الحية المعقدة ، والاحرى بنا ـ اذن ـ ان نلجأ الى صور ابسط من التودد والدلال ، بلا لف او دوران ..

http://nj180degree.com

ولنترك مجتمعات البشر ، ولنلجأ الى عالم الحيوان .. ففى تودده ودلاله بساطة فى الاداء ، ولقد رأينا بعضا من هذه الصور مع أبى جلمبو وطائر العريشة وذكر السمك ذى الاشواك الثلاثة .. الخ ، الا أن القصة لم تنته بعد ، ولنتعرض لفصول أخرى ، ليتبين لنا كيف نبعت عاداتنا فى الاستعراض والتودد للأنثى !

والواقع أن تودد الذكر ، ودلال الانثى ظاهرتان واسعتا الانتشار فى مملكة الحيوان ، فالذكر دائما يستعرض ويتقرب ، والانثى تدرس وترقب ، وقد ترفض وتقبل .. ولكل نوع من الانواع تقاليده وسلوكه مع انثاه ، وغالبا ما تكون للانثى قدسيتها واحترامها بين الذكور ، فقد يهين الذكر ذكرا مثله أو قد يقتله ، لكن ذلك لا يسرى على الاناث .. فهن فوق العين والراس !

هل لاحظت مثلا حياة ذكر من الحمام مع حمامته ؟ .. هل رأيت كيف يطوف حولها ، ويتمسح بها ، ويكنس الارض بذيله الذى انفرد على آخره ؟ .. ثم هل سمعته وهو يغنى لها اغنيات ذات مقاطع يستحق عليها ضرب النعال ؟ .. طبيعى أنه فى ادائه وغنائه واستعراضاته التى قد تستمر ساعات طويلة (ويا للصبر !) يظن نفسه الفتى الاول والمطرب الاول فى عالمه الذى فيه يعيش ، أو انه ليس فى الامكان احسن مما كان ، ثم قد تراه وهو يسرع اليها ، ليدغدغ راسها بمنقاره ، واحيانا ما تسول له نفسه شيئا ، فيضع بسرعة شفتاه على شفتيها (نقصد المنقار) ، وكأنما هو يقبلها على طريقته الخاصة .. وبالاختصار سوف تشاهد ذكرا ودودا متدلها فى حب « زوجته » التى لا ينفصل عنها ولا تنفصل عنه الا بالموت ، ومع ذلك فكما بدا معها حياته بالحب والتودد والاهتمام ، فانه يستمر فى مغازلتها هكذا

دون أن يكل أو يمل أو يتثاءب أو يشرد ببصره الى الافق البعيد ، كما يفعل ذلك الجالس مع رفيقة حياته فى كازينو الحمام على النيل !

درس عظيم يلقنه ذكر الحمام لذكور البشر .. وحمدا لله أن نساءنا لا يرقبن ما يجرى هناك فى « العشة » فوق السطوح ، وعندئذ قد تكون مصيبتنا معهن ثقيلة وفادحة ، وقد تذهب احداهن يوما الى ساحة القضاء ، وقد تقول : هذا الذكر .. ذكرى ، الا يساوى ذكر حمام .. لقد كان قبل الزواج شيئا مذكورا ، وبعد الزواج شيئا غير مذكور !

ولها فى ذلك كل الحق .. ولتحيا ذكور الحمام ، وليسقط ذكور البشر !

ومع أن معظم ذكور الحيوان اجمل من اناثها ومع انها اكثر جاذبية ، واغنى الوانا ، واضخم بنيانا ، واعظم جلالا ووقارا ، ومع أن اناثها اقل منها فى هذه الامور منزلة (عدا اناث البشر بطبيعة الحال وكما يروق ذلك فى عيوننا لا فى عيون غيرنا) ، الا ان الذكر الحيوانى لابد أن يتباهى بفخامته ، ويستعرض مؤهلاته ويؤدى طقوسه ، ويقدم توددات واحتراماته ، وعلى الانثى أن تتدلل .. حتى ولو كانت قبيحة المنظر .. حقيقة نسوقها لبنى جنسنا ـ عالم ذكور البشر ، فلابد من التودد اليهن بما تيسر .. كلاما كان ذلك أو هدايا أو نقودا أو مسا ولمسا وقبلا وحبا وغراما وجنسا .. فالانثى ـ بلا شك ـ تحب كل ذلك أو بعضه ، ولكل واحدة منهن مزاج ، فان توصلت انت الى لغزها وحقيقتها ، ثم استخدمت السلاح المناسب الذى يرضيها ، فاعلم انك من المقبولين ، وان كنت غير ذلك ، فانتظر أياما عبوسة قمطريرة ، ونكدا وهموما كثيرة !

http://nj180degree.com

صاحب الجلالة الاسد أعظم بهاء من اللبؤة .. الطاووس اروع وأبدع من الطاووسة ، التيس (ذكر الماعز) والكبش والديك والقرد والغزال والوعل وذكر الحمام والسمك والعصفور .. الخ .. ، كلها ذكور ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ اجمل بكثير من اناثها .. وعليك ان تراقب الديك وهو يصيح وتتبختر ، والطاووس وهو يدور حول الانثى ويستعرض ، وذكر الحمام وهو ينفش ريش ذيله على الارض كالمروحة ، والكبش وهو يتجول بين نعاجه ، والتيس وهو ينازل غيره من التيوس حتى لا تعتدى على حريمه .. ومن هنا فقد انخذه الشاعر الاحمق كنموذج حى ليمدح به اميرا من الامراء ، فقال !

انت كالكلب فى حفاظك للود
وكالتيس فى قراعك للخطب

وعندئذ لم يعجب الامير ان يكون تيسا او كبشا او كلبا ، فأمر بضرب الشاعر علقة ساخنة .. وللامير فى ذلك بعض الحق ، لان الخروف او الكبش او التيس لا يعرف كيف يغازل انثاه ، ولا كيف يتودد اليها (طبعا لانه تيس او خروف ، ولانه ايضا ذكر اهبل) ، وربما نبعت السبة من هنا .. رغم انها ليست سبة كبرى ، اذ لو لاحظت التيس وهو يدافع عن معيزه او اناثه ، لكبر التيس فى عينك ، ولربما صغر امامك بعض ذكور البشر وهانوا !

والواقع ان اكثر صور الغزل والتودد والاسترضاء ـ بالحركة والنغمة واللمسة ـ تنتشر بين ذكور الطير والسمك انتشارا واسعا .. لكنها بين ذكور الطير اكثر جاذبية ، واجمل اداء .. ويبدو ان الاستعراض والتودد وما شابه ذلك له تأثير سحرى على الاناث ، لانه ـ فى الواقع ـ يغير فيها فسيولوجية الجسم ، ويثير هرموناتها ، ويهيئها للدخول مع الذكور فى عمليات الاخصاب .. ففى اناث الحمام مثلا

بتضح ان تكوين البيض يمر على الاقل بمرحلتين ، المر
الاولى : وفيها يتجمع زلال البيض ببطء شديد ، وفى المر
الثانية : تزيد بسرعة تكوين البيضة حوالى عشرين ضعفا ،
هذه المرحلة تظهر تغيرات اساسية وجوهرية فى كيمياء جس
الحمامة (او غيرها من طيور) .. فيزيد تركيز السك
الدم ، وتتضخم الغدة فوق الكلية (الغدة الكظرية) مع
من غدد تشارك بنصيب فى العملية ، ويسرع الكبد بنك
بروتينات خاصة لتساعد فى مكونات البيضة .. الخ ، وبـ
ان فترة التودد من الذكر والتدلل من الانثى (فترة الخطو
عندنا) تلعب دورا حيويا ونفسيا فى الاسراع بهذه العملي
البيوكيميائية ، كما قد تسرع ايضا بذكور البشر الى دخ
عش الزوجية !

والذين درسوا الطبيعة الحية يقدمون لنا صورا را
وبديعة لهذا العالم المثير .. عالم الطيور .. انه عالم
قبلنا على ساقين ، ويشترك معنا فى رقصات فردية وجماع
ولو شئنا الدقة اقلنا اننا نحن الذين نشترك معه فى رقصا
فلقد سبقنا فى الظهور على هذا الكوكب بعشرات الم
من السنين !

ولنأخذ طائر الزرزور الوردى rose-coloured starling
حيث نراه مع انثاه فى وضع فردى .. وحولها يدور را
فى خطوات قصيرة وسريعة ، والريش يهتز ويقف وينتشى ،
ايضا يزقزق ويغنى ، وكأنه فى هذا يقلد احد افراد ق
الماو ماو ذوى الرقصات التشنجية المصحوبة بصخ
الحناجر ودقات الطبول ، والانثى عن صاحبنا الذكر لاهي
ويجن جنونه اكثر ، ويرقص اسرع ، ويتشنج اعظم ،
ترق لحاله ، وعندئذ قد تلتفت اليه بطرف عينها ، وقد
فى رقصته شيئامن الاثارة ، فتستجيب له بعد اهمال ، وتدور

http://nj180degree.com

ويدور حولها ، ويزقزق هو لها ولا تزقزق هى له ، وشيئا فشيئا تشتد حرارة الرقصة ، ويسرعان فى اللف والدوران ، وفجأة يلحق بها ، ويقفز عليها ، ويروحان فى لحظة عسل حلوة ، وبعدها تتكرر الرقصة الفردية .. رقصة التزاوج ـ كما يطلق عليها العلماء .

الا ان هناك رقصة تبدأ فردية ، وتنتهى برقصة جماعية ، ويؤديها احد انواع الطيور البحرية الكبيرة المعروفة باسم الجونيس (احد انواع طيور الباتروس Albatross) .. وفيها يقف الذكر وجها لوجه امام الانثى وجناحاهما مفرودان قليلا ، وحولهما تقف مجموعة من الصحاب فى حلقة واسعة لتنطلق منها الصيحات « وطقطقات » بالاجنحة تشبه التصفيق الذى نقوم به نحن معشر البشر عندما « ننسجم » من جسد راقصة تتلوى على خشبة المسرح كالحية . فنساعدها ونشجعها على المزيد .. وكلما اهتزت اكثر ، وتلاعبت بجسدها اعظم ، كلما انطلقت الصيحات ، وسالت الريالة ، وزاد التصفيق .. وعلينا ان نعود الان الى هذا الحفل الراقص ـ حفل الطيور !

فى البداية .. يرفع الذكر والانثى رأسيهما الى السماء ، ثم يحنيانهما بسرعة الى الارض ، ليرفعاها من جديد نحو السماء ، وفيها يحتك المنقار بالمنقار ، وكأنهما يتبادلان قبلة سريعة قد لا تلحظها اعين الفضوليين ، وتعود راس الذكر الى الارض مارة تحت جناحه الايمن تارة ، ثم الى السماء تارة اخرى ، وبها يعود الى الأرض مارا تحت جناحه الايسر ، وكذلك تفعل الانثى ، وفى كل مرة يتجهان فيها نحو السماء ، يحظيان « بقبلة » خاطفة ، وتزيد سرعة اداء الرقصة شيئا فشيئا دون ان تختلف حركة الساق مع الساق ، ثم تزيد تبعا لذلك حفاوة افراد الحلقة ، فتصيح الطيور صيحات اعلى ، وتصفق تصفيقا اقوى ، وكأنما قد حلت بها نشوة كبرى ، وقد يدوخ

الذكر أو الانثى دوخة عظمى ، فينسحب من داخ ، ويبقى من صمد ، واليها يسرع احد الطيور فى الحلقة ليرقص معها جولة اخرى ، وقد تنتشر عدوى النشوة بين ذكور الحلقة وانائها ، فيأخذ كل ذكر منها أنثى ، تماما كما يحدث عندنا فى حلقات الرقص ، اذ تبدأ الرقصة بسيدة وسيد ، ثم تتوافد على الحلقة جموع الراقصات والراقصين مثنى مثنى ، وتهتز الاجساد هزات حمقى . ثم تلتف الذراع على الذراع ، وتصطك الساق بالساق ، وعلى انغام الموسيقى ، وخفوت الاضواء ، وحلقات الدخان ، « وجو » الشراب ، وحرارة الانفاس ، تشتعل الغدد وتنطلق الهرمونات فى دماء البشر ، كما تنطلق ايضا بين الطيور ، وكل مخلوق بطريقته مفتون ، ولا جديد تحت الشمس ـ كما يقولون !

ثم يقدم لنا واحد من علماء الطبيعة الحية ـ ادموند سيلوس ـ صورة اخرى لنوع من الطيور (رف Ruff) التى تتميز ذكورها فى فصل التزاوج بوجود اطواق ريشية بديعة الالوان حول رقابها ، وكأنما الطبيعة تزين عرسانها بعقود طبيعية جذابة ، علها تجعل الذكور فى نظر الانثى مقبولة . ولقد ظل سيلوس يراقب سلوك هذا النوع فصلا كاملا من فصول السنة .. ففى فصل الربيع ـ فصل الحب والزهور والدفء والتفتح والهرمونات ـ تنزع ذكور هذه الطيور انفسها فى مناطق معينة تنتشر فى المروج الخضراء ، واطلق على كل منطقة اسم « التل » ، لانها ترتفع فوق سطح الارض عدة اقدام ، وعلى كل تل يعيش ما بين ستة الى عشرين او ربما ثلاثين ذكرا ، وتقوم كل مجموعة منها بأداء طقوس راقصة تدور فيها دورات مجنونة ، وتهتز هزات محمومة ، وكأنما هى جماعة من جماعات الدراويش المخبولة ، واحيانا ما تتظاهر بأنها تدخل فى بعضها فى الصراع او التقاتل او الملاكمة ، ولا شك انها تقوم بهذ

http://nj180degree.com

الحركات « الصبيانية » علها تنفع فى جذب الانثى . أو على الاقل تثير انتباهها .. وقد تحل « ريف » أو « ريفات » منها ضيوفا على احد التلال (ريف Reeve وريفات Reeves انثى هذا الطائر المعروف برف)، وهنا يتغير النظام ، ولابد للفتيان من القيام بجولة اخرى من جولات الاستعراض ، وبها يتوددون لى اناثهم ، علها تختار ما تشاء .. فالامر امرها ، والحكم حكمها ، بلا رحمة ولا استثناءات !

وعندما تحل ريف على تل الذكور ، فان كل ذكر منها يتخذ وضعا غريبا ، وكأنما هو على الارض يسجد ، أو على سطحها ينبطح ، أو كأنما هو مستسلم لقضاء الله وقدره ، نوع غريب من التودد . وفى هذه الاوضاع الغريبة يفرد جناحيه ، ويغرس فى التراب منقاره ، ويبقى كل واحد على هذا الحال وكأنما هو قد نوم تنويما مغناطيسيا ، وقد يستعرض الفتى منهم نفسه . فيغير اتجاه جسده عله يأخذ وضعا أحسن ، لكن جناحيه يظلان كما كانا ، وكذلك منقاره . وقد تترك ريف كل هؤلاء الاوغاد ، وتطير الى غير رجعة ، ولكن بعد ان تكون قد القت عليهم نظرة ، وكأنما كل ذكر من هؤلاء لم يرق فى عينيها ، أو يستحوذ على اعجابها . أو ان اوضاعهم هذه ليست كافية ، بل ربما تريد اوضاعا اكثر تودد او انبطاحا واستسلاما وخنوعا .. لسنا فى الواقع ندرى ، لكن الذى ندريه ان هذه الريف قد تحط على تل آخر ، ويفعل الذكور مثلما فعل اسلافهم ، وتسير ريف بينهم ، وقد يعجبها رف من الرفوف (Ruffs) ، وعندئذ تلمسه بمنقارها ، وكأنما لسان حالها يقول « لقد اخترتك من كل الذكور ، فانت فتاى المرموق ، ولك قلبى وروحى وجسدى » !

وبقوم الرف عندما يعرف انه من المقبولين المحظوظين :

ويعلق سيلوس على ذلك ويقول : لكن الغريب هنا أن ذكور هذه الطيور قد جاءت بألوان مختلفة فى اطواقها ورقابها ، بحيث اصبح كل رف منها وحيد زمانه (اى فى « ديكوره » الحى الذى البسته له الطبيعة ، وقدمته لذلك الامتحان العويص) ولهذا كان اختيار الانثى لذكورها اختيارا غير متساوى .. ويضيف : ولقد كان هناك طائر منها قام بعمليات اخصاب اكثر من كل العمليات التى قامت بها الذكور الاخرى على التل نفسه ، ومما يذكر ايضا ان نسبة معينة من الذكور لم يسمح لها بالاخصاب على الاطلاق !

ولابد ان يسعد داروين ـ صاحب نظرية التطور والاختيار ـ لهذه الحالة كثيرا ، فنحن الان أمام مشهد حى من اختيار الاناث لذكورها .. ولا شك ان الانثى لها نظرة فى ذكورها تختلف عن نظرتنا نحن اليه .. ونظرتها قد لا تخيب ، فهى تعرف كيف تنتقى الذكر الكفء ليورث كفاءته الوراثية للاجيال المقبلة ، اما الذكور المرفوضة فهى مخلوقات ضعيفة ، وعليها أن تفسح الطريق لمن هو احق بالبقاء .. للاقوياء !

ويقدم لنا ن . ج . بيريل فى كتابه « الجنس والطبيعة الاشياء » صورة حية اخرى عن نوع من الرف أو الريف الذى يهاجر من آسيا وافريقيا ويصل الى أوربا فى فصل الربيع .. فعندما تنزل الانثى بين الذكور ، فلابد ان يقفوا لها جميعا مع تقديم التحيات الطيبة ، والتمنيات بالاقامة المباركة .. والرف لا يصيح ولا يزقزق ، ولكنه على اية حال يصفق للفتاة بجناحيه، ولقد اشاع مقدم الانثى بين الذكور كل بهجة وحبور ، فترى الفتى ينطلق الى فتى آخر ويهاجمه ، لكن بدون اصابات ، اذ يبدو أن ذلك نوع من « البروتوكول » الجنسى أو التوددى ، أو ربما رقصة أو « هبالة » ، أو اى شىء آخر لا ندرى أسراره بعد ، ثم يهدأ الجمع ، وتأتى الذكور الى الانثى ، وتقف امامها

http://nj180degree.com

او حولها وقفة خاشعة مؤدبة ، ولكل ذكر وضعه الخاص ، فمنهم من يرفع جناحيه ، ومنهم من ينحنى ، ومنهم من ينفش ريشه الذى يحيط بعنقه كالطوق .. الخ ، لكن الكل مؤدب صامت خاشع ينتظر قضاء الانثى فيه ، وحكمها عليه .. وتأتى هذه لتلقى عليهم نظرة فاحصة ، وتتجول هنا وهناك فى خطوات ثابتة هادئة رزينة . وقد تتقدم الى احد الفتيان ، ويقع عليه الاختيار ، ولابد ان يحترم الذكور غير المقبولين رغبة الانثى ، ولابد ان يتركوا للفتى والفتاة « أرض » الزوجية .. وتلك هى « الحضارة » على مستوى الطيور ، ولا شأن لنا بالبشر ، فهم ادرى بأحوالهم !

ويعلق هـ . ج . ويلز ، و ج . هكسلى ، و ج . ويلز فى كتابهم « علم الحياة » على مثل هذه الامور ويقولون : ان الدافع لعملية اختيار الانثى لذكورها على طريقة تعدد الازواج (أو لاختيار الذكر القوى لعدد من الزوجات ، كالديك مثلا والدجاج) شىء هام فى هذه الطيور لانتاج اجيال قوية .. ربما اكثر فاعلية من ارتباط الزوج بزوجة واحدة (كما فى الحمام) .. اى ان التعدد هنا مرغوب .. ولكى لا نغضب نصفنا الآخر فلنسارع بالقول ونقول : فقط فى الطيور وغير الطيور ، وليس فى البشر ! (حد الله بيننا وبينهن) .

واذا كان هذا الاستعراض والتودد واظهار القوة من العوامل البيولوجية الهامة التى تؤدى الى اختيار المخلوق المناسب من بين اترابه ، وتقديمه للانثى المناسبة ، فاننا لا نستطيع ان ندرك السر فى تودد أو استعراض يقوم به ذكر من ذكور الحمام امام حمامته ، فهى له ، وهو لها .. بكل ما يعنى ذلك من وفاء واخلاص .. فلم كل وجع القلب هذا ؟

الواقع ان ما يقوم به ذكر الحمام او غيره من طيور مشابهة ليس الا مدخلا نفسيا هاما لكى يهيىء به انثاه ، ويثير

فيها بعض العمليات الفسيولوجية التى تؤدى الى تضخم البيض، ثم السماح له بتلقيحها ، وهناك عديد من التجارب تؤيد هذه الاراء ، اذ يكفى مثلا ان تأتى بأنثى حمام صغيرة ، وتدغدغ لها راسها على فترات كما يفعل ذكرها بمنقاره ، وعندئذ قد يتكون فيها البيض ، الا انها تضعه غير خصيب .

والواقع ان الحديث عن عادات الطيور وطقوسها ، وتودد ذكورها لاناثها ، من الاحاديث التى لا ينضب معينها ، فلكل منها عادات وتقاليد لا نكاد نحصيها عدا ، ويكفى هنا ما قدمنا ، وعلينا ان نستعرض صورا اخرى من حيوانات فى سلسلة التطور ارقى ، لكنها مع ذلك قد لا تكون ارقى فى التودد والمغازلة والاستعراض كما راينا فى عالم الطيور !

والواقع ان الغزل والتودد فى الحيوانات الثديية التى ننتمى اليها ليس على المستوى نفسه الذى نجده فى الكثير من انواع الطير .. ذلك ان التودد فى الثدييات قد يكون من النوع الردىء ، أو قد لا يوجد على الاطلاق .. باستثناء الانسان .. ومع ذلك ففى البشر ضروب من الناس متفاوتة .. فمنهم من يتودد على استحياء ، ومنهم من يذهب فى تتوده الى درجة الفحش وقلة الحياء ، ومنهم من لا يعرف كيف يتودد على الاطلاق ، وهؤلاء « كالانعام او هم اضل » .. فمن طبيعة الانثى ياقوم انها « تموت » فى التودد .. وفى التدلل ايضا ! (البعض يقول : ياعم بلاش وجع قلب ، هوه احنا فاضيين للكلام الفارغ ده ؟ !)

والواقع ان معظم ذكور الحيوان لا يستطيع ان يشاركها فى « حريمها » ذكر آخر ، وهى بهذا تسير على مبدأ تعدد الزوجات ، ولكن بالعشرات وبالمئات ، وربما تكون بعض عاداتنا البشرية مشتقة من تلك العادات الحيوانية .. ونقصد بذلك ما كان يجرى فى الماضى (اى نعنى عهد جوارى السلطان

http://nj180degree.com

وحريم السلطان) .. وعندما تطور ادراك الانسان ، تخلى عن هذه الخصال .. لكنها لازالت تسرى فى عالم الحيوان .. ولقد رأينا صورة منها فى الوعول والغزلان ، ونراها فى الديوك والتيوس .. لكن ما خفى كان أعظم !

ففى سبع البحر وفيل البحر يأتى الذكر قويا مهيبا ، وبضخامة فى الجسم أكثر من ضخامة الانثى .. وفى فصل التزاوج يخرج السبع أو الفيل من الماء ، وعلى شاطىء جزيرة مهجورة يضع الواحد منها « يده » على قطعة أرض ويمتلكها ، ولا يسمح لذكر آخر بالدخول الى وطنه او مجاله .. وعلى هذه الارض تفد الاناث ، وتضع نفسها تحت تصرف الذكور .. وقد يحارب السبع سبعا آخر ، ويدخل معه فى صراع مرير ، حتى يتخلى أحدهما لغريمه عما ملكت يداه ، وقد يطرد السبع غريمه من حريمه ، أو قد يلقيه الى عرض البحر ، وعندئذ لن تولول الاناث نادبة سبعها الذى راح (كما تفعل ذلك بعض نساء البشر عندما يذهب السبع فتصرخ يا سبعى .. يا سبعى) .. فما أكثر السباع التى تفد ، وما أرخصها .. المهم أن الذكر القوى هو الذى يفوز طبعا بنصيب « الاسد » .. لكن قد يحدث أن «يفترى » الذكر على الاناث ، فعندما يكون بعض افراد الانسان والحيوان أقوياء ، يزيد فيهم الافتراء .. طبيعة حيوانية بشرية تجرى على الرجال والنساء سواء بسواء ، لكن .. كلما سما البشر بطباعهم كلما كانوا أقرب الى الانسان منهم الى الحيوان .. لكن دعنا من كل هذا لنعود الى الذكر الذى افترى ، لنراه يمسك انثاه بفمه من رقبتها ، ويلقيها بقوة من فوق رأسه ، لتطير فى الهواء ، ثم تسقط بين حريمه ، وكأنما هو يريد أن يثبت لهن أنه مفتح العينين ، حتى لا تحدث الخيانات من وراء ظهره ، وكأنه بهذا العمل المشين يرفع شعارا بين اناثه مؤداه « كل انثى اضبطها متسللة ، سيكون جزاؤها هذا

الهوان » ! .. اى انه سيتلقفها من « زمارة » رقبتها ، ويقذفها دون رحمة او هوادة ، عبرة تكون عبرة لكل الحريم !

لكن .. مهما كانت عين « السبع » مفتوحة ، ومهما كانت يقظته وحرصه على اناثه ، فان الحريم هن الحريم .. بمعنى أن الانثى لو ارادت شيئا ، فلن يفلح حرص « السبع » فى الحيلولة بينها وبين ما تريد (ونحن نقصد بطبيعة الحال حريم سبع البحر .. ولابد من التنويه عن ذلك بشدة) !

ومسكين حقا هذا السبع الذى على الشاطىء ! .. فبالرغم من حرصه الشديد على اناثه ، لدرجة أنه يهجر الطعام والنوم لايام قد تطول ليكون نعم الحارس اليقظ ، الا ان بعض الاناث تسول لها نفسها بأن تغافله وتقفز الى الماء لتقابل ذكورا أصغر سنا ، واقل مراسا وتجربة من هذا الذكر الواقف هناك .. صحيح أنه قد عرك الحياة وعركته ، لكن ذلك لا ينطبق على الاناث .. ومع ذلك فمما لا شك فيه ان الهاربات من الذكر القوى المتين شاذات وقليلات العدد (والحياء ايضا !) .. ولا معول عليهن ، فالمهم فى الموضوع ان يورث « السبع » القوى قوته للاجيال القادمة !

وربما لو ذهبت الى حديقة الحيوان ، وتوجهت الى جبلاية القرود ، لوجدت الصورة تتكرر فى الجيزة ، كما تتكرر فى الجزيرة ـ نقصد جزيرة السبع فى احد البحار أو المحيطات !

والواقع ان القرود (بما فى ذلك القردة العليا) من اذكى الحيوانات الحية بعد الانسان ، ولها معه بعض صفات وعمليات فسيولوجية مشتركة .. فلاناث القرود دورة او عادة شهرية ، اى انها تحيض ما بين كل ٢٧ ـ ٣٥ يوما .. يتوقف ذلك على النوع ، وتستمر فترة الحيض ما بين ٤ ـ ٦ ايام ، وفى هذه الفترة تختفى عندها الرغبة الجنسية ، وتبدو هادئة الطباع ،

http://nj180degree.com

معتدلة المزاج ، وبعد ان تنتهى فترة الحيض ، تجتاحها رغبة فى الذكر (قد يحدث ذلك ايضا فى بعض اناث البشر ، وقد يحدث قبيل قدوم فترة الحيض ايضا) ، وتبلغ اقصاها وقت افراز البويضة ـ اى فيما بين اليوم السابع بعد الحيض واليوم العشرين .. ولرغبتها علامات مميزة ، اذ تتورد اعضاؤها التناسلية او ما حولها ، وتصبح « مربربة » ومتضخمة (ليس ذلك ـ للاسف ـ من طبيعة انثى الانسان) ، ويتوهج مزاجها ، وتصير سهلة الاثارة .. اذ يحدثنا الذين شاهدوا هذه الحيوانات ان الانثى ـ فى غياب الذكور ـ قد تحك نفسها بانثى اخرى فى عملية « سحاق » متبادلة .. ومع ذلك ، فانت تستطيع ان ترى القردة من نوع الميمون او البابون التى تسكن جبلاية القرود فى حديقة الحيوان وهى تقدم عجزها وتضعه فى وجه الذكر ، وتأخذ بها وضعا نكاحيا مثيرا ، صحيح ان هذا فعل مشين بالنسبة لنا ، لكن هذه الحيوانات لا تدرك معنى الفضيلة والرذيلة ، او التمنع والتبذل كما يدركها الانسان .. كما انها لا تحب اللف ولا الدوران .. فاذا ارادت ، تقدمت ونالت .. قضى الامر ببساطة ، وسارت الحياة سيرها الطبيعى !

ويختلف سلوك القرود ، وتتباين عاداتها وتقاليدها على حسب النوع .. فمنها ما يرتبط بانثى واحدة ، ويبقى لها وتبقى له العمر كله ، ومنها ما يعيش مع مثنى وثلاث ورباع ، ومنها مالا تكفيه اربعون او خمسون زوجة ، ومنها ما تعيش حياة كحياة القبيلة او الجماعة ، لكن عدد الاناث منها قد يزيد مرتين على عدد الذكور ، ومع ذلك فالذكور القوية هى التى تحكم الاناث ، وليس للذكور الضعيفة او الشابة مجال مباح فى الحب والنكاح .. ولا شك ان سلوك القرود فى الطبيعة يختلف عن سلوكها وهى حبيسة اقفاصها .. ونذكر هنا حادثة لتوضح هذا المعنى !

نذكر اننا كنا نقف ـ منذ حوالى عشر سنوات ـ فى حديقة حيوان الجيزة امام قفص به نوع من النسانيس لا نتذكر اسمه ، ولقد راينا فى القفص ذكرا يتودد الى انثاه ويلاطفها ويداعبها ، لكنها كانت تصده تارة ، وتقفز منه بعيدا تارة اخرى ، ثم يتشجع بعد فترة قصيرة ويتقدم اليها ، ويربت عليها ، او يطوقها بذراعه ، علها ترق لحاله ، فلم يزدها ذلك الا تمنعا وعنادا ، ومنه تنفلت هاربة .. ولقد جذب هذا المشهد المثير عددا من البشر ، ووقفوا يتعجبون ويقولون « يا سلام .. تمام بنى آدمين وانسخطوا ! » .. وطبيعى ان العلم لا يعترف «بانسخاط» البشر الى قرود او نسانيس ، والا كان هذا بمثابة نكسة فى الخلق كبرى ، وردة فى التطور عظمى .. لكن دعنا من ذلك ، ولنعد الى النسناس الذى يتعذب فى القفص ، لدرجة ان واحدا من الآدميين قد ثار لعذاب هذا المخلوق الرقيق ، فصاح دون حياء « ياشيخة الله يلعنك .. عذبت الجدع ! » .. ولقد تقدم « الجدع » على حد تعبيره ـ فى محاولة يائسة وامسك بالانثى ، وكانما هو يريد ان يغتصبها اغتصابا ، وعندئذ كشرت عن انيابها وثارت وصرخت ، ودفعته بعيدا ، ولما لم يجد الذكر فائدة ترجى ، جلس هنيهة ، وكانما هو يرمقنا بحسرة ، علنا نتشفع له عندها ، واخيرا وضع عضوه بين يديه ، واتى بحركات جنسية الى ان قذف نطفته حتى كادت تمس اوجه الواقفين ، وبعدها هدا ، وثار الناس على هذا الحيوان وسبوه ، وكانت لهم تعليقات شتى ، وقفشات مضحكة

لكن الناس ينظرون عادة الى مثل هذه الامور نظرة سطحية ، وقد يتسلون ويضحكون ويسخرون ، فى حين ان دارسى الطبيعة الحية يسجلون هنا كل كبيرة وصغيرة ، ومن المشاهدات والتسجيلات الكثيرة تتجمع الخيوط ، ثم تنسج الخيوط فى حقائق ، ومن الحقائق تنبع المعرفة العلمية !

http://nj180degree.com

أن سلوك القرد او النسناس مع انثاه يشبه الى حد ما سلوك الانسان ، فالدافع الجنسى فى هذا النوع يستمر معه معظم أشهر السنة ، وبهذا يختلف عن الحيوانات الاخرى التى هى اقل منه مرتبة فى سلم التطور .. فالجنس عند الطيور والكلاب وسباع البحر والاسود والغزلان موسمى ، وقد يستمر اياما واسابيع ، ثم يختفى تماما ، وكأنما هذه الحيوانات قد اصبحت « خصيانا » .. ذلك ان اعضاءها التناسلية تضمر الى حد بعيد ، ثم تتضخم فى موسم التزاوج ، وتنطلق منها الهرمونات (فى الربيع خاصة) لتدفعها الى التجمع والتزاوج ، أما بعض انواع القرود فخصوبتها تستمر لوقت طويل ، وقد يؤثر حبسها فى الاقفاص على نفسيتها ، وعندئذ تتصرف بطريقة تختلف عن تصرف اترابها فى الطبيعة !

لكن يبدو ان الانثى كانت متوعكة المزاج ، او انها فى فترة من فترات الحيض ، وعندئذ لا تسمح للذكر بالوصال مهما كان الحال ـ حالة معروفة ايضا فى البشر (وقد لا يهتم بها بعضهم احيانا ، فيتساهلون فى ذلك ، رغم ان الذوق والدين قد حض على تجنب هذه الفعال ، ولكنها الغريزة يا صاح !)

النسناس تكويه غريزة الجنس ، وهو لا يستطيع عليها صبرا ، فهى غريزة عجيبة تعذب ذكور هذا الكوكب عموما ، وكأنما هى فى حياتهم شىء هام كالماء والطعام والهواء . ولهذا قد يدفعون فى سبيلها الكثير .. لكن قردنا ليس لديه شىء يسترضى به انثاه ، ومن حقها ـ والحال كذلك ـ أن تبقر بطنه ، وتمزق وجهه ، وليذهب الى الجحيم بشهوته .. مسكين ايضا هذا القرد الذى فى القفص ، فهو لا يستطيع أن يجد فرجا مع انثى أخرى غير هذه الكالحة الوجه .. القاسية القلب ، اذ لو كان يعيش حرا فى الطبيعة ، لاخذها طولا وعرضا ، ليبحث

عن اخرى تخلصه من ازمته ، ولقد هداه تفكيره ، ففعل كما يفعل البشر ، واستمنى كما يستمنون !

ولاناث بعض انواع القرود « اعلانات » طبيعية على ارداقها ، وبالتحديد حول اعضائها التناسلية ، وهى تشبه اشارات المرور الى عالم الجنس .. فاذا تضخمت واحمرت فهذا يعنى ان الطريق امام الذكور مفتوح ، واذا ضمرت ، فلا جنس ولا حب ولا مرور !

لكن هذه العلامات المميزة قد بدات تختفى تدريجيا من الانواع شبه الانسانية التى سبقت ظهور البشر على الارض بملايين السنين ، فمن الكشوفات الحفرية الكثيرة يتبين ان هناك اكثر من اثنى عشر نوعا وسلالة من مخلوقات ـ لا هى بشر ولا هى قرود ، بل كانت تحمل صفات من هؤلاء وهؤلاء ، ولهذا فقد اصبحت بمثابة القنطرة التى عبر عليها الانسان الحالى « نهر » التطور ليصل الى ما هو عليه الان .. ولقد انقرضت كل هذه الانواع ، وبقيت اجزاء من هياكلها ـ ليس لمثلها بين هياكل المخلوقات الحية الحالية شبيه ـ لتحكى لنا فصولا شيقة متتابعة من تاريخ الحياة على هذا الكوكب ، ولتؤكد لنا أن الحياة قد اسقطت ملايين كثيرة من انواع المخلوقات التى لم تستطع ان تتطور وتتكيف بالظروف الطبيعية السائدة حولها ، ولهذا كتب عليها الزوال والانقراض !

ولقد كان الغرض من هذا التطور ـ الذى استمر على ارضنا أكثر من الفى مليون عام ـ ان يأتى مخلوق يستطيع ان يدرك وينطق ويفكر وتكون له حضارات وتراث .. وظهر هذا المخلوق فينا ، وهو مخلوق لا شك بديع ، فلقد اكتسبت المراكز العليا فى امخاخنا مميزات ضخمة لم يمتلكها اى مخلوق آخر سوانا ، ولهذا فان الانسان الذكى ـ رجلا كان او

http://nj180degree.com

امراة – يستطيع ان يحكم على الآخر من تعبيرات وجهه .. حقدا كان ذلك او حزنا او سرورا او اكتئابا او انهاكا .. الخ ، ولهذا فقد تركزت عيوننا على الوجه دون الارداف ، وتلك – فى الواقع – قفزة هائلة تباعد بيننا وبين القرود ، وتميزنا عنها بمميزات جوهرية وهامة ، فحيث يستحسن القرد تلك « الرقعة » الحمراء التى قد تتضخم على ردفى انثاه ، وتصبح له بمثابة علامة مميزة على استعدادها للجنس ، وفى الوقت نفسه وسيلة من وسائل الاثارة للذكر ، الا أن ذلك لا يصح ان يكون لانثى البشر وسيلة ، ولا لذكرها غاية .. فتعبيرات الوجه – فى هذا المقام – ابلغ بكثير من تعبيرات الردف !

والحديث عن هذا الموضوع قد يطول ، لهذا دعنا نفتح له صفحة جديدة !

من أرداف القرود .. إلى أرداف البشر

يبدو ان طبيعة البشر لازالت تحمل شيئا من طبيعة الحيوان ، وان جاءت فينا بطريقة مهذبة لتباعد بيننا وبين سلوكه

كما ان لكل عادة من عاداتنا أساسا قديما ، ولكل شيء مليح فى عيوننا جذورا تمتد الى الوراء عشرات الملايين من السنين !

ولكى نوضح ذلك ، كان لابد أن نتعرض لظاهرة من الظواهر التى أصبحت علامة من العلامات الهامة فى حياة البشر .. ونقصد بها ظاهرة الرقص التى صاحبت الانسان الأول منذ ظهوره على هذا الكوكب الى يومنا هذا .. فلكل شعب من الشعوب رقصاته الشعبية الخاصة به ، وقد يكون الرقص نوعا من التودد .. وقد لا يكون ، لكن ذلك لا يهمنا بقدر ما يهمنا أن نعرف ان انواعا كثيرة من الحيوان تؤدى امام اناثها طقوسا بالصوت وبالحركة ، ولابد ان يكون للحركة ايقاعات خاصة ، لتكون قريبة من رقصاتنا التى تقوم ايضا على ايقاع الموسيقى ودقات الطبول .. فيكون لهذه معنى ، ولتلك مغزى !

لكن أرداف القرود قد جرتنا رغما عنا الى التعرض هنا لعادة من العادات البشرية التى تستخدم فيها الانثى ارداقها لتثير ثائرة الذكور !

http://nj180degree.com

فلاشك انكم شاهدتم الراقصات على خشبة المسرح او فى اى مكان آخر ، وفى كل مرة تبرز الراقصة « واجهتها » الخلفية ، وتهز ما برز منها هزات غريبة تحظ لها عيون الذكور ، وعندئذ يصفقون تصفيقا ايقاعيا ، وقد يصرخون صرخات تحمل معنى الاستلطاف والاستحسان . وعلى قدر حرارة الصراخ والتصفيق ، تنطلق طاقة الراقصة قوية هادرة ، فتهتز الارداف اكثر ، وترتعش بمعدلات أكبر . ومعها تهتز عيون المتفرجين اعظم . وهذا ينبئك بالخبر اليقين .. خبر اننا لازلنا نحتفظ فى ذاكرتنا البدائية ببعض عادات القرود .. فقد راينا ان ما كان يثير ذكور القرود فى الجبلاية ، او فى الاحراش والغابات ، يثير البشر ذوى الياقات المنشاة ، واربطة العنق المنتقاه .. لا فرق بين فرد ومدير .. كبير او صغير !

اضف الى ذلك ان البشر يميلون بطبيعتهم الى « الفرفشة » والسرور ، لان مجيئنا الى الحياة قد كتب وقدر فى ساعة من ساعات الرضا والحبور .. اى اننا ابناء جنس وحظ ، ولا يمكن لغير هذا أن يكون !

نعود لنقول : انه لا يزال تحت جلد كل ذكر منا آثار قرد . وتحت جلد كل انثى بقايا قردة ، فنحن معشر الذكور قد نستملح ما تستملحه القرود ، ولقد منحت الطبيعة اناثنا « تضاريس » او « روابى » فى الارداف وعلى الصدور ، لتميز الذكر عن الانثى ، ولهذه معايير خاصة . ومقاييس محددة من اختراع بعض الذكور الخبثاء ، وبها ضحكوا على عقول بعض الفتيات والنساء ، واستدرجوهن الى مسابقات يطلقون عليها مسابقات ملكات جمال العالم ، او ملكة الشاطىء او الاغراء او غير ذلك من مسميات شتى .. المهم أن الانثى تمر شبه عارية على اعضاء هيئة التحكيم (ونظن انهم من عواجيز مراهقين) ، ليروا تضاريسها ، ويضعوا الدرجات على حسن تناسقها ، فكان للخصر

درجة ، وللردف درجة وللصدر درجة وللسيقان والوجه والرقبة .. الخ ، وبهذا اصبح للبشر امزجة تقترب من امزجة القرود ، لكنها تتفاوت بقدر ما تتفاوت انماط تفكيرهم ، ومع ذلك فما قد يروق فى اعيننا قد لا يروق فى اعين الآخرين .. فالقردة ـ على قبحها ـ اجمل فى عين القرد من ملكة جمال العالم ، ولو اتينا له ـ اى القرد ـ بهذه وتلك ، لفضل قردته على ملكتنا !

اذن .. فلقد وضع القوم من « القرود البشرية » للأرداف درجة ، وبهذا اصبحت من العلامات البارزة التى تحدد انوثة الانثى .. ويبدو انها قد عرفت هذه النقطة من الضعف فينا ـ ربما عن طريق القردة او عن طريق عيوننا وثرثرتنا ، واستملاحنا لذلك فى السر وفى العلن ، ولهذا جاء « التكتيك » ليلعب دوره فى رقصة على خشبة مسرح ، او فى رواية لا ينسى المخرج أن يظهر لنا فيها عينة بشرية تعرف كيف تهز بردفيها عيون المشاهدين ، او ربما نرى ذلك فى الشارع ، حيث يصبح « لتكنولوجيا » الكعب العالى دورا هاما فى احداث « رجات » ردفية معقولة او فيها شىء من الاثارة والمبالغة ، وبها ترج مشاعرنا رجا .. فمنا من يستملح ، ومنا من يستعيذ ويلعن !

ثم عليك ان تلحظ سلوك البشر عندما تقدم عليهم من بعيد انثى حلوة رشيقة تتبختر كما تتبختر « ام جلمبو » التى سبق ان قدمناها قبل ذلك (وليس لأم جلمبو ارد ف على اية حال) ، وعندئذ قد تجحظ عيون بعض الشباب والرجال (الا من رحم ربى) .. وتنتقل نظراتهم الفضولية من قمة الراس الى اخمص القدم حيث الكعب العالى الذى يحدث صوتا كصوت حوافر الخيل .. والخيل من الحيوانات الرشيقة ،

http://nj180degree.com

وكذلك النساء .. وتمرق الانثى مارة بتلك العيون الوقحة ، ومع انه قد يباح أن تلقى نظرة على الواجهة الامامية للانثى ، الا انك سترى نسبة منهم (والنسبة متروكة لتقديرك ولتكتيكها) وقد دارت برؤوسها ١٨٠ درجة – أو ربما اكثر او اقل – لتلقى نظرة فاحصة على الواجهة الخلفية .. طبيعى ان هذا السلوك وقاحة من الفاحصين .. لكن لا تلوموا الرجال ولا تلوموا النساء ، فلكل عادة او استملاح جذور قديمة .. فالتطلع الى الوجه خاصة .. والى « الواجهة » الامامية عامة لابد ان تكون عادة بشرية حديثة ، لكن ان تدور رؤوسنا نصف دورة لكى تلقى نظرة على ما وراء « الكواليس » فتلك عادة القرود كما سبق ان المحنا .. وقد يعلق ذكر وقع على ما رأى بصوت مسموع ، وقد يقول ضمن ما يقول « عجبى » .. أن لها مؤهلات خلفية تفوق ما ملكت من مؤهلات امامية » .. (طبيعى قرد ابن قرد) وقد يسمعه – لسوء حظه – احد رجال شرطة الآداب ، وقد يمسكه من قفاه بتهمة انه قد تفوه بالفاظ تجرح الحياء العام ، فيروح المظلوم ، ويبقى الظالم !

اضف الى ذلك أن مصممى الازياء – ارضاء لنظرة الذكر الفرد وخبث الانثى القردة – قد توصلوا منذ قرون الى اختراع عظيم وفعال وجذاب وفيه ضحك على الذقون – ذقون الذكور ، اذ صمموا تجهيزات خاصة تضعها بعض الاناث فوق أردافهن الضامرة ، لتبدو شامخة أمام العيون ، وبها ترضى طموح القرود – قرود البشر !

لكن الغريب حقا ان الفراعنة قد سجلوا على آثارهم سلالة من البشر قصيرة القامة ، سوداء اللون ، متضخمة الأرداف بشكل واضح .. الا اننا لو ذهبنا الى احدى القبائل الافريقية لوجدنا

ان ذكورها يرون ان تناسق بنيان المرأة وجمالها يتركز فى ارداقها فكلما ارتفعت وتضخمت ، ارتفعت الانثى فى عين الذكر ، واصبحت امرأة فخمة – اجتماعيا وجنسيا ، ومن هنا تبدأ النساء فى العناية بها وتربيتها (اى الارداف) فى بناتهن بداية من سن التاسعة او العاشرة ، وتستمر حتى سن البلوغ – فى تمرينات صعبة تبدأ بانبطاح الصبية على بطنها ثم تأتى امها او احدى قريباتها وتمسكها من قدميها ، وتضغطهما الى اعلا بحيث يؤدى ذلك الى تحريك الردفين نحو ظهرها (الحركة لا شك قاسية) ثم تقوم بتدليكهما تدليكا عنيفا لدرجة ان ذلك قد يحدث نزيفا (ولقد جاءت الراوى حالة من هذه الحالات) ، ثم تعطى الصبية كوبا من السمن لتشربه ، أو تأكل كميات كبيرة من الدهون ، وبمثل هذه التمرينات الطويلة والعنيفة تبرز الارداف وتتضخم ، وتصبح احدى العلامات الجمالية المميزة فى نساء القبيلة !

والواقع أن التودد البشرى ليس كالتودد الحيوانى ، وأن كان يحمل بعض جذوره أو بذوره ، فنحن معشر ذكور البشر لا نصفق ولا نرقص ولا نهتز أو نصيح كما يفعل ذكور الحيوان .. لكن يكفى ان نتطلع ونغمض الطرف ونستملح ، فالانثى الحديثة (أو المودرن كما يصفها البعض) تثرثر بشفتيها دون كلام ، وتنطق بوجهها دون سلام ، وتتحدث بمؤهلاتها الانثوية الكثيرة ، لنتحدث نحن سرا أو علنا لنطرى هذا الجمال ، فاذا لم نفعل ، كنا فى عرفها الواحا ، او اننا مخلوقات بدائية ليس لديها نظر ، او ربما كالعميان او اضل .. والمرأة الحديثة انثى واعية لكل ما يدور حولها .. وهى تحس من خلال التطلعات البصرية ان ذلك نوع من التودد الصامت ، وفى الكلام الهامس نوع من المديح والاطراء ، وعلى كليهما تعيش الانثى ، كما تعيش على الهواء والغذاء ، وبدونهما قد تموت كمدا !

http://nj180degree.com

ولكى تستحوذ الأنثى على أنظارنا . كان لابد من عمل « ديكورات » هائلة فى كل مكان على الجسد .. تتوقف قيمتها على يسار حالها او عسره ، لكن الشىء الملاحظ دائما ان المرأة تتأنق للشارع اكثر مما تتأنق فى البيت (ونحن ايضا ..لكن على خفيف) ، ولهذا فقد رصد العالم ميزانيات ضخمة للرموش والعيون وحول الجفون والحواجب والشعور والشفاه والوجنات والرقاب ، وفى الاذن وما خلفها قليلا ، وتحت الابط ، وفى المعاصم والاصابع والأظافر (لا تنس اظافر القدم من فضلك) وعلى الصدور او ما تحت ذلك * ، ولو سألت عن السر فى ذلك ، لقيل لك انها تهوى ذلك ، لأننا بدورنا نهوى ذلك ، ومع ذلك فلو عدت الى ميزانيتنا ، لوجدت ان ما يصرف على تجميل الجسد اكثر مما يصرف على الكتب .. اى ان ميزانية المستلزمات البدنية والجنسية اهم واضخم من ميزانية المستلزمات العلمية والعقلية ، كما ان اتعاب رقصة بطن او هزة ردف نصف ساعة او ساعة ، تساوى « هزة » عقل مفكر مائة يوم او ساعة (كل ذلك متروك ايضا لتقديرك) .. وهذا ينبئك بالخبر اليقين .. ذلك ان الناس يميلون للجنس اكثر مما يميلون للفكر ، او للتسلية اكثر من الجدية ، وتلك طبيعة أصيلة فى كثرة من البشر .. يستثنى من ذلك قلة قليلة تأخذ كل الامور اخذا ثقيلا ، فيصبحون على الناس ايضا عبئا ثقيلا !

ثم عليك ان تتجول بعينيك فى المعروضات التى خصصت لهن ، والتى خصصت لنا ، تجد نصيب النساء منها اضعاف

(*) مما يستحق الذكر فى هذا المجال تلك الحالة التى رواها لى صديق عندما ذهبت أمه لتخطب له فتاة من ذلك النوع الذى يهتم بالتبرج ، وعندئذ نظرت الأم إلى ابنها وقالت : أى بنى « إن كل جزء من جسم هذه الفتاة يحتاج إلى ميزانية خاصة ، ودخلك لا يكفى مصاريف مظهرها .. فما بالك بالباقى ياكبدى؟ ..

نصيب الرجال ، ولا اعتراض لنا على ذلك ، فالمرأة ولا شك مخلوقة جميلة ، وهى تستحق كل هذا وزيادة ، ذلك ان عمرها محسوب « بالقطارة » .. وراس مال الانثى يتركز فى شبابها وانوثتها وجمالها ، وكل هذا يحتاج الى صيانة .. والصيانة تستلزم اشياء كثيرة ، وهذه تتطلب مالا ، والمال من الذكر ، ولابد ان يدفع ، حتى لا يصبح طلقة فى مدفع ، ويروح فى خبر كان !

وفى الحديث الشريف يجىء ما معناه : أن المرأة تنكح لثلاث : لجمالها ومالها ودينها .. لكن لجمال المرأة شقين : شقا جسديا يحسب بالسنوات . وشقا روحيا لا يحده عمر ، ولا يقف فى طريقه سن ، وهو لهذا ابقى من الجسد واعظم ، وتأثيره اعم !

ونحن نفهم ان تتجمل الانثى من البشر ، لكننا لا نستطيع ان ندرك السر الذى من اجله « يتجمل » الذكر .. فلقد ظهرت لنا على آخر الزمن « نسبة » ـ والحمد لله قليلة ـ من شباب لا هم لهم الا تقليد الانثى فيما تلبس وتتزين .. من ذلك مثلا ان الفتى قد لجأ الى الكعب العالى ، لكن ذلك لا يستقيم الا مع الردف العالى ، والصدر العالى ، وليست هذه من صفات الرجال فى قليل او كثير .. ولا ندرى اية نتيجة تلك التى يسعى اليها الفتيان من هز ارداقهم وبمساعدة الكعب العالى .. فالردف من الميزات البيولوجية للانثى ، وليست للذكر ، فان سعى هو الى ذلك ، فقد يرجع الى نداء انثوى ضامر يناديه بأن يتحلى ببعض صفات انثوية ، ويتخلى عن بعض صفاته الذكرية ..

ومما يساعد الكعب العالى على « الشغل الاستعراضى » ان يأتى الفتى أيضا بشعور متهدلة على الجبين وعلى القفا ،

http://nj180degree.com

ولابد – والحال كذلك – ان يلجأ الى صالونات خاصة ليكوى منه ما طال ، ويسوى ما فسد ، فاذا انسدل شعره على عينيه او جبينه ، اتى بحركة من حركات التدلل الانثوى ، وهى التى تهز الانثى فيها راسها هزة سريعة ، فينحسر شعرها عن وجهها برشاقة تجذبنا نحن معشر الرجال . ورحم الله شاعرنا على الجارم حيث يقول :

ويل الشباب من النعومة انها
اعراض سم للشعوب وشيك
ما اتعس الزمن الجديد بفتية
قتلوه فى التصفيف والتدليك

ثم تاتى ثالثة الاثافى فى بنطلون يضيق على ردفيه بشكل واضح ، حتى اذا سار بكعب عال ، اهتزتا بوضع فاضح .. اضف الى ذلك قمصان وسترات ذات صبغة حريمى ،وكلها اشياء تجعل من الصعب علينا ان نتوصل الى تمييز الفتاة من الفتى ، اللهم الا اذا اسرعت انت الخطى ، ونظرت الى الواجهة الامامية ، ولا تنظر للوجه ، فاحيانا ما قد يخدعك فى نعومته وتقاطيعه التى تشبه وجه الانثى ، وقد تكون سعيد لو رايت له شاربا او ذقنا ، فان لم تجد لا هذا ولا تلك ، فليس امامك الا النهدان ، ففى بروزهما قد يتميز الذكر عن الانثى !

ونحن – من الناحية البيولوجية – نعتبر الثديين من الاعضاء الثانوية ، فى حين ان الغدد الجنسية من الاعضاء التناسلية الاولية، وقد ياتى الملبس والسلوك بعد ذلك فى المرتبة الثالثة . . فتصرف الانثى غير تصرف الذكر ، وطبيعتها غير طبيعته ، ولهذا كانت «ملابسناهى ريشنا»– كما يعبر عن ذلك جون لانجدون ديفيز فى كتابه

« بذور الحياة » .. وهو يقصد ان للذكور ريشا اجمل واروع من ريش الاناث ، بحيث تستطيع ان تعرف الديك من الدجاجة دون ان تفحص اعضاءهما التناسلية فحصا دقيقا ، وكذلك يمكن تمييز الطاووس من الطاووسة ، وذكر الحمام من الحمامة ، والظبى والتيس والخروف من الظبية والمعزة والنعجة (عن طريق القرون) .. ولا تنس ايضا تلك الهالة من الشعور المتهدلة على قفا بعض الحيوانات مثل الاسد والقرد ، لنفرق بينهما وبين اللبوة والقردة !

ويعنى هذا ان الحياة قد وضعت علامات مميزة لتفرق بين الذكر ، والانثى ، ويعنى ايضا ان الحيوانات قد اصبحت اسعد حظا منا نحن معشر البشر ، ففيها تبدو الذكور بصفات ، والاناث بصفات اخرى ، الا ان ذلك قد اصبح من الامور العسيرة احيانا فى حالة شبابنا « المودرن » او المتحضر * .. فباسم تشور الحضارة او النكسة فى التطور تخلى بعضهم عن « ريش » الذكور ، وتحلوا « بريش » الاناث !

لكن الحضارة حضارة خلق وفكر وعقل ، لا حضارة شعر وكعب وردف !

(*) لكون هذا التقليد قد ورد من بلاد الفرنجة ، إذن فهو دليل – فى عرف هؤلاء – على الحضارة والتقدم والمدنية ، وهنا تكمن عقدة النقص . إلا أنه من الملاحظ أن معظم هؤلاء الشباب يبدون كالقرود وهم يتماجنون بشعورهم المتجعدة الخشنة ، ووجوههم الكالحة التى تعلوها غبرة ، ولقد ظلمنا القرود عندما قارنا بين شعور هؤلاء وهؤلاء ، فشعور القرود ناعمة .. والتشبه بالخنافس يعنى أنهم ينتمون إلى أولاد الذوات . وتلك عقدة أخرى .. وربما يكونون من ذوات الظفر والحافر.

http://nj180degree.com

ونحن نعلم تماما أن الانثى المتزنة لا يهمها فى الذكر منا كعبا يتبختر ، او شعرا يتهدل ، او ردفا يهتز .. لانها ستسأل حتما عن مركز الذكر الاجتماعى ، بعد ان تلقى نظرة فاحصة على « مركزه » البدنى والرجولى .. وذلك ـ فى الواقع ـ نوع من الاختيار الطبيعى السليم .. فالمركز الاجتماعى المرموق يعنى عقلا اكفا ، وفكرا انضج ، « والمركز » البدنى القوى يعنى صفات وراثية مرغوبة ، ولا شك ان تلك ستورث للاجيال القادمة ، وهذا يعنى ان الحضارة الحقيقية حضارة عقول فى المقام الاول .. وتأتى الاجسام بعد ذلك فى المرتبة الثانية .. فرب اشخاص لهم « جسم البغال ، واحلام العصافير » !

وماذا يتمنى الذكر منا فى انثاه ؟

انوثة واضحة ، وجمالا معقولا ، ومعاشرة بالمعروف ، وشيئا من تفتح عقلى وامورا اخرى تختلف فى تفاصيلها من ذكر الى ذكر .. فلكل ذكر مزاج وطباع ونظرة تختلف عن نظرات الذكور الاخرى .. فلسنا نسخة بالكربون من بعضنا ، ولهذا كان لابد أن تختلف امزجتنا ، فليس صحيحا انه « اذا اطفئت الاضواء ، تساوت النساء » .. فالذى قال ذلك لابد ان يكون غبيا من الاغبياء .. فحاسة اللمس فى الظلام تستطيع أن توضح لنا الكثير مما يخفى على عيوننا .. وكذلك حاسة السمع والشم .. وعندئذ يتبين لنا كم كان شاعرنا على حق عندما قال « والاذن تعشق قبل العين احيانا » .. وكما تختلف النساء فى الظلام ، كذلك يختلف الرجال ـ فلكل مخلوق طبيعة وبناء وملمس ورائحة وبصمات ومزاج .. الخ ، تميزه عن اى مخلوق آخر .. فالكلب يستطيع ان يميز كلا منا برائحته. والجسد يرفض عضوا ليس من ذاته .. وهكذا يتبين ان الذى قال « اطفىء .. تتساوى » .. لا يفهم ولا يدرك شيئا

من اسرار الخلق ولا الجنس ولا الحياة .. فهو كالبهيم .. او ربما اضل !

والواقع انك لو سألت اية انثى هذا السؤال البسيط : لو ان الله قد خيرك بين نعمة الجمال وبين المركز والجاه .. فماذا تفضلين ؟ .. لأجابت دون تردد : نعمة الجمال .. ذلك أن راس مالى فى جمالى !

وكان لابد ـ والحال كذلك ـ ان تعتنى الانثى براس مالها ، ولا احد يلومها فى ذلك ، لكن لابد ان نلوم الذكور لو انصرفوا عن تنمية العقل (بالمعرفة والقراءة والسلوك) الى تنمية الشعور وابراز الارداف ، او الوقوف طويلا امام المرايا .. فى البيت وفى الاماكن العامة وفى المصاعد .. او اى مكان فيه مرآة ، لدرجة اننا نخشى (من كثرة ما لاحظنا ورأينا) ان يحمل الفتى حقيبة كحقيبة الفتيات والسيدات فيها مرآة ومشط وعطور .. الخ ، ليتزين كما تتزين الاناث ، او كما زينهت الطبيعة ذكور الحيوانات .. ولا نظن أن الانثى الحقيقية (اى ذات الرقة والنعومة والانوثة) ترضى بشاب ناعم رقيق يشاركها فى بعض صفاتها الانثوية .. ذلك ان طبيعة الكون والحياة تمنع ذلك .. فالاشياء المتشابهة تتنافر كما تتنافر الشحنات الكهربية والاقطاب المغناطيسية المتشابهة .. فالرجل منا يحب فى المرأة نعومتها وانوثتها ، ويفر من « استرجالها » وخشونتها ، كما ان المرأة الناعمة تحب فى الرجل خشونته ورجولته وكرمه وتوده .. بالكلمة والهدية والمصروف فعادة اغراق الفتاه او الخطيبة بالهدايا يعنى ـ على حد تعبير كل من لوراس ومارجيرى ميلن فى كتابهما « احاسيس الحيوانات والبشر » ـ ان الخطيب « سيصبح ممولا حسنا لبيت الزوجية فى المستقبل ، وانه سيتحمل ـ بكرم ـ اعباء

http://nj180degree.com

الاسرة » .. وبجوار الهدايا تظهر الشبكة والمهر فى المقام الاول ، وكل ذكر ومستواه المالى والاجتماعى !

ويذهب ميلن وزوجته الى التعليق على هذه العادة ، فيذكران انها عادة حيوانية ، ذلك ان بعض ذكور الحيوانات الثديية والطيور والحشرات تتودد الى اناثها بهدايا من طعام او هدايا رمزية او هدايا فارغة .. المهم ان الذكور تعبر لاناثها عن حسن نواياها ، واحيانا ما تحمل النوايا بذور السوء ـ لا يختلف فى هذا ذكر البشر عن ذكر الحشرة !

اذن .. فالصفات المختلفة التى تميز الذكر عن الانثى هى التى تجذب هذا الى تلك .. اى انهما هنا كالقطب الموجب والسالب ، فاذا دخل احدهما فى مجال الآخر ، كان لابد من التجاذب ، وهذا ما تسعى اليه الحياة دائما ليكون التزاوج والتناسل والتكاثر ، وبهذا تحل الاجيال الجديدة محل القديمة ، فتأتى وجوه وتروح اخرى !

ولا شك ـ كما سبق ان ذكرنا ـ ان الارداف الممتلئة من العلامات الجنسية الثانوية التى تميز الانثى عن الذكر ، وهى بلا شك احدى المعالم الجمالية فى المرأة ، ولهذا فان الشاعر الانجليزى جيوفرى شوسر الذى عاش فى القرن الرابع عشر يرى أن جمال الأنثى يتركز فى « ارداف عريضة ، ونهود عالية مستديرة » !

وفى كتاب « مقالات شهيرة فى العلم » يقدم مارتن جاردنر دراسة كتبها هنرى هيفلوك اليس Ellis (١٨٥٩ ـ ١٩٣٩) بعنوان « ما الذى يجعل المرأة جميلة ؟ .. وفيها يعدد الصفات الجمالية ، ويرى أن الاعضاء الجنسية الاساسية ليست مثيرة بالدرجة التى نراها فى الأرداف والنهود والسيقان والخصر ..

الخ ، ولقد انعكس البناء الجسدى الانثوى على الطريقة التى تسير بها الانثى .. فنساء بعض الدول الواقعة فى الجنوب (يقصد جنوب اوربا .. وربما يشير الى ايطاليا واسبانيا) يشتهرن بجمال خطواتهن وتناسقها ، او كما يعبر عن ذلك الشاعر الرومانى القديم فيرجيل فيقول « ان الالهة تتجلى فى مشيتها » ! .. فالحركات الاهتزازية للارداف اثناء السير اصبحت من العلامات الجنسية المميزة .. وقد تصبح اكثر اثارة عندما تتصنع المرأة ذلك .. وهذا نراه اوضح فى بعض الدول الواقعة خارج اوربا ، بحيث اذا سارت المرأة ، سار معها الاغراء والفتنة الجنسية (ونحن نشفق على «خنافسنا» من هذا الوصف الجارح لرجولتهم) !

ويشير اليس فى هذا الصدد الى المرأة العربية بوجه عام ، والمصرية بوجه خاص ، ويطرى مشيتها ويمتدحها (ويبدو انه لم يطلع على رقصها البركانى ، اذ لو اطلع ، لوصف وصفا يدهى به عقول الرجال) ، ويشير الى انها تتثنى وتتدلع (كغصن البان) اذا سارت ، ويساعدها ردفاها على هذا الدلال المعروف باسم « الغنج » .. فالمرأة الغنجة هى التى تتلاعب بجسمها بطريقة مثيرة يسيل لها لعاب الرجال

والخلاصة ان اليس يصل فى استنتاجاته الى ان الصفات التشريحية للانثى تختلف اختلافا جوهريا عن الرجل ، ولقد انعكس ذلك على مشيتها ، وعلى اردافها .. وصدرها ان اردت ذلك ، وفى ذلك الكفاية لبعض عينات من شبابنا الذى يتبختر ويتثنى ويهتز بكعبه العالى ، ليهتز ردفاه ، رغم اننا ـ والحمد لله ـ لسنا من قوم لوط ، ولا نحب اللواط !

ويبدو ان بعض شبابنا يحبون التقليد الاعمى . وهم فى ذلك يشتركون مع القرود ، فهى ايضا محبة للتقليد .. والواقع

http://nj180degree.com

ان تقرب الذكر من الانثى وتقليدها فى بعض سلوكها وملبسها يرجع الى عادات الشعوب التى نبعت منها هذه الظاهرة القبيحة ، ففيها يبيحون الشذوذ الجنسى ، ولا مانع – والحال كذلك – ان يتزين الذكر للذكر . فقد ارتبط احدهما بالآخر ، كما يرتبط الذكر بالانثى ، وربما كانت النتيجة الحتمية لذلك هو تحطيم الحواجز التى تفصل بين الذكورة والانوثة .. لكننا – والحمد لله – مجتمعات لا زلنا نحتفظ باصالتنا وتقاليدنا التى تضع الرجل فى مكانه ، والانثى فى مكانها .. ومن اجل هذا تحسدنا نساء الغرب على رجولتنا ، ويحسدنا رجالهم على انوثة نسائنا .. فسحر الشرق ينبع اساسا من سحر المرأة .. وكم تغنى الشعراء فى هذا السحر وكم افاضوا !

ومع ذلك فالردف العالى ، والصدر العالى قد جاءا فى المرأة ليؤديا وظائف فسيولوجية محددة .. فالصدر لادرار اللبن وللرضاعة ، والردف مخزن للدهون للسحب منه عند الحاجة .. اى ان النساء هنا كالجمال فى الصبر والتحمل وفسيولوجية تحويل الدهون الى ماء وطاقة ولبن .. اى ان للردف الانثوى وظيفتين (او ربما ثلاثا او اربعا اذا اردت انت ذلك *) : وظيفة اعلانية تجذب انظار الذكور ، كما يجذب الفردوس المحرومين ، ووظيفة فسيولوجية وبها تسحب منه الانثى مخصصاتها المدخرة اثناء الجوع والحمل والرضاعة . ولابد ان ذلك كان رحمة من الله بالانثى ، خصوصا عندما عاش الانسان فى العصور القديمة لائذا بالكهوف والمغارات . وكانت الذكور تخرج للصيد فى ظروف قاسية ، علها توفق فى الحصول

(*) الثالثة والرابعة ليستا ذات أهمية بيولوجية .. فالثالثة قد تريح فى عملية الجماع ، والرابعة قد تثير الذكر عن طريق اللمس باليد .. وكلاهما على أية حال مفيد فى بعض الأحيان والأحوال .

على طعام للاناث والرضع والاطفال ، وقد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، وعندئذ تشتغل الميكانيكية البيولوجية فى الانثى الحامل او المرضعة وتعوضها من مخزن الدهون فى ردفيها ، ومنهما الى جنينها او رضيعها ، الى ان يأتى الله بالفرج ، فيعود الى المخزن رصيده .. وهكذا يقوم الردف مقام البنك .. اى ان هناك دائما ارصدة مدخرة ومسحوبة .. الا ان عملة الردف طاقة تقدر بالسعرات او الكالورى الحرارى ، وعملة البنك نقود وشيكات وما شابه ذلك ، وكلاهما بلا شك مفيد فى الحياة .. فالنقود الزائدة .. تعنى طعاما زائدا . يعنى دهونا زائدة .. تعنى ارداقا متضخمة .. مالم يوازن الانسان بين ما يأكل وبين ما يحرق او يستهلك .

لكن يبدو ان الحياة قد اضافت للانثى مكرمة بيولوجية هامة جدا لتحافظ على حياتها فى حين انها تقصف بها عمر الذكور .. فالاطباء وعلماء التغذية يحذروننا دائما من زيادة وزن اجسامنا بعد سن الثلاثين ، لان الزيادة تتمثل لنا فى دهون مختزنة ، والدهون – فى عمليات التحول الغذائى – تؤدى الى كوليسترول، والكوليسترول يؤدى الى امراض القلب والشرايين .. وهذه تظهر بوضوح فى الرجال ولا تظهر فى النساء الخصيبات .. اى اللاتى لم يبلغن سن اليأس ، فاذا بلغن هذه السن ومررن بها ، ارتفعت فيهن نسبة الكوليسترول والجلطات وامراض القلب والشرايين .

ومع أن مخزون المرأة من الدهون ضعف المخزون عند الرجال، الا انها لاتصاب كما نصاب ، والسبب يرجع الى تأثير هرمونات الجنس الانثوية بشكل واضح على كيمياء الدهون ، فتؤدى الى خفض نسبة الكوليسترول فى الاناث فى حين انها ترتفع فى الذكور .. فاذا وصلت الانثى الى سن اليأس ، واختفى الطمث الشهرى ، وافتقد الجسم الانثوى هرموناته التى كانت تشرف

http://nj180degree.com

على تجهيز الرحم للحمل ، فان ذلك يؤدى الى زيادة نسبة الكوليسترول فى دمائها بدرجة ملحوظة ، فتصاب كما نصاب .

والواقع ان فى هذا التغيير حكمة عميقة ، وهو دليل جديد على اهمية الانثى من الناحية البيولوجية .. فكأنما الحياة قد منحت الانثى وثيقة تأمين مؤقتة ضد امراض القلب والجلطات والشرايين طالما هى بقيت خصيبة ، فاذا فقدت خصوبتها ، سحبت الحياة منها وثيقة تأمينها ، وتعرضت الاناث لما يتعرض له الذكور ، ولكن بدرجة لازالت اقل لأن الرجال يتعرضون دائما للاجهاد والتوتر ووجع القلب بمعدلات اكبر ، ولهذا كانت نسبة قصف اعمارهم ادهى وامر !

على خنافسنا اذن ان يعتنوا بتنمية ارداقهم اكثر من تنمية مداركهم وعقولهم ، وتنمية الارداف تحتاج الى مخزون من الدهون ، ولعل هذا المخزون يصيبهم بالازمات التى تقصف اعمارهم ، فيريحون ويستريحون ، فلسنا فيهم راغبين ، ولا لخنوثتهم منجذبين !

ولتحيا ارداف النساء ، ولتسقط ارداف الذكور .. او فليذهب هؤلاء بشعورهم وارداقهم وكعوبهم الى الجحيم .. اللهم آمين !

لقد اضاعوا وقتنا .. وحطموا كبرياءنا .. واضحكوا علينا اناث العالمين .. الا لعنة الله على المخنثين فى كل آن وحين !

ومسكين والله هذا الصنف من اشباه الذكور .. فلا شك انهم يحسون بنقص لا ندرى كنهه ولا طبيعته ، ومع ذلك « ففاقد الشىء لايعطيه » .. ولعلهم يدركون فيعودون ويرشدون !

رائع حقا عالم النساء !

لقد كان اختيارنا من البداية لعنوان « مسكين عالم الذكور » ثم بدايتنا بمقدمة « نكد او دكر » من العناوين المطابقة للحال ـ حالنا نحن معشر ذكور البشر فى عالم الانسان والحيوان .. فلقد اتضح لنا ـ من خلال ما قدمنا اننا من الناحية البيولوجية الجنس الاضعف ، وهن الجنس الاقوى والاحسن والاثمن ، ومن هنا كان اختيارنا فى النهاية لذلك العنوان « رائع حقا عالم النساء » .. ليكون الختام مسكا على ايديهن باذن الله الواحد القهار !

وقد يقال ان فى ذلك نوعا من التحيز او التودد لهن او الخوف منهن .. ونحن ـ فى حقيقة الامر ـ لانخشى الا الله المعز المذل .. ثم المراة .. فهى ايضا قد تعز وتذل ، ويقال ، والعهدة على الراوى ـ وهو من المتزوجين القدامى ـ ان ذلها لذيذ .. لذيذ جدا ! .. ونحن لا نستطيع ان نهضم لذة الذلة .. ويبدو ان العقل البشرى قد اختل كما يختل العقل الاليكترونى . فخلط بين حروف لذة وذلة .. (لاحظ انها نفس الحروف) !

ومع ذلك .. فالمراة ـ بلا شك ـ مخلوقة جميلة ، وهى الانثى الوحيدة التى ابدع الله تكوينها ، وصهرها فى قالب من الحسن والتناسق والبهاء ، لتحلو فى عيون البشر رغم ما قد يلاقون منها بعد ذلك من امور تجعل منها لغزا كبيرا يستعصى على الحل .. خصوصا اذا ملكت وتملكت .. ومع ذلك فهى لطيفة ولذيذة ..

http://nj180degree.com

فلأول مرة فى التاريخ البيولوجى تتخلى الحياة عن الذكر من البشر ، وتصب عنايتها على انثاه ، وتقدمها له على هيئة مخلوقة تختلف عنه فى الصوت والملمس والقوام والطباع والخطوات وفى كثير من الامور الباطنة التى لاتهمنا هنا كذكور (مثل العمليات الفسيولوجية والهرمونية والكيميائية .. الخ) .. اذ كل مايهمنا منها قد مليح ، وثغر جميل ، وشعور ناعمة متهدلة على كتفيها، وعيون نظراتها كالسهام ، ولغتها ابلغ من الكلام ، ومعانيها أروع من خطب الخطباء ، وحديث المتحدثين والفقهاء والعلماء .. ومن هنا ـ وكما سمعنا وكما نعلم ونرى ـ قد يتراهن بعضهن على ذكر ـ اى ذكر تشاء بأى مركز او فئة تشاء ـ لتوقعه احداهن فى شباكها من اول نظرة .. وربما من ثانى نظرة او ثالث او عاشر نظرة .. المهم ان الذكر يقع والسلام .. (وكل فولة ولها كيال) !

ولقد وزعت الطبيعة لمسات جمالها على ذكور الحيوان .. فراينـاها فى الاسماك وفى الطيور والاسود والقـرود والوعول .. الخ ، وبهذه اللمسات الفنية ـ التى قد تأخـذ بالباب البشر (مثل ريش الطاووس البديع) ـ يستطيع الذكر ان يستعرض نفسه امام انثاه .. وفى الانسان انقلبت الآية ، فكان الاستعراض والتدلل للانثى ، والتودد والغزل للذكر .. ولقد ذهب الانسان بعقله المتطور ، ومخـه المدرك ، وتمييـزه الناضـج بين القبـح والجمال ، والفضيلة والرذيلة ، والحب والكراهية ، والتناسق والفوضى .. الخ ، ذهب الى اختراع امور كثيرة جدا ليزين بها أنثـاه .. ذلك ان معظم الاختراعات القديمة والحديثة من اختراع الرجال .. لكننا نجد انفسنا فى حل من التعرض لهذا الموضوع الطويل ، ويكفى ان نذكر ـ فى ذلك المجال ـ ان معظم بيوت الازياء من اختراع الرجال .. والذى يستطيع ان يحكم على الانثى هو الرجل لا المراة ، والعكس ايضا صحيح .. المهم ان العطور والمجوهرات والمساحيق والدهانات والملابس الخاصة

والعامة « والكورسيهات » « والسوتيانات » وما خفى وما ظهر من آلاف الاصناف التى تملأ مجلدات فوق مجلدات .. كل هذا وغيره كان من صـناعة العقل الانسانى الخلاق ، ليضفى لمسات من الجمال على انثاه ، لتصبح أروع وأبدع واقوى مخلوق على هذا الكوكب .. لا فى العضلات ، ولكن فى التخطيط والرسم والكيد والسياسة التى تتوافق مع مقتضيات الحال .. وكل هذا ـ بلاشك ـ يحمل فى طياته معنى الذكاء .. وبهذا السلاح العظيم تتغلب الانثى ـ لو شاءت ـ على الذكر ، او ربما عشرة او مائة او الف .. او كما تشاء .. المهم انها بذكائها قد تخطط، ونحن نطبق وننفذ .. وقد نصاب ونموت دفاعا عن الشرف المثـلوم ، او الاهانة التى قد تأتيها من الذكور ـ فشرف الانثى غال ومصون ـ ولكن ما اكثر ماهدر ويهدر فى كل آن وحين ، ودون أن يظهر ذلك او يبين ، وفى ذلك الكفاية لقوم يفقهون فيفيقون !

والتاريخ مليء بالمواقف الكثـيرة التى ظهر فيها تأثير الانثى على الذكر .. فقديما قيل ان قابيل قتل أخاه الاصغر هابيل من اجل الانثى ولا شك ان هذه اول حادثة قتل تتم فى النوع البشرى .. قتل من اجـل الانثى ، وبسحر الانثى وروعتها وتأثيرها .. واذا صح ذلك ، فلا غبار عليه من حيث المبدأ ، فلقـد جاء الذكور ليموتوا من اجل الانثى .. لا يختلف هـذا فى قابيل او هابيل والوعل وخنفس الوعل وابى جلمبو والحشرة وزعيط ومعيط ونطاط الحيط .. فكل هذا من اجل الاختيار الطبيعى للاقوى .. والاقوى يقتـل الاضعف ، لتصبح الانثى للاقوى .. وقد يعترض البعض على ذلك ، وقد يقولون : ان ذلك لا يمكن أن يكون ، وان كان ، فلابد أن يكون هـذا منطق الحيوان .. لا الانسان !

ولكن الانسان حيوان عاقل متحضر ناطق .. اى ان حضارته ومدنيته تمنع ذلك ، وتضع حدا فاصلا بينه وبين الحيـوان ،

http://nj180degree.com

ولكن .. من قال لك ان هابيل وقابيل كانا متحضرين وهما يعيشان فى الغابات ؟ .. لابد اذن ـ والحال كذلك ـ أن يسرى عليهما قانون الغاب .. ولا قانون هناك ـ فى الواقع ـ الا هذا القانون .. ولابد أن يتغلب القوى على الضعيف ، والله دائما فى جانب القوى ، حتى يستطيع الضعيف أن يغير ما به من ضعف .. « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » ، ضعفا كان ذلك أو كيدا أو مكرا أو تواكلا .. الخ . وهذا هو ناموس الله فى خلقه ، ولا يعرف ذلك الا « اولو الالباب » !

ومهما تكن الامور ، فلاشك أن للقصة معنى واضحا وعميقا . فلقد قتل الأخ أخاه من اجل انثى .. وبعدها لم يسدل الستار . وتنسى « الرواية » بل ان المسرح ـ مسرح الحياة ـ يفتح ابوابه كل يوم ليقدم لنا قصصا اخرى كثيرة .. التخطيط فيها للانثى ، والتنفيذ للذكر .. او يكون اثر الانثى على الذكور اقوى من العقل ومن الحياة .. فيروح الضعفاء ، ويبقى الاقوياء .. يسجن الاغبياء ، والبراءة للاذكياء .. يسقط الرجال ، وتحيا النساء !

ومن أعماق التاريخ ايضا تبرز قصة يوسف وعجل قوم موسى (لاحظ ان هذا العجل المعبود كان من حلى النساء) كليوباترة مع قيصر وانطونيو ، ودليلة مع شمشون الجبار ، وامراة ابى جهل وشجرة الدر .. وما خفى كان اعظم .. ولكن الله حليم ستار ..

صحيح أن النساء اضعف فى العضلات .. وصحيح ان هذا النقص قد ادى قديما الى اغتصاب الرجل للمراة بالقوة ، او خطفها وحملها عنوة .. وصحيح ان آثار هذه العادة لازالت موجودة فى بعض اجزاء من ريفنا المصرى بطريقة مهذبة ليس فيها ضرر او اغتصاب بالمعنى المفهوم ، ولكنها تحمل فى طياتها

بذور الماضى * .. وصحيح أن هناك حالات من اغتصاب الفتيان للفتيات (ليست مأساة بنجلاديش ببعيدة .. اذ اغتصب الجنود اثناء الحرب بين بنجلاديش وباكستان والهند آلاف الفتيات والنساء مما نتج عنه آلاف من حالات الحمل غير المشروع) . . وصحيح أن ذكر الانسان هو المخلوق الوحيد الذى قد يغتصب انثاه عنوة (ومعه ايضا فى هذه الصفة بعض أنواع العناكب) ، فى حين أن ذلك لا يمكن أن يحدث فى الحيوان، لأن « عصمة » الجنس بيد الانثى ، وليس للذكر فى ذلك حيلة، فهى التى تحركه وتثيره ، وهى التى تجمعه وتطرده ، وهى التى تسعده وتشقيه ، وهو بالنسبة لها ليس الا بمثابة آلة حية تضغط الانثى على زرارها فى الوقت المناسب ، فتدور لتنكح ، ثم تتوقف وتنام عن الجنس اسابيع طويلة ، وشهورا عديدة ، او ربما العام كله .. وصحيح أننا معشر ذكور البشر نتصرف مع الانثى بوازع من ضميرنا ودِيننا وخلقنا وقوانيننا التى قد تبعث بنا الى غياهب السجن فيما لو ادعت علينا أنثى (مجرد ادعاء) اننا تهجمنا عليها واردنا بها اعتداء ، وعندئذ لن تنفعنا عضلاتنا ولا مراكزنا .. اذ لو كان الامر امر عضلات ، لاصبح الفيل والحمار والاسد والنمر والحصان سيد الانسان .. لكن السيادة لا تنبع من العضلات ، بل مردها غالبا الى العقل ، ومن اجل هذا يسيطر الانسان على الحيوان ، وتسيطر المراة على الرجل ، لانها تعرف مكامن الضعف فينا ، وفى قصة دليلة مع شمشون الجبار رمز عظيم لهذه الظاهرة المحيرة .. والظاهرة المحيرة هى المراة .. وفى المراة سلاح مكين ، وسر دفين ، وسحر مبين .. ولا شك أن لديها ـ بجوار كل هذا ـ حاسة عجيبة تقف معها

(*) تتلخص هذه العادة فى إصرار العريس على إنزال عروسه من مركبتها ، ثم حملها بين ذراعيه ، والانطلاق بها جريا إلى حيث عش الزوجية ، وهناك يتركها ، ثم يعود إلى أصحابه ، وبعد ذلك يأتى اليها حلالا طيبا بعقد نكاح شرعى .

http://nj180degree.com

لتعوضها عن قوة العضلات التى افتقدتها ، ومن أجل ذلك كان عندها حق عندما تقف شامخة واثقة مما تقول وهى تقول « الرجل طفل كبير » .. بداية من آدم عليه السلام ، الى كاتب هذا الكلام عليه الامان ! (منهن طبعا) ! ..

لكن .. لماذا تنظر الينا الانثى مثل هذه النظرة « العيالى » ؟ اى لماذا تعتبرنا أطفالا أو عيالا كبارا ؟

لانها تدرسنا فى ساعات ضعفنا .. اى أنها قد ترمقنا بحسرة كما يرمق الاستاذ تلاميذه الذين لا يريدون ان يكبروا فى معلوماتهم ، أو يتطوروا فى مفهومهم ، فلو أننا درسنا الذكور فى ساعات الرضا والحبور والملذات الانثوية كما ندرس مثلا سلوك خنازير غينيا (وهى حيوانات تستخدم فى كثير من التجارب البيولوجية والطبية) ، لتبين لنا أن الرجل الفضنفر ـ بعد أن ينتهى من مهامه الهرمونية ـ ينام بين ذراعى الانثى كما ينام الطفل الوديع بين ذراعى أمه ، وقد يناجى نفسه وقتها هامسا « عجبى .. لقد تبخر كل شىء فى لحظات .. النار الى رماد .. والحب الى برود ، والقوة الى ضعف ، والرجولة الى طفولة .. عجبى .. عجبى » ! . ثم قد ترمقه الانثى ـ باشفاق ـ وهو واجم ساهم صامت بعد ان كان كالبركان المتفجر بالطاقات والكلمات والآهات .. واضيفوا الى ذلك ما تشاءون من معلومات، لتكتمل الصورة ، ونصل الى الحقيقة ، وما نحن اليها بواصلين، لكن الذى سنصل اليه حتما أن انتاجنا من « اللحوم » البشرية ـ نتيجة لتمسكنا بالعملية الجنسية دون ضابط ولا رابط ـ اكبر من انتاجنا من اللحوم الحيوانية .. ومن هنا انخفضت قيمة الانسان وزادت أسعار الحيوان .. نعنى لحم الماشية والطير وما شابه ذلك !

ورائع حقا عالم النساء .. ومسكين عالم الذكور ـ ذكور الانسان !

لكن مما لاشك فيه اننا فى الانثى نتكون ، ومنها نخرج ، وعلى صدرها نترعرع ، ومن ثديها نرضع ، وتحت رعايتها ننمو وتكبر ونلف وندور ، واليها نعود ، ولكن بادراك جديد ، حيث نعيش فى دنياها الى يوم معلوم !

يعنى هذا ان فى حياة كل ذكر منا ـ بالتأكيد ـ انثى .. قد تكون أما او اختا او زوجة او حبيبة .. المهم ان هناك انثى يتأثر الذكر بها فى حياته ، وقد تدفعه الى الامام ، وتجعل منه عظيما من العظماء ، او بطلا من الابطال ، او قد تشده الى الخلف ، فتخرب الدار ، وتيتم الاطفال ، او ما بين ذلك تكون اقدار النساء !

ومن هنا تبزغ روعة الانثى ، وتبرز خطورتها ، فيكون تأثيرها عظيما فى الوحى الذى قد يهبط على المفكرين والفنانين والفلاسفة والكتاب والشعراء .. ثم ان بركاتهن لا شك فيها فى توزيع الكتب والمجلات الجنسية التى تبرز مفاتنهن (الرجل ضعيف حتى امام الصور .. ومن هذا الضعف تنبع قوة التوزيع) .. كما ان مشاركتهن فى ادوار الاغراء لمن العوامل « الاستراتيجية » الهامة فى انجاح التمثيليات والافلام ، وبها يصعدون الى « قمم » المجد بمساعدة مؤهلات المجد التى تتفوق فى عائدها على المؤهلات العقلية وارقاها .. ومع ان « المجد لله فى الأعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » .. الا انه مع المسرة ايضا تبرز المراة .. والى المراة .. انطلق روح الله ، ومنها خرجت على هيئة السيد المسيح ، ليؤدى دوره بين الناس ، وليكون من المنقذين للبشرية ، والداعين للسلام .

والمراة تحفظ دين الرجل ، لكن الرجل لا يستطيع ان يحفظ دين المراة ، فاذا أحس الرجل بضعفه ، واذا شعر بعدم القدرة على الاعتماد على نفسه ، سعى الى الارتباط بزوجة لتدير له

http://nj180degree.com

شئونه (والمراة بمفردها تستطيع ان تدير شئونها بنفسها) ، ولتكمل له نصف دينه .. اى ان الرجل بدون زواج ناقص الدين .. وربما يكون ناقص العقل .. لسنا فى الواقع ندرى ، ولكن الذى ندريه اننا لم نسمع أن امراة تزوجت لتكمل نصف دينها برجل ، ومع ذلك فقد تكمل له احيانا دينه ، وقد تعريه من النصف الذى به قد دخل !

وكثيرا ما تروق فى عقولنا سيرة عظيم من العظماء ، او انتاج مفكر من المفكرين ، او اديب من الادباء ، وقد ترسم لهم هالة من القدسية والاجلال ، ومع ذلك فبمقدور المراة ان تلعب بعواطفهم فى الشيخوخة والشباب على حد سواء .. وغالبا ما يعرى هؤلاء انفسهم فى سيرة حياتهم عندما يصدقون فيما يكتبون ، فزكى نجيب محمود يذكر بعض ذكرياته فى « قصة نفس » كيف كان شعوره فى ايام شبابه عندما تقابل مع فتاة فى مثل عمره وهو صائم فى شهر رمضان فى منزل اسرة يعرفها « وقد جلست الى ماكينة الخياطة تهز قاعدتها بقدميها ، وتمسك الثوب المخيط بيديها ، فيكون لجسمها بهذه الحركة شىء من التوقيع والنغم ، أما انا فقد حييت وجلست الى منضدة قريبة وفتحت القرآن ـ وكنت احمله معى ـ واخذت اقرا فى همس ، وكان كيانى كله عندئذ كان هو ذلك القرآن .. اخذت اتلو فى همس ، مدخلا نفسى فى عالمه ، ومازجا معانيه ـ بقدر ادراكى لها ـ بشغاف قلبى ، ودخل عم الفتاة يسالها ـ ان كان لديها شىء يلف فيه ثوبا جديد على ذراعه ، واجابت بالنفى ، وخرج العم ، وعلقت الفتاة بعبارة تشير بها الى معنى خفى ، وقرنت العبارة بابتسامة تنادى ، وبنظرة تدعو ، فاذا كنت قد رايت شرارة النار ماذا تفعل بكومة من الدريس الجاف ، فقد رايت ماذا فعلت تلك الشيطانة بجسدى الذى كان الصوم قد جففه . لقد اشعلت فى احشائه نارا ـ على سبيل الحقيقة لا على سبيل

المجاز ـ لاننى احسست عندئذ لهب النار ياكل جوفى اكلا ، ويعلو الى وجهى فيشويه ، وتحول كيانى المتلهب الى عينين ذاهلتين تنظر الى الشيطان وقد تجسد فى انسانة من البشر ، لكن لسانى لم ينطق بحرف ، وتسمر بدنى كله على مقعدى ، وعيناها مازالتا تدعوان ، وابتسامتها مازالت تنادى » * !

ويذكر عباس محمود العقاد فى « انا » * « ليس الحب بالغريزة الجنسية ، لان الغريزة الجنسية تعم الذكور والاناث ، ولا يكون الحب بغير تخصيص وتمييز ، وليس الحب بالشهوة ، لان الانسان قد يشتهى ولا يحب ، وقد يحب وتقضى الشهوة على حبه ، وليس الحب بالصداقة ، لان الصداقة اقوى ماتكون بين اثنين من جنس واحد ، والحب اقوى ما يكون بين اثنين من جنسين مختلفين » .

ويقول عن حبه للمراة « انها لتثير فى الرجل شعور القوة وشعور الجمال وشعور اللذة ، وشعور الالم ، وشعور الجموح والانطلاق من قيود المنطق والحكمة ، وشعور الانسان كله ، وشعور الحيوان كله .. بل تثير فيه الشعور بما وراء الطبيعة من اسرار مرهوبة ، ومن اغوار لا يسبر مداها فى النور والظلام »!

ويقول العقاد ايضا « منذ الازل وقفت الفتنة الى جانب ، ووقف الى الجانب المقابل لها حكماء الارض وهداتها ومشرعوها ، واصحاب النظم والدساتير فيها .. قالت هذه كلمتها ، وقال الحكماء والهداة كلمتهم ، ونظرت ونظروا ، ووعدت واوعدت ، ووعدوا واوعدوا ، وامامك الناس اجمعون فاسالهم واحدا

(*) عن دراسة نشرت بالهلال لعل بركات فى « المراة والجنس فى المجتمع العربى المعاصر » بعنوان أدباؤنا والاعترافات الجنسية .

http://nj180degree.com

واحدا : كم مرة سمعتم هذه ، وكم سمعتم هؤلاء ، وانا الضمين لك ان فى تاريخ كل انسان مرة واحدة على الاقل سمع فيها لهذه الفتنة ، ولم يسمع معها لحكمة الحكماء ، ولا شىء من الاشياء » .

والاعترافات كثيرة ، ولو جمعت من صدور البشر ، لملأت خزائن من الكتب ، ولأجمعت كلها على ان كل واحد ممن جمعته الظروف بالفتنة المجسدة ، لابد وان يكون قد ضعف امامها .. اذ مما لاشك فيه ان الانثى قد تركت بصماتها على جلد كل منا، وكثيرا ما كان تأثيرها فوق ارادتنا ، وغالبا ما يتغلب نداؤها على صوت العقل فينا ، ورغم ذلك ـ ولذكائها العظيم ـ توحى لنا « بغمزة » عين حلوة اننا لازلنا سادة هذا الكوكب بعلومنا وفلسفاتنا وديناتنا واختراعاتنا وغرورنا .. ثم تأتى بعد ذلك بفتنتها لتسود على هؤلاء السادة دون ان يدروا او يدروا لست ادرى !

ولا شك ان الانسان يختلف عن الحيوان فى امور جوهرية وهامة .. فحيث تتحكم الهرمونات فى الحيوانات ، فتجعل منها دمى جنسية حية ، وتدفعها دفعا لاشباع غرائزها ، لتأتى من وراء ذلك ذرية ، نجد ان الانسان هو المخوق الوحيد على هذا الكوكب الذى بزغ فيه نور العقل والحكمة والجمال والادراك والمثل والمعرفة .. الخ . وبجوار ذلك تلعب الهرمونات لعبتها ، ويقع الانسان احيانا فى صراع جبار بين غريزته وعقله .. وقد تتغلب الهرمونات على العقل والارادة . فيسلك سلوك الحيوان، وقد يحدث العكس ،فيصير على طبيعة الانسان .

ويختلف الانسان ايضا ـ والى حد ما ـ عن القرد فى نظرته للانثى .. فحيث تنصب عينا القرد على ردفى انثاه ، نجد ان عيوننا قد سمت وارتقت وتطلعت اولا الى وجوه الجنس

الآخر .. والواقع ان العين لم ترتق حقا ، ولكن الاساس يتركز فى امخاخنا التى تطورت فادركت معنى الجمال . . فالانسان هو ايضا المخلوق الوحيد الذى يستطيع ان يقرأ ما قد يظهر على وجوه الآخرين من انفعالات ، ويستشف ما يبدو عليها من عواطف ، ويعرف ماقد يرتسم فى العيون من لغات .. لاهى مقروءة ولا هى مكتوبة ، ومع ذلك فاثرها يغنى عن اى شىء عداها .. وكانما وجوه البشر وعيونهم بمثابة لوحات حية رائعة يبزغ منها الشعور بالرضا والطمأنينة والاستسلام والصرامة والبراءة والخبث والمكر والدهاء والدعوة الى الحب والحنين الى الجنس .. الخ ، أى ان لانسان هو الكائن الوحيد ذو الوجه المعبر دون ما ثرثرة او غلبة او ضوضاء .. ولا يعرف وجه الحيوان عن ذلك شيئا مذكورا .

وعندما تطور العقل ، واستقام الجسم وانتصب فى تناسق على ساقين وقدمين ، واصبح للوجه ـ بتعبيراته المختلفة ـ المقام الاول فى جذب انتباهنا ، ثم يأتى الجسد بعد ذلك فى المرتبة الثانية .. عندما حدث هذا ، كان الانسان ايضا هو الخلوق الوحيد الذى اصبح بمقدوره ان يجتمع جنسيا مع الجنس الآخر وجها لوجه .. ربما يستثنى من ذلك الاسد واللبؤة ، اذ يقال ان اللبؤة تستلقى على ظهرها كما تفعل نساء البشر ، ويقال ايضا انها تأتى باصوات تشبه التأوهات التى تنطلق من البشر عند ممارسة النكاح ، لكن الاسد بالتأكيد لا يرى فى وجه اللبؤة شيئا يستحق ان يتطلع اليه ، او يتأمل فيه ، فى حين ان ذلك من الامور الهامة التى قد تشد من ازر الانسان وهو يؤدى مهامه الجنسية فى قبلة يذوب فيها ، او لمسة تثيره ، او نظرة تلهب مشاعره ، او تطويقا بالذراع او بالذراعين ، او وضع الخد على الخد ، او اى امر آخر يشعل فيه الجذوة ، ويؤجج النيران ، ويمنح الطاقة ، او قد يصاب بالقرف والغثيان

http://nj180degree.com

والضمور .. كل هذا يتوقف على تعبيرات الوجه الذى يتطلع اليه ..

والانسان ايضا هو المخلوق الوحيد الذى يستطيع ان يأتى انثاه فى مائة وضع ووضع ، او اكثر من ذلك او اقل ، فى حين ان الحيوان لايعرف من ذلك الا وضعا يتيما يؤديه بطريقة اوتوماتيكية اشبه ماتكون بوضع مفتاح فى ثقب الباب فيشعر باللذة . وبعدها ينتهى الامر ، ويحدث الحمل .

الا ان مافات من امور الحب والغزل والود والاستعراض والحب والجنس والغضى والآهات والعذاب والسعادة والهيام والأحلام والخيال الذى يحلق بصاحبه او صاحبته فى دنيا الورود والعطور والجمال .. كل هذا ليس الا فقرة صغيرة فى مقدمة متواضعة فى كتاب مخلوق جديد سيتشكل جنينا ليجىء الى الحياة .. وهنا تبرز امام الانثى الام اصعب واعظم واروع واسمى رسالة يمكن ان يقوم بها مخلوق على ظهر هذا الكوكب . فعليها الحمل والوضع والرضاعة والسهر والعناية بمملكتها الصغيرة فى فترة تعتبر من اغلى واعز فترات حياتها . وليس للزوج فى كل هذه الاعباء الخطيرة والثقيلة نصيب كبير . . اذ عليه ان ينطلق ويسعى ليمول ويمون ثم ينطلق من جديد .. فاذا اضفنا الى المراة اعباء العمل الخارجى - بجوار اعبائها الاساسية - فان ذلك يوضح لنا قوة احتمالها وصبرها ، ولاشك ان الحياة قد امدتها بطاقات خفية حتى لا تنهار كما ينهار الرجال .

ونحن - بلا شك - ابناء امهاتنا فى المقام الاول . كما اننا ننتسب اليها اكثر مما ننتسب الى آبائنا . فلقد كانت علاقتنا بها اقوى (من حمل الى رضاعة الى طفولة وصبا) ، ولقد قضينا معها اوقاتا اطول بكثير مما قضيناه مع آبائنا . وكان ارتباط

الابناء بالامهات اقوى من ارتباطهم بالاباء ، وحتى التجارب التى اجريت على هذه الظاهرة تؤكد ذلك ، فاذا رأت سيدة صورة فوتوغرافية لسيدة اخرى تحمل طفلا ، فان حدقة العين تتسع بنسبة ١٧٪ ، فى حين ان الرجل لا يهمه هذا المنظر كثيرا ، انما تتسع حدقته اذا وقعت عيناه على صورة فاضحة ، او انثى فى وضع من اوضاع الاغراء ، او منظر من المناظر الطبيعية الخلابة . وهذا يعنى ان الاهتمام فى الانثى ينصب على الامومة ، وفى الذكر على الجنس والطبيعة الحية ، والذى يتحكم فى اتساع انسان العين منطقة صغيرة فى المخ تقع فى مراكز الابصار .. ونحن فى حل من التعرض لسرد المزيد ، فليس لمثل هذه التجارب هنا مجال ، لكن يكفى ان نذكر اننا نتأثر كثيرا بأمهاتنا اكثر مما نتأثر بآبائنا ، فالأم هى المربية الحقيقية للاجيال ، وهى الاساس فى بناء الدول ، وقد تكون ايضا العول الذى يهدمها .. وما أروع ما عبر عن ذلك الحديث الشريف عندما يشير الى حقيقة هامة فيقول « تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .. وما اصدق الرسول الكريم عندما نسب نفسه الى امه ، لا الى ابيه فقال « انا ابن امراة كانت تأكل القديد » .. وما قاله امير الشعراء احمد شوقى شعرا :

الأم مدرسة اذا اعددتها ... اعددت شعبا طيب الاعراق

واحيانا ما تخرج الحكمة ايضا من افواه العامة ، فتراهم يعبرون عن ذلك بطريقة فجة ، لكنها تحمل بذور الواقعية .. « اكفى القدرة على فمها ، تطلع البنت لأمها » .. والعلم ايضا يؤكد كل هذا بيولوجيا ووراثيا ونفسيا .. ومن هنا يبرز دور المراة الخطير ، ورسالتها الجليلة .. فهى الاساس ، ونحن عجينة فى يدها ، وهى التى تشكلنا منذ الصغر .. ان خير فخيرا ، وان شرا فشرا ، ولهذا يقولون انه « من وراء كل رجل عظيم امراة » .. ونضيف ايضا ان من وراء كل مجرم خطير

http://nj180degree.com

امراة اخرى .. لكننا لا نقصد « وراء » بمعناها الحرفى الذى قد تشدقت به يوما واحدة من المتحذلقات المناديات بالمساواة عن غير دراية او فهم ، (ولو شئنا العدل نحن معشر الذكور لطالبنا مساواتنا بالنساء) واعترضت هى على ان تكون المراة وراء الرجل ، وتساءلت : ولماذا لا تكون هى بجواره بدلا من ورائه ؟. ورغم ان كلمة وراء هنا تعنى انها هى صانعته الحقيقية ، وهى التى تدفعه وتعينه وتشجعه وتهيىء له المناخ المناسب للصعود الى عظمته « الفانية » ، ومع ان هذا الصنف من السيدات لا يهتم الا بالمظاهر ـ مظاهر اللفظ والحياة دون دراية بالباطن .. مع ذلك فلا يهم ان كانت المراة وراء الرجل او امامه او بجواره او فوقه او تحته .. كل مايهم انها قد صنعته صغيرا ، ولم تتركه كبيرا ، فاما ان تكون له من الرافعين او من الخافضين !

والواقع ان هناك فرقا هائلا بين الأم المتعلمة والأم الجاهلة .. لان الأولى تدرك مالا تدركه الثانية ، ومع ان ثمرات التعليم يجب ان تنصب على تربية الاجيال ، وعلى العناية بتنشئة الاطفال ، الا أن ذلك قد شغل المراةعن اقدس واعظم رسالة يمكن ان يحملها مخلوق على ظهر هذا الكوكب .. فمواطن صالح ، خير من الف شهادة ، اذ ماذا يفيدنا فى الشهادات والعلوم اذا لم تكن بغير خلق ولا ضمير ..

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

ولسنا هنا من دعاة النصيحة ، ولا الموعظة الحسنة ، فلقد جاء الانسان بعقل مدرك ، وهو بلاشك يعرف الفضيلة من الرذيلة ، والطيب من الخبيث ، والصدق من الكذب . . « فالحلال بين ، والحرام بين » .. وما يعيب معروف ، ومالا يعيب معروف .. ورحم الله امى وطيب ثراها ، فلقد كانت تجهل القراءة والكتابة ، ولكنها لم تكن تجهل ما يضر الناس

وما ينفعهم ، ولا ما يعيبهم أو يسمو بهم ، ولقد تعلمنا على يديها صلة الرحم ، والبر بالناس ، والصدق فى القول والعمل الى آخر هذه الخصال الحميدة التى لايختلف عليها انسان ! جاهل او متعلم .. انما الجهل ان تنصرف الأم عن اقدس واهم واعظم رسالة .. فاذا اولتها حقها ، وارضت بها ربها ، فلاشك انها ستكون اروع نساء العالمين .. وهذا هو المراد ، من رب العباد !

ولنختتم موضوعنا بهذا الحديث الشريف .. « من اولى الناس بحسن صحابتى يا رسول الله ؟ .. قال : امك قال ، ثم من ؟ .. قال : ثم امك ؟ .. قال : ثم من ؟ .. قال ثم امك ؟. قال : ثم من ؟ .. قال : ابوك » !

ولقد كرمها الرسول ثلاثا وكرمناها .. فهل تكرمنا بثمرات بديعة من صنع يديها .. فتكون مجدا للوطن ، وذخرا للمجتمع ؟ .. لست ادرى ، ولعلها تدرى .. فلست ادرى انها تدرى !

« ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين » !

http://nj180degree.com

الفهرس

مقدمة ـ نكدا او ذكر ٥

هن أطول عمرا من الرجال ١٩

الانثى اولا .. من فضلك ٣٢

مأساة الذكور ٥٣

صراع الذكور .. والسبب انثى ٩٧

ضوضاء الذكور .. وهبالة الذكور ١١٦

ذكور تتودد .. واناث تتدلل ١٤٧

من أرداف القرود .. الى أرداف البشر ١٦٧

رائع حقا عالم النساء ١٨٣

كتب صدرت للمؤلف

	النـــاشر
١ ـ الميكروبات والحيـــاة	دار القلم للطبع والنشر
٢ ـ دورات الحيـــاة	« « « «
٣ ـ الفطريات والحيـــاه	« « « «
٤ ـ اسرار المخلوقات المضيئة	« « « «
٥ ـ الفيروس والحيـــاة	« « « «
٦ ـ لمـــاذا نموت ؟	الهيئة العامة للكتـــاب
٧ ـ معارك وخطوط دفاعية فى جسمك	« « «
٨ ـ الانسان والنسبية والكون	« « «
٩ ـ زوجات مفترسات	دار الهلال ـ كتاب الهلال
١٠ ـ انت .. كم تساوى ؟ !	« « «
١١ ـ مذكرات ذرة	دار المعارف ـ سلسلة اقرا
١٢ ـ هل لك فى الكون نقيض ؟ (لغز الكون والكون المضاد)	الهيئة العـــامة للكتاب

http://nj180degree.com

رقم الإيداع : ٨٧/٥٤٧١
الترقيم الدولي : ٩ - ١١٦ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٧٤٨١٦ - ٣٧٤٥٢٨ - برقيا : شروق - تحفظ SHRI SHROK UN
شروت : ص ب ٢٤ - ٨٦ - هاتف : ٣١٥٨٩٩ - ٣١٣٢٣٠ - ٣١٧٧٦٥ برقيا : الشروق - تحفظ SHROK BEYS LE

fofoyoyo

http://nj180degree.com

هـذا الكِتابُ

بدون تحيز أو تعصب لبنى جنسه ، ومستندا إلى الحقائق العلمية ، يجىء هذا الكتاب كصفعة لغرور الذكور ، فيضع فيه الإناث «فوق العين والرأس» !

فأساس الأنثى عريض ، وأساس الذكر هزيل ، ولقد جاءت أقوى منا وراثيا ، وأعقد بيولوجيا ، ولهذا سادت على الذكر باطنا ـ لا ظاهرا ـ أو ربما باطنا وظاهرا ، فكل هذا ـ كما يشير المؤلف ـ متروك لذكائك وتقديرك ، إذ أنه فى مواقف كثيرة يكتفى بالتلميح دون التصريح .

ويذكر المؤلف ـ بأسلوب مرح ساخر ، وبعبارات وجمل راقصة ـ أمورا تدعو إلى الهم والتفكر لنا معشر الذكور ، فأعصاب الإناث أقوى ، وأمراضهن أقل ، واحتمالهن أشد ، وأعمارهن أطول ، وهن بالنسبة للحياة أثمن وأهم !

ومؤلف هذا الكتاب من محافظة بنى سويف ، وقد تخرج فى كلية العلوم ـ جامعة القاهرة ، ويشغل الآن وظيفة أستاذ الميكروبيولوجيا (علم الكائنات الدقيقة) بكلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية ، وله ـ بجوار بحوثه الكثيرة المنشورة فى المجلات العالمية المتخصصة ـ كتب عديدة ، ودراسات طويلة ، ومقالات كثيرة فى الاذاعة والصحف والمجلات تتناول قضايا العلم والحياة بأسلوب سلس يغرى بالقراءة ، ويدعو إلى التأمل الواعى فى هذا الصد

5.00 LE
مسكين عالم الذكور
6 221102 003148
6 221102 003148
دار الشروق